جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين

إنصاف غير المسلمين ومسلمي أهل الكتاب للإسلام وعقيدته وأثره على المجتمعات الغربية

" دراسة تحليلية نقدية مقارنة "

The justice of non-Muslim, Christians and Jews for Islam and its faith and its the impact on western societies

"An Analytical critical acomparative study"

إعداد

سرين محمد أسعد صعيدي

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراه
في (العقيدة والفلسفة الإسلامية) في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة: عمان ٥/١/٢٠١٥م

جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين

إنصاف غير المسلمين ومسلمي أهل الكتاب للإسلام وعقيدته وأثره على المجتمعات الغربية
" دراسة تحليلية نقدية مقارنة "

إعداد
سرين محمد أسعد صعيدي

إشراف
الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراه
في (العقيدة والفلسفة الإسلامية) في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة: عمان ٢٠١٥/١/٥م

إنصاف غير المسلمين ومسلمي أهل الكتاب للإسلام وعقيدته وأثره على المجتمعات الغربية

" دراسة تحليلية نقدية مقارنة "

The justice of non-Muslim, Christians and Jews for Islam and its faith and its the impact on western societies

"An Analytical critical acomparative study"

إعداد

سرين محمد أسعد صعيدي

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت بتاريخ: 2015/1/5م

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم الدكتور	اسم الجامعة	التوقيع
الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي؛ مشرفاً ورئيساً	العلوم الإسلامية العالمية	....
الدكتور عبد عيد الرعود؛ عضواً	العلوم الإسلامية العالمية	....
الدكتور حسان راغب القاري؛ عضواً	العلوم الإسلامية العالمية	....
الدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة؛ عضواً خارجياً	جامعة آل البيت	....

The Word Islamic Sciences and Education University

Faculty of Graduate Studies

Dept of fundamental of Religion

The justice of non-Muslim, Christians and Jews for Islam and its faith and its the impact on western societies

"An Analytical critical acomparative study"

By

Serein Mohammed Asa'ad Saeedi

Supervisor

Dr. Mohammed Al Jundi, Prof

“A Dissertation Submitted in partial Fulfillment of the Requirement for the Degree of Doctor of Islamic doctrine and philosophy at The World Islamic Science and Education University “

The world Islamic science and Education University

Amman: ٥/١/٢٠١٥

نموذج التفويض

أنا الطالبة **سرين محمد أسعد صعيدي**، أفوض جامعة العلوم الإسلامية العالميـــة بتزويد أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص بنسخ عند طلبها.

التوقيع: سرين صعيدي

التاريخ: ٢٥/١/٢٠١٠

الإهداء

إلى روح أبي التي لم يفارقني طيفها منذ رحيله عن هذه الحياة والذي طالما تمثلني بهذه اللحظة قبل أن تحين، تغمده الله في رحمته ...

إلى أمي التي آثرتني على نفسها فتكبدت معي عناء التنقل والسفر فقدمت راحتي على راحتها حفظها الله — تعالى- ...

إلى التي أسكنتني في قلبها ووسعت لي في بيتها وطالما سعدت لمبسمي وتألمت لألمي، فرفعتني إذا تباطأت وأخذت بيدي إذا عثرت ...

أمي الثانية ومربيتي إلهام طوير رفع الله ذكرها في الدارين ...

إلى الأحبة أخواتي وإخواني وأزواجهم وأبنائهم رعاهم الله - تعالى- ...

إلى أختي التي لم ينجبها رحم أمي ورفيقتي في درب العلم فتقاسمت معي صعابه ولم تأل جهداً في مساندتي خولة نمر قصاص ...

إلى كل الأحبة الذين لم تسعهم هذه الصفحة ولكن أسماؤهم وصورهم محفورة في الذاكرة والقلب ...

إلى من دفع إما دمه أو حريته ثمناً للدفاع عن حوزة هذا الدين ...

أهدي هذا العمل ...

الشكر والتقدير

وبعد الشكر والحمد لله تعالى الذي أتم بفضله علي الانتهاء من كتابة سطور هذه الرسالة، أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لمن منّ الله عليّ وشرفني بإشرافه على رسالتي الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي، الذي لم يال جهداً أو نصيحة، فرافقني بتوجيهاته السديدة، ونصائحه الثمينة، وملحوظاته المهمة، التي كان لها الأثر الكبير في إخراج هذه الرسالة.

كما يسعدني أن أتقدم بالشكر إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية ممثلة برئيس أمنائها سمو الأمير غازي بن محمد حفظه الله - تعالى-، وجزيل الشكر لرئيس الجامعة وأعضاء الهيئة الإدارية والتدريسية، كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة لجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء قراءة هذه الأطروحة وتكرموا بمناقشتها.

والشكر الموصول والعرفان بالجميل لكل من كان له يد عون أو مساعدة ولاسيما كل من الدكتور عبد المقصود حامد والدكتور حسان القاري والأخ رائق الصعيدي الذي عمل على توفير ما يلزمني من مصادر ومراجع، راجية من العلي القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء ويجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
قائمة المحتويات	هـ
الملخص باللغة بالعربية	ط
الملخص باللغة الانجليزية	ي
المقدمة	١
التمهيد	٧
الفصل الأول: الإنصاف في حقيقة الإسلام وخصائصه	١٠
توطئة	١١
المبحث الأول: عالمية الإسلام	١٢
المطلب الأول: التوحيد والعالمية	١٢
المطلب الثاني: عالمية الدعوة	١٤
المطلب الثالث: ختم النبوة والعالمية	٢٢
المبحث الثاني: سماحة الإسلام	٢٧
المطلب الأول: لا إكراه في الدين	٢٧
المطلب الثاني: معاملة الجيوش في الفتوحات	٣٣
المبحث الثالث: وسطية الإسلام	٣٧
المطلب الأول: موافقة الإسلام للفطرة	٣٨
المطلب الثاني: الاعتدال في الشعائر التعبدية	٤٦
المبحث الرابع: حضارة الإسلام	٥٢
المطلب الأول: مكانة العلم في الإسلام	٥٢
المطلب الثاني: أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية	٥٩
تعقيب ونقد	٦٨
الفصل الثاني: الإنصاف في حقيقة التوحيد	٧٠
توطئة	٧١
المبحث الأول: التوحيد في الشرائع السماوية السابقة	٧٢

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: التوحيد في اليهودية	٧٣
المطلب الثاني: دعوة بني إسرائيل للتوحيد وتنقية عقيدتهم من الوثنية	٧٦
المطلب الثالث: التوحيد في المسيحية	٨٠
المطلب الرابع: دعوة عيسى ﷺ إلى التوحيد	٨٣
المبحث الثاني: التوحيد في الإسلام	٨٩
المطلب الأول: دعوة الإسلام إلى التوحيد	٨٩
المطلب الثاني: مفهوم الإله في الإسلام	٩٤
المطلب الثالث: الدين عند الله الإسلام	٩٨
تعقيب ونقد	١٠٤
الفصل الثالث: الإنصاف في نبوة سيدنا رسول الله محمد ﷺ	١٠٩
توطئة	
المبحث الأول: الإنصاف في حقيقة الوحي والإلهام	١١١
المطلب الأول: مفهوم الوحي والإلهام	١١١
المطلب الثاني: الوحي في الإسلام	١١٣
المبحث الثاني: نبوة سيدنا محمد ﷺ	١١٦
المطلب الأول: محمد ﷺ قبل البعثة	١١٦
المطلب الثاني: بعثة النبي ﷺ	١١٨
المبحث الثالث: القرآن الكريم معجزة النبي الخالدة	١٢٩
المطلب الأول: أمية الرسول ﷺ	١٢٩
المطلب الثاني: القرآن الكريم كلام الله	١٣٣
المبحث الرابع: زواج الرسول ﷺ	١٣٩
المطلب الأول: تعدد الزوجات قبل الإسلام	١٣٩
المطلب الثاني: تعدد زوجات الرسول ﷺ	١٤٣
تعقيب ونقد	١٤٦
الفصل الرابع: الإنصاف في "اليوم الآخر"	**١٤٩**
توطئة	١٥٠

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول: الإنصاف في حقيقة البعث	١٥١
المطلب الأول: صورة البعث في الإسلام	١٥١
المطلب الثاني: الموت امتداد لحياة الإنسان في العالم الآخر	١٥٣
المبحث الثاني: الإنصاف في الجزاء	١٥٧
المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل	١٥٧
المطلب الثاني: الجنة والنار	١٦١
تعقيب ونقد	١٦٥
الفصل الخامس: الإنصاف في انتشار الإسلام وأثره على المجتمعات الغربية	**١٦٨**
توطئة	١٦٩
المبحث الأول: انتشار الإسلام ودور المنصفين فيه	١٧٠
المطلب الأول: انتشار الإسلام في أوروبا	١٧٠
المطلب الثاني: أثر المنصفين في نشر الإسلام	١٧٤
المبحث الثاني: أسباب انتشار الإسلام	١٨١
المطلب الأول: الفوضى الدينية المتمثلة في تراجع النصرانية	١٨٤
المطلب الثاني: العوامل الذاتية في انتشار الإسلام	١٨٧
تعقيب ونقد	١٩٤
الخاتمة ونتائج البحث	١٩٨
فهرس الآيات	٢٠٠
فهرس الأحاديث	٢١٢
فهرس الأعلام	٢١٤
قائمة المصادر والمراجع	٢١٦

الملخص

إنصاف غير المسلمين ومسلمي أهل الكتاب للإسلام وعقيدته وأثره على المجتمعات الغربية

إعداد

سرين محمد أسعد صعيدي

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت بتاريخ: عمان ٢٠١٥/١/٥م

الحمد لله رب العالمين وأفضل السلام وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين النبي الأميّ محمد بن عبد الله وآله الأطهار، وصحابته الكرام، وكل من سار على نهجهم، واقتدى بأثرهم إلى يوم الدين، أما بعد، فقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

تنصب هذه الدراسة على قضية من القضايا المهمة في دراسة الإسلام ديناً عالمياً يحظى باهتمام ودراسات الكثير من غير المسلمين على اختلاف مشاربهم ومنابتهم.

وسوف يتكفل البحث من خلال فصوله ومباحثه ببيان جهود المنصفين من غير المسلمين ومسلمي أهل الكتاب للإسلام وعقيدته. وما لهذا الإنصاف من الأثر العميق على المجتمعات الغربية على اختلاف أيدلوجياتها الوضعية ومعتقداتها. وما نتج عن ذلك من دخول الكثيرين من الغربيين في الدين الإسلامي عن اعتقاد متين.

الفصل الأول: تناولت فيه الإنصاف في حقيقة الإسلام وخصائصه، حيث إنّه رسالة عالمية، وسماحته وتعامله مع الآخرين، ووسطيته في جميع الأمور، والتوفيق بين حاجات الجسد والروح، ودور حضارته وآثارها في غيرها من الحضارات.

الفصل الثاني: تناول هذا الفصل التوحيد في الشرائع السماوية الثلاث، وأنّ المصدر الذي انطلقت منه رسالة الإسلام هو نفسه في الرسالات السابقة، غير أنّ الإسلام جاء مصححاً لما أصابها من تحريف ومكملاً لها من أي نقص، فكان بذلك خاتم الرسالات السماوية.

الفصل الثالث: بحث في شخصية النبيّ محمد ﷺ وحقيقة نبوته، وأنه الأميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب، وقد أتى بمعجزة خالدة هي القرآن الكريم والذي هو وحي من عند الله لا كلام من البشر، كما تناول تعدد الزوجات، وأنّ الإسلام لم يكن له السبق في تشريعه بل كان له الفضل في تنظيمه وتقييده.

الفصل الرابع: تحدث عن اليوم الآخر في الإسلام، وأنّ الشرائع الأخرى لم تذكره بتفصيل، وأنّ البعث بعد الموت حقيقة، وأنّ الحساب سيكون على ما قدّمه الإنسان من عمل، والجزاء يأتي من جنس العمل وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى؛ إذ لا وجود للخطيئة الموروثة في شرع الإسلام.

الفصل الخامس: تناول هذا الفصل أسباب انتشار الإسلام، ودور المنصفين في ذلك، والعوامل الذاتية والخارجية التي ساعدت على انتشاره، وقد نفى هؤلاء المنصفين أن يكون أي دور للسيف والقوة في نشر الإسلام.

وفي الخاتمة تم ذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة، وأسأل الله أن يسددني فيما أكتب ويجعل ذلك حجة لي.

Abstract

The justice of non-Muslim, Christians and Jews for Islam and its faith and its the impact on western societies

"An Analytical critical acomparative study"

By

Serein Mohammed Asa'ad Saeedi

Supervisor

Dr. Mohammed Al Jundi, Prof

Amman: ٥/١/٢٠١٥

Praise be to Allah, and peace be upon the prophet who was sent as an envoy mercy to the worlds, illiterate Prophet Mohammed bin Abdullah, and the Pure and all of his companions marched on their way who followed them down to the Day of Judgment.

This study includes an introduction, five chapters and a conclusion.

This study concentrates on one of the important issues in studying Islam as an international religion that attracts the attention the studies of many of no-Muslims despite the differences in their opinions and their origins.

Through its chapters and subjects, this study undertakes to manifest the efforts of the fair-minded of non-Muslims and Muslims of Al-Kitab for Islam and belief in it, and the deep impact of this fairness on Western societies despite their positive ideologies and beliefs. In addition to how it resulted in many Western people's iterance into Islamic religion with strong belief.

The researcher in the first chapter deals with the equity in reality of Islam as it is a global message a in its tolerance in dealing with others, and being an average and moderate religion with others in all things and to compromise between the body and the soul and the role of its civilization and its impact on other civilizations

Chapter Two: the researcher in the second chapter deals with Al Tawheed (the belief in) Allah in the three monotheistic religions and the source from which it was launched message of Islam is the same as in the previous messages is that Islam came to correcting what stricken of misrepresentation and complements them from any shortage. So it was the conclusion of heavenly messages.

Chapter three discusses the personality of Prophet Muhammad peace be upon, Allah consciousness him and the fact about his prophecy in being illiterate who does not read or write, came with a mortal miracle, that is the Koran, which is a inspired by from Allah, not words of human beings as this chapter dealing with of polygamy and that Islam was not its credited legislation, but it was credited in its organization and its compliance.

Chapter Four deals with about the next immortal day in Islam and other religions did not remember in detail and Life after death, the fact that the account will be on the action of a man and that the penalty comes from work type, and no one shall bear the iniquity of the sins of the other, as there is no inherited sin in proceeded Islam.

Chapter five : this chapter deals with the causes of the spread of Islam and the role of fair-minded people in the self and external factors that have helped to spread Islam, talks about the denial of these fair-minded people about the role of the sword and the power in spreading Islam, which in fact didn't have any role .

In conclusion, the most important findings and recommendations of the study were mentioned and finally I ask Allah to the correctness of what I write and make it as an argument proof for myself.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن تبع هداهم وسار على دربهم إلى يوم الدين.

وبعد، فنعم الله على هذه البشرية أعظم من أن تعد وتحصى، وتتجلى عظيم رحمته تعالى بشريعة الإسلام الذي ارتضاه ديناً وبنبيه محمد ﷺ الذي بعثه هادياً ومبشراً ونذيرا، فكان الإسلام الرحمة الربانية المهداة للعالمين. جاء الإسلام ليصحح مسار البشرية ونهج حياتها وأمور دينها ودنياها في حال مضى عليها زمن طويل انقطعت بها حلقات الوصل بالسماء- الأنبياء عليهم السلام – وكان الناس يتفرقون على شرائع مختلفة كاليهودية والنصرانية وغيرها، وثلة قليلة كانوا يلتمسون الدين الحق في تلك الشرائع التي عاصروها، لكن شيئاً منها لم يرو ظمأ أرواحهم وعقولهم، فآثروا أن يكونوا حنفاء يلتزمون بالقليل مما تبقى من ملة إبراهيم عليه السلام، وأشرقت شمس الإسلام مصدقة ومقرة تلك الثوابت من أسس العقائد التي سبقته والتي كان أساسها وعمودها التوحيد، في نفس الوقت الذي جاء به مهيمنا على كل الشرائع التي لم تسلم من العبث والتحريف والتبديل ومصححاً لما اعتراها من تغيير وتبديل، وخاتماً لها؛ إذ تحققت به الصورة النهائية لتلك الشرائع ودرجة الكمال الذي لا كمال بعده. فكان الإسلام بنبيّه ﷺ الخاتم لسلسلة الشرائع وسلسلة النبوة، منتقلاً بذلك من محدودية الوقت والزمان ليكون للناس كافة ويصلح لكل زمان ومكان، فخرج بذلك عما عهدته الشرائع السابقة بخصوصية الفئة الخاصة ليدخل نطاق العالمية من غير تحديد للوقت أو الفئة الموجه لها، وانتشر الإسلام ولا زال ينتشر انتشار أشعة النور بأساليب سلمية أبعد ما تكون عن الحروب الدينية، جاعلاً من أهدافه وغاياته تحرير الناس من عبادة العباد لعبادة رب العباد، فاتحاً أمامهم آفاق العلم والعمل، مهتماً وشاملاً لجميع جوانب حياتهم وشؤونهم، جاعلاً بذلك الحياة وحدة واحدة لا تفريق بين الجسد والروح ولا العقل والدين وإنما سواء بسواء، فوجد البلاد والعباد تفتح له الأبواب على مصراعيها، وهو المحرر لهم من كل أنواع الغطرسة والتجبر والظلم، فوجدوا فيه الملاذ الآمن الذي يقر بالآخر ويتفهم الآخر؛ فيجعل له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين وإيمانه وكفره بينه وبين الله لا سلطان له عليها.

والإسلام شريعة وعقيدة جذبت اهتمام الكثير من أهل الفكر والاختصاص، فشرعوا في دراسته دراسة عميقة، ومنهم من شدّ رحاله لديار المسلمين؛ لتكون دراسته عن كثب غير مكتفٍ بما حصل عليه من المصادر والمراجع، فتباينت بذلك وجهات الدارسين واختلفت آراؤهم

وتعددت مشاربهم ومآربهم، فانقسموا طائفتين: الأولى أقبلت على دراسته لإعمال معول الهدم في صرحه؛ فكان لا يترك مجالاً إلا ليستغلّ وقته وجهده وثمرة فكره للافتراء عليه وإطلاق الشبهات والاتهامات باذلاً جهده في تبديل الحقائق وتغيير معالمها وصورتها، إلا أنّ هذه الطائفة لم تكن في مجال بحثي ودراستي.

وكانت الطائفة الأخرى التي هي دائرة البحث والدراسة في هذه الرسالة على نقيض الطائفة الأولى، فأقبلوا على دراسة الإسلام دراسة غير مستندة على أحكام مسبقة، وتركوا لعقولهم ونفوسهم فرصة دراسة الإسلام وسبر أغواره، فنتج عن ذلك ثلة لا بأس بها من علماء الغرب ومفكريه. فمنهم من كان من أهل الكتاب أدركوا حقيقة الإسلام فأنصفوا الإسلام بشهادة حق على الرغم من اختلاف مشاربهم وتعدد جنسياتهم وبلادهم، فتمثل بهم قوله تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ [سورة آل عمران: آية١١٣]، فكانوا بذلك شهداء حق لا غاية لهم سوى التوصل إلى الحقيقة ووضعها أمام العامة، فوجد هؤلاء في الإسلام غير ما كان يصل إلى مسامعهم، وجدوا به دين السلام والحرية والفكر والعقل، فأخذوا يصححون صورة الإسلام التي وصلت بلادهم مشوّهة عن عمد، والتي طالما وسموها بالجمود والإرهاب وتقييد الحريات، فجاءت هذه الرسالة شهادة إنصاف وعدل بحق الإسلام ونبيّه أطلقها قوم لا يدينون به ولم ينشأوا على نهجه وتعاليمه، فمنهم من بقي على دينه دون أن يؤثر ذلك على مصداقية شهادته ومنهم من استهواه الدين الجديد ووجد به ضالته، وقد وجد فيه ما يفوق تلك الأنظمة والشرائع التي عرفها سابقاً فنفذ نور الإسلام إلى عقله وقلبه فاستسلم له ودخل فيه بعدما وجد فيه ما يروي ظمأه الفكري والروحي ليترك ما قد شب ونشأ عليه من معتقد ليبدأ حياة جديدة في أحضان الإسلام مع زمرة الموحدين المؤمنين به.

أولاً: مشكلة الدراسة

تنصب هذه الدراسة على قضية من القضايا المهمة في دراسة الإسلام ديناً عالمياً يحظى باهتمام ودراسات الكثير من غير المسلمين على اختلاف مشاربهم ومنابتهم.

وسوف يتكفل البحث من خلال فصوله ومباحثه ببيان جهود المنصفين من غير المسلمين ومسلمي أهل الكتاب للإسلام وعقيدته. وما لهذا الإنصاف من الأثر العميق على المجتمعات الغربية على اختلاف أيدلوجياتها الوضعية ومعتقداتها. وما نتج عن ذلك من دخول الكثيرين من الغربيين في الدين الإسلامي عن اعتقاد متين.

ثانياً: سبب اختيار الموضوع

إن من أهم دواعي بحث هذا الموضوع، عالمية الإسلام وختمه لجميع النبوات والرسالات السابقة الأمر الذي تلقاه أعداء الإسلام ببغض شديد فراحوا- دائبين- يعدون موجات شرسة الواحدة تلو الأخرى ضد الإسلام قرآنا ونبيا، وعقيدة، وشريعة ومن أمثلة هذا ما أثاروه حديثاً حول نبينا العظيم من افتراءات مشينة حول شخص النبي ﷺ سواء المكتوب منها أو المسموع.

من هنا ارتأيت أن أعد أطروحة في إنصاف الإسلام من غير المسلمين، ومن مسلمي أهل الكتاب لعل كلامهم في أمجاد الإسلام يكون له صدى أوقع لدى بني جلدتهم وثقافتهم، كذلك فهم أجدر بمخاطبتهم بلغتهم وحواراتهم لا سيما أن الأثر الايجابي لهذا الإنصاف على المجتمعات الغربية يؤتي أكله يومياً بفضل الله وكرمه.

ثالثاً: أهمية الدراسة وأهدافها

تأتي هذه الدراسة لتسهم في إيضاح الإتمام الإلهي لنوره الذي يعد الإسلام نوعاً منه انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة التوبة: آية٣٢].

وقوله: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة الصف: آية٨].

وكذلك للإسهام في إيضاح جانب إظهار الله تعالى لدين الإسلام على الدين كله قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [سورة الفتح: آية٢٨].

وهذا الجانب الإيضاحي من غير المسلمين وممن أسلم من أهل الكتاب خاصة تجسيد عملي يقع يوماً بعد يوم لإخبار الله ووعده الذي لا يُخلف بنصرة الإسلام والمسلمين إن شاء العليم القدير.

ثم إن بيان تأثير هذا الإنصاف على المجتمعات الغربية نراه واقعياً على الكثيرين فيها ممن يدخلون في دين الله أفواجاً وهذا يوضح أهمية هذه الدراسة وجديتها.

رابعا: الدراسات السابقة

بحثت ولم أجد في حدود بحثي رسالة علمية تحمل نفس عنوان أطروحتي هـذه؛ ولكـن وجدت كتباً ومصادر تحمل عناوين تساعد في المادة العلمية التي يحتـاج إليهـا الباحـث فـي أطروحته، وقد أرفقت بعضا منها في آخر الخطة ومن الأمثلة على ذلك:

١ــ كتاب **الدعوة الإسلامية** للمؤلف " توماس أرنولد " والذي تناول في كتابـه عالميـة الدعوة الإسلامية، وتحدث عن تسامح المسلمين والانتشار السلمي للإسلام.

٢ــ كتاب **الدفاع عن الإسلام** للمستشرقة "لورا فيشيا فاغليرى" التي تناولت ختم الرسالات السماوية بمحمد ﷺ الذي جاء بمعجزة من عند الله وهي القرآن الكريم.

٣ــ كتاب **محمد رسول الله** للمؤلف "ناصر الدين دينيه" الذي تناول فـي كتابـه موافقـة الإسلام للفطرة وصلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان.

٤ــ كتاب **شمس العرب تسطع على الغرب** للمستشرقة "زيغريد هونكه" التي استفاضـت في حديثها عن حضارة العرب والمسلمين وأثرها على الحضارة الغربية، وتناولـت مكانة العلم والعلماء في الإسلام.

خامساً: منهج البحث

من المناسب في مثل هذه الأطروحة أن يكون المنهج تحليليا، هذا بالإضافة إلى المـنهج المقارن وعرض آراء المنصفين قديماً إضافة إلى المحدثين في جوهر الإسلام وحقيقته، ومن ثم المنهج النقدي للتعقيب والتقييم، وذلك على النحو التالي:

١. استخدام المنهج التحليلي في عرض أراء غير المـسلمين ومـسلمي أهـل الكتـاب وإنصافهم للإسلام وعقيدته.
٢. المنهج المقارن في الموازنة بين أراء المنصفين وحقيقة الإسلام وجوهره.
٣. المنهج النقدي وسوف يستخدم في التعقيب على الآراء المنصفة للإسلام لبيان مقـدار قيمتها وصدقها ومدى تأثيرها على غير المسلم.

سادساً: هيكلية الدراسة (خطة الأطروحة)

قامت الدراسة الحالية على مقدمة وخمسة فصول جاءت كما يلي:

المقدمة، وتتضمن:

١. مشكلة الدراسة.

٢. أسباب اختيار الموضوع.

٣. أهمية الدراسة

٤. الدراسات السابقة

٥. منهجية البحث

٦. هيكلية الدراسة

التمهيد ويشتمل على:

- مفهوم: غير المسلمين
- مفهوم: مسلمي أهل الكتاب
- مفهوم: المجتمعات الغربية

" الفصل الأول ": الإنصاف في حقيقة "الإسلام" وخصائصه

المبحث الأول: عالمية الإسلام

المبحث الثاني: سماحة الإسلام

المبحث الثالث: وسطية الإسلام

المبحث الرابع: حضارة الإسلام

تعقيب ونقد

" الفصل الثاني ": الإنصاف في حقيقة التوحيد

المبحث الأول: التوحيد في الشرائع السماوية السابقة

المبحث الثاني: التوحيد في الإسلام

تعقيب ونقد

" الفصل الثالث ": الإنصاف في نبوة "سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم"

المبحث الأول: الإنصاف في حقيقة الوحي والإلهام

المبحث الثاني: نبوته صلى الله عليه وسلم

المبحث الثالث: القرآن الكريم معجزة النبي الخالدة

المبحث الرابع: زواج النبي صلى الله عليه وسلم

تعقيب ونقد

" **الفصل الرابع ": الإنصاف في "اليوم الآخر"**

المبحث الأول: الإنصاف في حقيقة البعث

المبحث الثاني: الإنصاف في الجزاء

تعقيب ونقد

" **الفصل الخامس ": أثر الإنصاف في انتشار الإسلام**

المبحث الأول: انتشار الإسلام ودور المنصفين فيه

المبحث الثاني: أسباب انتشار الإسلام

تعقيب ونقد

الخاتمة، وتتضمن:

النتائج والتوصيات.

التمهيد:

سوف نتعرض في هذا التمهيد للحديث عن مصطلحات الدراسة وهي تكاد تنحصر في ثلاثة مصطلحات رئيسة هي:

- **مفهوم غير المسلمين.**
- **مفهوم مسلمي أهل الكتاب.**
- **المقصود بالمجتمعات الغربية.**

أولاً: مفهوم غير المسلمين:

وهم أولئك الذين لا يلتزمون بالإسلام شريعة أو منهاجاً، ويندرج تحت هذا المفهوم الملحدون الذين لا يعترفون بوجود الأديان وسلطانها في حياة البشرية، ويمثل المستشرقون الشريحة الكبرى التي تناولها هذا البحث إذ عرفوا باهتمامهم بدراسة الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخاً، وهم يختلفون في نظرتهم ومواقفهم للإسلام، فمنهم من كان عامداً يثير الشبهات حول الإسلام والمسلمين، ويعمد إلى تشويه الحقائق، حيث لم تكن هذه الفئة هي مجال البحث، ومنهم من أنصف الإسلام واعترف بفضله على حضارته ومجتمعه فألزمته الموضوعية بتسطير شهادة حق واعتراف بالجميل للشرق ديانة وتاريخاً وحضارة[1] وهم الفئة التي تتناولها الباحثة في هذه الرسالة، كما يندرج تحت هذا المفهوم أولئك الذين ما زالوا يتبعون شرائع سابقة مثل اليهودية والنصرانية، وهم الذين سماهم الله تعالى في محكم تنزيله بأهل الكتاب.

وقد تحدث هؤلاء عن حقائق في صميم الإسلام وهي أمر مسلّم به في المجتمعات المسلمة، وإن اختلفت في درجة الالتزام بها ومدى تطبيق بعض تعاليمها لكنّ ذلك لا يؤثر على كونها أمراً بدهياً، وهؤلاء المفكرون أدركوا حقيقة التشابه بين أصول الإسلام وأصول غيره من الشرائع بعيداً عن التحريف الذي طال تعاليمها ومبادئها، ومرد ذلك إلى أنّ مصدر الشرائع السماوية واحد، فإنّ اختلف الإسلام عنها فذلك لأنه الدين الخاتم والخالد وما ذلك إلا لتناسبه مع ما بلغته البشرية من تطور في جميع أطوار حياتها.

إلا أنّ المفكر الغربي في دراسته للإسلام يقف وسط اتجاهين متناقضين من حيث النزعة العلمية الموضوعية التي تفرض عليه قول الحق وإن خالف نهجه وهواه وأصوله التي درج

---

(١) الزيادي، محمد فتح الله: **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها**، ط١، ص١٠٣، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، (١٣٩٢هـ_١٩٨٣م). بتصرف.

عليها، وبين النزعة الانحيازية التي تشده إلى بيئته ومعتقداته، فمن استطاع أن يحافظ على اتزانه وموضوعيته العلمية شهد بالحق وإن جاء بغير ما يشتهي، إلا أنّ هذا لا يعني عدم وقوع البعض منهم في الأخطاء التي قد يكون بعضها عائد إلى جهله في مسائل الشرع الحنيف أو قصور إدراكه عن فهم مقاصدها، أو تكون نتيجة لخروج بعضهم عن الموضوعية، فإنّ ذلك يحتم على من يتناول كتاباتهم أن يتناولها بعناية وروية(1).

ثانياً: مسلمو أهل الكتاب:

وينحصر هذا المفهوم في أولئك الذين كانوا يدينون بغير الإسلام، فكان منهم القساوسة والرهبان إلا أنهم تحولوا عن ملة آبائهم وأجدادهم إلى الإسلام بعدما عرفوا الحق، ووجدوا فيه الطريق القويم الذي سلكوه، كما أنهم أيقنوا وأدركوا أن تقبلهم واعترافهم بشرائع أخرى غير الإسلام يوجب عليهم من باب المنطق والعقل تقبل الإسلام والاعتراف به ديناً منزلاً من عند الله، من حق الناس أن يتعرفوا إليه وأن يكون له أتباع دون أن يتعرضوا لهجمات وتضييق، ومن أسلم من أهل الكتاب وجد في دينه ما يبشر بشريعة خاتمة لها الحق في الوجود والدفاع عن حوزتها، وسنة الله في خلقه أن يبعث في كل أمة رسولاً يصحح لهم مسار حياتهم، فبعد أن انحرفت اليهودية والنصرانية عما أنزله الله جاء الإسلام ليكون الثمرة النهائية لتلك الشرائع السابقة لا سيما أنّ هذه الشرائع لا تصلح لغير أزمانها وأقوامها التي نزلت إليهم، هذا ناهيك عن التحريف والتبديل الذي أصابها فجعل كبار رجالها يختلفون فيما بينهم حول الكثير من أمورها، بل تعدى الأمر إلى عجز هؤلاء عن تقديم تفسير أو توضيح لبعض تعاليمها للعامة.

ثالثاً: المقصود بالمجتمعات الغربية:

وهي تلك المجتمعات التي ترى في الإسلام الطرف المناقض لها، وهي على نوعين: منها من يرى في الإسلام العدو اللدود ويمثل الإسلام لديه حالة من الخوف والقلق وهذا ما تفسره الحملات المناهضة للإسلام ولرسوله الكريم والمتمثلة بالطعن في الإسلام بشتى المجالات منها ما يفتري على الإسلام بأنه دين إرهاب وعنف وتطرف، ومنها ما يدعي أنّ الإسلام دين لا رحمة فيه ولا سيما عندما يتناول قضايا الحدود والمرأة، ومنها ما تعرض للطعن والتشويه في شخص النبي الكريم تارة بإدعائهم بأنه رجل شهواني ومحب للسلطة والزعامة فارضاً الدين الإسلامي بالسيف والقوة، وتارة بتمثيلهم إياه بصور مسيئة لشخصه الكريم، أما ما نتج عن

---

(١) خليل، عماد الدين: **قالوا عن الإسلام**، ط١، ص١١، الندوة العالمية للشباب الإسلامي _ الرياض، (١٤١٢هـ_١٩٩٢م). بتصرف.

الفيلم الذي أُنتج حديثاً عن شخص النبي الكريم وتصويره على أنه إنسان تلقى دعوته من خلال ما كانت تلقيه عليه النساء وكذلك ما كان يأخذه عن الرهبان فكان بحق شاهداً على مدى الكراهية والحقد الذي تكنه هذه الفئة من المجتمعات الغربية.

وأما الفئة الأخرى وهي فئة مهادنة لا تحمل مشاعر عداء أو محبة وموالاة للإسلام ولكنها لم تلتفت لمثل هذه المواضيع؛ ولكن ما شهده الغرب في الآونة الأخيرة من حمـلات تـشويه وطعن للإسلام وشخص رسوله الكريم أثار حفيظة بعضهم فأقبل على الإسلام دراسة وتمحيصاً، ومنهم من دخل الإسلام طواعية رافضاً جميع ما قيل بحق الإسلام ورسوله الكريم، معلناً إسلامه متحدياً به أقوال قومه، ومنهم من أقبل على الإسلام فدرسه وتمحصه واكتفى.

الفصل الأول: الإنصاف في حقيقة الإسلام وخصائصه

توطئة

المبحث الأول: عالمية الإسلام

المطلب الأول: التوحيد والعالمية

المطلب الثاني: عالمية الدعوة

المطلب الثالث: ختم النبوة والعالمية

المبحث الثاني: سماحة الإسلام

المطلب الأول: لا إكراه في الدين

المطلب الثاني: معاملة الجيوش في الفتوحات

المبحث الثالث: وسطية الاسلام

المطلب الأول: موافقة الإسلام للفطرة

المطلب الثاني: الاعتدال في الشعائر التعبدية

المبحث الرابع: حضارة الإسلام

المطلب الأول: مكانة العلم في الإسلام

المطلب الثاني: أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية

تعقيب ونقد

توطئة

جاء الإسلام ليكون الصورة النهائية للشرائع السماوية السابقة، فيكون بذلك الخـــاتم لهـــا، ونبيه آخر المرسلين، ورسالته لم تقتصر على جنس دون آخر أو زمان دون زمان، بـــل كـــان الرحمة المهداة للعالمين، ولقد امتاز الإسلام بميزات عديدة كموافقته للفطرة وتوسطه في شعائره وتعاليمه، والطريقة التي اعتمدها النبي ﷺ في تبليغ الناس ودعوتهم لدين الله هـــي الإقنـــاع لا الإكراه، وقد امتاز الإسلام عن غيره من الشرائع برفع مكانة العلم والعلماء وتعزيـــز قـــدرهم، فكان لهم الفضل في تشييد حضارة تشع نوراً وعلماً بتشجيع الدين الجديد، فكانت اللبنـــة التـــي ارتكزت عليها الحضارات الأخرى في سبيل تطورها وتقدمها.

المبحث الأول: عالمية الإسلام

قدر للدعوة الإسلامية أن تكون رسالة للعالمين غير مقصورة على طائفة دون أخرى أو شعب دون آخر، فهي تحمل في أوامرها ونواهيها وتشريعاتها معالم العالمية دون تخصيص أو تحديد لجنس دون جنس، بل إنّ المتدبر لآيات الله سبحانه تعالى، وإن لم يكن على درجة عالية من الثقافة، يدرك أن القرآن،وهو المعجزة العظمى لرسول الإسلام، يتوجه في خطابه وتشريعاته للناس كافة، إذ يقول ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ١]. وقد استدل المفسرون بهذه الآية الكريمة على عموم الرسالة الإسلامية(١).

وعالمية الإسلام، وإن قال بها أهل الضاد وأتباع الدين الحنيف، فهي أمر بدهيّ، يدركه أصحاب الفكر من الغرب ويصرحون به علانية أمام أبناء جلدتهم، فهذه سابقة لها من الدلالة ما لا يخفى على أحد، بل يعلنون بعد دراسة وتمحيص أنها ميزة امتاز الإسلام بها عن سائر الأديان الأخرى.

المطلب الأول: التوحيد والعالمية

استدل بعض المستشرقين الذين درسوا الإسلام دراسة عميقة بوحدانية الله تعالى على عمومية الرسالة، إذ يقول توماس ارنولد(٢): "...ولما لم يكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة"(٣).

---

(١) أنظر: الصابوني، محمد علي: **التفسير الواضح الميسّر**، ط٥، ص٨٨٧، المكتبة العصرية، صيدا_بيروت، (١٤٢٥هـ_٢٠٠٤م). النّسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود٧٠١ه: **تفسير النّسفي المسمى بمدار التنزيل وحقائق التأويل**، مج٢، ج٣ص١٥٨، دار الفكر. القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي**، ج١٣ص٤، تقديم هاني الحاج، حققه وخرّج أحاديثه عماد زكي البارودي، خيري سعيد، المكتبة التوفيقية.

(٢) توماس وولكر آرنولد من مواليد ١٨٦٤مستشرق بريطاني شهير، بدأ حياته العلمية في جامعة كمبردج، حيث أظهر حبه للغات فتعلم العربية وانتقل للعمل باحثاً في جامعة عليكرا في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور"الدعوة إلى الإسلام"، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور، في عام ١٩٠٤ عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن وكان عضو هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى، عمل أستاذاً في الجامعة المصرية عام ١٩٣٠ ويذكر أنه كان معلماً للمفكر الإسلامي الهندي محمد إقبال، توفي عام ١٩٣٠م. الوكيبيديا

(٣) أرنولد، سير توماس: **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل البخاري،ط٣، ص٤٨، مكتبة النهضة المصرية،(١٩٧٠).

فبما أنه لا إله إلا الله كان لا بد أن يتوجه الكافة دون تفريق بين فئة وأخرى إلى عبادة هذا الواحد الأحد، فتجتمع الشرائع في شريعة واحدة لتكون الصورة النهائية لهــذه الــشرائع وذروة الكمال إنما هي في هذه الرسالة التي توجهت بداية للكافة دون تفريق، ولتوحيد توجهات النـــاس في العبادة نحو الإله الواحد، وبالتوحيد يستدل المستشرق مارسيل(١) على عالمية رسالة الإسلام: "...فالإيمان بالتوحيد المطلق وبوحدانية الله إيماناً معبراً عنه بقناعة وصلابة تتجاوز الـصلابة القائمة في أي من الأديان الأخرى، يجعل من الإسلام على الصعيد المـاورائي إيديولوجيـة(٢) عالمية بكل ما في الكلمة من معنى. والفرد، على الرغم من تمتعه بمصير مستعلٍ، ليس غاية في حد ذاته، بل هو عنصر من العناصر التي يتألف منها الكل. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإنه لما كان محكوماً بأحكام إلهية، فإن "المسلم" هو ذاك الذي يخضع لهـذه المـشيئة الاسـتعلائية المفارقة. والبشرية واحدة. وليس الناس منحدرين من صلب رجل واحـد وحـسب، بـل هـم صادرون أيضاً عن إرادة مبدعة واحدة، إرادة الله الواحد. ويستتبع التوحيد بطبيعته إذن وجـود نظام واحد إجمالي. والشريعة الخالدة عالمية..."(٣).

فإن كان الناس في أصلهم ينحدرون من صلب رجل واحد هو آدم عليه السلام فإنهم كذلك يتبعون لإرادة الله الذي خلقهم وعنه تنبثق جميع الشرائع منذ آدم عليه السلام التي كانت تناسب كل قوم حـسب زمانهم ومكانهم، وبما أنّ الإله واحد فإنّ ذلك يستلزم وجود نظام واحد لاستمرارية التوازن في هذه الحياة وعلى هذا كان لا بد من شريعة تنسخ ما سبقها من شرائع عالمية التوجه والخطـاب والتكاليف، فكانت شريعة الإسلام وهو الدين الخالد والخاتم الذي ارتـضاه الله تعـالى لعبـاده واختاره للبشرية كافة، لقولـه تعـالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

---

(١) مارسيل بوازار مفكر، وقانوني معاصر، أولى اهتماماً كبيراً لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان وكتب عدداً من الأبحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين، يعتبر كتابه "إنسانية الإسلام" علامـة مضيئة في مجال الدراسات الغربية للإسلام.(معدّى، الحسيني الحسيني: **علماء وحكمـاء مـن الغـرب أنصفوا الإسلام**، ط١، ص٢٣، دار الكتاب العربي، دمشق_القاهرة،(٢٠٠٧).

(٢) هي نسق من الآراء والأفكار: السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية والدينية والفلـسفية. والايـديولوجيا جزء من البناء الفوقي وهي بهذه الصفة تعكس في النهايـة العلاقـات الدينيـة. (مجموعـة مـؤلفين، **الموسوعة الفلسفية**، بإشراف م. روزنتال. ب.يودين، ط١، ترجمة سمير كرم، ص٦٨، مراجعة صادق جلال العظم، جورج طرابيشي، دار الطليعة_بيروت،(٢٠٠٦).

(٣) بوازار، مارسيل: **إنسانية الإسلام**، ترجمة عفيف دمشقية، ط١، ص١٧٢، دار الآداب_بيـروت،(١٩٨٠)، تشرين الأول(اكتوبر).

ﭐلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [سورة المائدة: ٣]، لذا كان لا بد أن تكون هذه من دلائل عموم الرسالة عامة وخلودها، وتجاوزها نطاق الأفراد إلى الجماعات ونطاق الفئات إلى المجتمعات كافة.

ويتابع المستشرق توماس أرنولد حديثه قائلاً: "...ويؤيد دعوى عموم الرسالة والحق في المطالبة بأن يستجيب لها جميع الناس أن الإسلام كان الدين السماوي الذي اختاره الله للجنس البشري كافة ثم أوحى به إليهم من جديد على لسان محمد﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [سورة الأحزاب: آية رقم٤٠]، كما أوحى به من قبل على لسان غيره من الرسل"(١).

فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله منذ الأزل للجنس البشري وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الروم: ٣٠]، وهو نفسه الذي أوصى به الأنبياء من قبل، لكنه جاء بصورته النهائية على لسان خاتم النبيين محمد ﷺ.

المطلب الثاني: عالمية الدعوة

قدّر الله تعالى للإسلام أن يكون ديناً عالمياً ومهيمناً على سائر الأديان وناسخاً لها، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [سورة المائدة:٤٨]،وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة الصف: ٩]، إذ ذهب المفسرون في تفسير هذه الآية: إلى أنّه في آخر الأزمان لا يبقى دين غير الإسلام فهو الدين الخاتم(٢)، وهو ما يوافق قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

---

(١) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص٥٠. مرجع سابق.

(٢) القرطبيّ، **تفسير القرطبي**، ج١٨ص٦٥. مرجع سابق. الصابوني، **التفسير الواضح الميسّر**، ص١٤٠٨. مرجع سابق. النّسفي، **تفسير النّسفي**، مج٢، ج٤ص٢٥٣. مرجع سابق.

وبما أنّ هذا الدين هو الرسالة الخاتمة فإنه يستلزم العالمية لتناسب تغيّر الأزمان والأحوال، وفي هذا السياق وقف المستشرق توماس أرنولد مقرّاً بهذه الحقيقة مستدلاً عليها بالآيات الآتية(١):

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة ص:٨٧].

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[سورة يس:٦٩](٢).

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان:١].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الصف:٩].

فمن خلال هذه الآيات وبما تحويه من خطاب موجه للكافة استطاع أرنولد أن يدرك بأنّ هذه الرسالة غير مقتصرة على فئة معينة أو زمن خاص.

والخطاب الرباني في القرآن الكريم يتضح توجهه في مخاطبة الناس كافة؛ من خلال الآيات المبدوءة بعبارة "يا أيها الناس" فالخطاب دلالة على عالمية الدعوة وعموم الرسالة، فالرسالة تعرض على الناس كافة وفي حالة قبولها يتم مخاطبة من أجاب الدعوة واعتقدها وآمن بها من خلال الآيات المبدوءة بعبارة "يا أيها الذين آمنوا"، أي أنّ نداء "يا أيها الناس" موجه للأمة بشكل عام، ونداء "يا أيها الذين آمنوا" موجه للأمة التي أجابت الدعوة، إلا أنّ هناك من ذهب إلى خصوصية الدعوة ورفض عمومها احتجاجاً بالخطاب الرباني "يا أيها الذين آمنوا"؛ إلا أنّ الله قيض من رد على هذا الاعتراض، إذ عرف الحق فآثر إعلانه ودحض هذه المغالطة؛ إذ يقول مارسيل بوازار في الرد على هذا الاعتراض: "وقد ظنّ أنه بالإمكان الإيحاء بأنّ النداء "يا أيها الناس" المستعمل في السور المكية، قد استبدل به فيما بعد "يا أيها الذين آمنوا" حين استقر النبي

---

(١) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص٤٩. بتصرف. مرجع سابق.

(٢) هذه الآية استشهد بها الكاتب، والأصح الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [سورة يس: آية٧٠].

في المدينة. وهذه الملاحظة مغلوطة ولا يمكن على أي حال أن تتخذ الأهمية التي يراد إضفاؤها أحياناً عليها، ولا ينبغي في الواقع النظر إلى النداء بمعزل عن سياقه العام. فحين يكون الخطاب موجهاً للبشرية جمعاء تستخدم صيغة "يا أيها الناس"... وبالمقابل فإنّ "يا أيهـا الـذين آمنـوا" تستعمل حين يكون الإرشاد الأدق والأكثر خصوصية موجهاً إلى المسلمين أنفسهم...وهكذا فإنّ الإيضاحات بشأن التسلسل الزمني لا معنى لها، ما دام القرآن بشكله الحـالي المثبـت حـسب تعليمات النبي، يؤلف كلاً شاملاً لا يتجزأ. والتنزيل الإلهي يتوجّه إلى جميع الناس داعياً إيـاهم إلى اعتناق الدين، ويخاطب على مستوى مختلف، المؤمنين بشكل خاص، ليبيّن لهـم القاعـدة الواجب إتباعها. وعلى هذا فإنه يدعو إلى تأليف مجتمع منفصل منبثق بشكل طبيعي من التعاليم القرآنية، دون أن يكون في ذلك تقليل من عالمية الدعوة الإلهية"(١).

كما أنّ دعوة الرسول الكريم لم تقتصر على قومه أو عشيرته، بل توجه بها إلى من هـو خارج نطاق الجزيرة وما الكتب والرسائل التي أرسلها رسول الله إلى الزعماء والحكماء إنمـا أرسلها انطلاقا من عمومية الرسالة وعالميتها، إذ لو لم تكن دعوة ورسالة عالمية لكان بعثه هذه الكتب ضرباً من العبث واستعراض القوة، وكان وقتها قد أقحم نفسه في حروب وعداءات هـو غني عنها، فدعوته ﷺ دعوة عالمية وجّهت للناس كافة: "أنّ الدعوة التي بعث بها رسول الله ﷺ، إنما بعث بها إلى الناس كافة، لا إلى قوم بأعينهم، وأنّ رسالته إنما هي إنسانية شاملة ليس لهـا طابع عنصرية أو قومية أو جماعة معينة، ولذلك اتجه ﷺ بدعوته يبلغها إلى كل حكـام الأرض وملوكها"(٢).

فتوجه الرسول بالدعوة خارج نطاق قومه وبني جنسه إنما هو لأمر خارج عـن إرادتـه ووحي موحى إليه به، وهذا ما ذهب إليه أرنولد: "...ولكي تكون هذه الدعوة عامـة، وتحـدث أثرها المنشود في جميع الناس وفي جميع الشعوب، نراها تتخذ صورة عملية في الكتب التي قيل إنّ محمداً بعث بها في السنة السادسة من الهجرة(٦٨٨م) إلى عظماء ملوك ذلك العصر...على أنه، إن كانت هذه الكتب قد بدت في نظر من أرسلت إليهم ضرباً من الخرق، فقد برهنت الأيام

---

(١) بوازار، **إنسانية الإسلام**، ص١٧٧. مرجع سابق.

(٢) البوطي، محمد سعيد رمضان: **فقه السيرة**، ص٣٤٥، دار الفكر.

على أنها لم تكن صادرة عن حماسة جوفاء. وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحاً وأشد صراحة على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام"(١).

وإذا ما أوقفتنا عبارة "التي قيل إنّ محمداً بعث بها..." فهو يؤكد ويبرهن على أنّ ما قيل حول إرسال النبي لهذه الكتب ضرباً من العبث أثبتت الأيام عكس ذلك، فإنّ هذه الكتب التي بعث بها النبي ﷺ قد ترتب عليها الكثير، إذ دخل البعض منهم في صلح مع المسلمين والبعض الآخر سيرت جيوش الفتح الإسلامي لأرضه لتبليغ دعوة الله للناس كافة.

فما جاءت رسالة الإسلام للعرب وحدهم، ولم يبعث النبي ﷺ للعرب فقط، إنما رسالة الإسلام رسالة شاملة جامعة، ويقول ﷺ في عموم رسالته: " والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمّة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثمّ يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النّار"(٢).

ودخول أجناس مختلفة في الإسلام من غير العرب ما هو إلا دلالة على أنّ الإسلام عالمي لم يقتصر في خطابه على العرب وحدهم، وهي النتيجة التي أقر بها مونتغمري وات(٣) إذ يقول: "إنّ قبول أناس من مختلف الأجناس للإسلام ديناً لهم يبيّن أنّ رؤيا الإسلام على درجة عالية من العالمية"(٤).

فعالمية رسالة الإسلام لم يتوقف عندها الغربيون فحسب، بل أقر بها وتحدث عنها أبناء الشرق من غير المسلمين؛ فكان هؤلاء ممن أوتوا علماً من الكتاب المقدس جاءت شهاداتهم

---

(١) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص٤٩. مرجع سابق.

(٢) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النّيسابوري ٢٠٦_٢٦١هـ: **صحيح مسلم**، ص٤٧، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته. مكتبة الثقافة الدينية،(١٤٢٢هـ_٢٠٠١م).

(٣) وليام مونتغمري وات مستشرق اسكوتلندي، عمل أستاذاً للعربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره من سنة١٩٦٤ إلى سنة١٩٧٩، وكان في مطلع حياته قسّاً بالكنيسة الأسكوتلندية، وقد أطلق عليه في إحدى المقابلات التي أجريت معه لقب (آخر المستشرقين). وقد تلقى دراسته في الكلاسيكيات بجامعة أدنبره، ودرس الفلسفة والتاريخ القديم في أكسفورد. وفي السنوات١٩٣٤_١٩٣٨ قام بتدريس الفلسفة الأخلاقية في جامعة أدنبره، من مؤلفاته: "بواكير الإسلام" و"مدخل إلى القرآن" و"موجز تاريخ الإسلام" و"محمد في مكة" و "محمد في المدينة" ثم جمعها في كتاب "محمد دين ودولة".(وات، مونتغمري: **ما هو الإسلام؟**، ط١، ص٥_٦، ترجمة أبو بكر الفيتوري، تعليق الصدّيق بشير نصر، دار قتيبة، دمشق_سوريا،(٢٠١٢).

(٤) وات، مونتغمري: **ما هو الإسلام؟**، ص١٢٣. مرجع سابق.

موازية لشهادات أبناء الغرب فبقاؤهم على نصرانيتهم لم يثنهم عن إنصاف الإسلام؛ إذ يقول في ذلك نصري سلهب[(١)]: "الإسلام دين الأزمنة جميعها، وقد أُعدّ لجميع الشعوب. فهو ليس للمسلمين فحسب، ولا لعرب الجزيرة الذين عايشوا النبي ﷺ وعاصروه فحسب، وليس النبي نفسه ﷺ، نبي العرب والمسلمين فحسب، بل هو نبي كل مؤمن بالله واليوم الآخر والنبيين والكتب المنزلة"[(٢)].

إنها شهادة حق تنضم لشهادات كثيرة يختلف أصحابها في المنهج والاتجاه بل البيئة والزمان والمكان، يقر بها أعلام الفكر وأصحاب العقول التي ما منعها التعصب واختلاف الديانة عن قول كلمة حق يقول بها من يؤمن بالله واليوم الآخر ويقر بتعدد الأنبياء والكتب المنزلة.

فبعموم هذه الرسالة وكونها للناس كافة تميزت عن سابقتيها من الشرائع السماوية اليهودية والمسيحية التي اختصت كل منهما بقوم معين وزمان محدود وهو ما تأتي به شهادة نصراني آخر تنضم لشهادة سابقه فيصرح به نظمي لوقا[(٣)] بعد حديثه عن خصوصية كل من اليهودية والمسيحية إذ يقول عن عالمية الإسلام: "أما من جهة موقعها من الناس فينبغي أن يتجه الدين الجديد إلى الناس كافة، لا فرق بين شعب وشعب، ولا بين جيل وجيل، ولا بين طبقة وطبقة... وهكذا لا بد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للكافة، العامة منهم والخاصة، يشعر كل منهم أنّ له عقيدة يطمئن إليها، وأنّ هذه العقيدة رباطه بالدنيا، وبالآخرة. بالله وبالإنسان. فالناس أمة

---

(١) نصري سلهب مسيحي من لبنان، يتميز بنظرته الموضوعية وتحريه للحقيقة المجردة، كما عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية في لبنان _كما يزعم_ إن على المستوى الفكر أو مستوى الواقع. وعبر الستينات كتب العديد من الفصول وألقى العديد من المحاضرات في المناسبات الإسلامية والمسيحية على السواء، متوخياً الهدف نفسه. من مؤلفاته: "لقاء المسيحية والإسلام" و "في خطى الحبيب"..(خليل،**قالوا عن الإسلام**، ص٦٩.) مرجع سابق.

(٢) سلهب، نصري: **لقاء المسيحية والإسلام**، ص٤٠٣، دار الكتاب العربي، بيروت_لبنان.

(٣) نظمي لوقا جرجس ولد عام ١٩٢٠م في مدينة دمنهور "عاصمة محافظة البحيرة"، قضى حياته في مصر حصل على شهادة إتمام المرحلة الإبتدائية في مسقط رأسه، ثم على شهادة إتمام الدراسة الثانوية من الإسكندرية، ثم التحق بجامعة القاهرة، وحصل على ليسانس الاداب قسم الفلسفة عام"١٩٤٠"، كما حصل على ليسانس مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة، ثم واصل دراسته العليا وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة. عمل مدرساً بالمدارس الثانوية في مدينتي السويس والإسكندرية، وأستاذاً للفلسفة بكلية المعلمين بالقاهرة، ثم بكلية الآداب جامعة عين شمس. كان عضواً بنادي القلم الدولي، وعضواً باتحاد كتاب مصر، وعضواً باتحاد الكتاب العربي، أثارت كتاباته عن الإسلام ونبيّه انتباه الناس جميعاً. من مؤلفاته"محمد الرسالة والرسول" و"محمد في حياته الخاصة" و"التقاء المسيحية والإسلام"، وقد توفي نظمي لوقا في القاهرة عام ١٩٨٧م.

واحدة في هذا الدين الجديد، هذا الدين الجديد المرموق هو دين البشر، وكان الإسلام هو الذي انبرى للنهوض برسالة هذا الدين"[١].

فنظمي لوقا المسيحي المطلع على العهد الجديد والقديم أدرك أنّ الإسلام دين عام تجاوز خصوصية كل من اليهودية والنصرانية، وأيقن أنه في نهاية المطاف لا بد من رسالة توجه للبشرية جمعاء وتجمعهم على عقيدة تصلح للكافة.

وبهذا يصرح إبراهيم خليل أحمد[٢] إذ يقول: "على أن رسالة الإسلام لم يقصد بها العرب وحدهم، بل العالم أجمع. ومن ثم أصبحت مهمة الرسول بعد أن تم له توطيد دعائم الإسلام في بلاد العرب أن يدعو الأمم المجاورة لاعتناق الإسلام قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـٰذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة سبأ:٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء: ٧٩].

---

(١) لوقا، نظمي: **محمد الرسالة والرسول**، ط٢، ص٦١_٦٣، الموسوعة الإسلامية الكبرى، تقديم كمال الدين حسين، دار الكتب الحديثة، القاهرة(١٩٥٩أغسطس).

(٢) نشأ القسيس إبراهيم نشأة مسيحية؛ فقد ولد بمدينة الإسكندرية في ١٣ يناير عام ١٩١٩ م، وتدرج في مدارج العلم بمعاهد الإرسالية الأمريكية وحصل على دبلوم كلية أسيوط الثانوية عام ١٩٤٢ م، وهو معادل للتوجيهية، ثم حصل على دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة عام ١٩٤٨ م، وعين قسا راعيا بكنيسة بافور الإنجيلية في محافظة أسيوط، وفي عام ١٩٥٢ م، انتدب بالإضافة إلى عمله بالكنيسة قسا بكلية اللاهوت الإنجيلية الكندية بأسيوط، ثم رقي إلى قسيس مبشر بالإرسالية السويسرية الألمانية بأسوان.
وشغل مراكز: عضو مجمع مشيخة أسيوط، وعضو سنودس النيل، وزميل للمرسلين الأمريكيين، وضالع في المخطط التبشيري بين المسلمين مع المراسلين الأمريكيين والأوروبيين، كانت حياته في دولة إسلامية وبين المسلمين فرصة لسماعه القرآن، بل ودراسته للقرآن، فكان يقف عند آيات عديدة تدفعه لعمل مقارنة مع ما يجده في الكتاب المقدس عند المسيحيين، منها قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ١٥٧]؛ فأخذ يدرس ويقارن بين الشرائع السماوية بحثاً عن الحق إلى أن وصل إلى درجة اليقين بأن الإسلام هو الدين الحق؛ فأعلن إسلامه.http://www.islam-love.com

وفي الحديث الشريف: "وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامّـــة"(١)، وبهذا يتضح الفارق بينه وبين الأنبياء قبله(٢).

لقد أدرك إبراهيم خليل أحمد الفرق الجوهري بين النبي وسائر الأنبياء والذي يترتب عليه الاختلاف في طبيعة رسالة النبي محمد ﷺ وسائر الرسالات التي سبقته، فتلك الرســائل كانــت مخصوصة لأقوام بعينهم لتصلح جانب من حياتهم ولمدة معلومة عند الله تعــالى، أمــا رســالة الإسلام فبعثت للناس كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد كان النبي ﷺ رحمة للعالمين كافة، فهو النعمة المهداة للبشرية جمعاء، إذ لم تنحــصر دعوته في نطاق الجزيرة العربية، ولم تتوقف على عصره وزمانه، بل شملت الأزمان والأجيال المتلاحقة.

وما دخول الإسلام والتزام تعاليمه من قبل جنسيات أخرى من غيــر العــرب إلا دلالــة واضحة على أنّ الإسلام لم يكن بدعوته مقتصراً على العرب فحسب، وهذا ما ذهب إليه ناصر الدين دينيه(٣): "ومن مميزات الإسلام الأصيلة ملاءمته لجميع الأجناس البشرية، فلم يكن العرب وحدهم هم الذين اتبعوا الإسلام، بل كان من ضمنهم من هو من فــارس كــسلمان الفارســي، وبعضهم من النصارى كورقة، وبعضهم من اليهود كمخيريق وعبد الله بن سلام، وبعضهم مــن الأحباش كبلال وغيرهم، وجاء فــي القــرآن الكــريم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا

---

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦هـ: **صــحيح البخــاري**، ط١، ص٤٧، كتــاب التيمم، باب قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦]، حديث رقم٣٣٥، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم أحمد محمد شاكر، مكتبة الثقافة الدينية،(١٤٢٥هـ_٢٠٠٤م).

(٢) أحمد، إبراهيم خليل: **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن**، ص١٨٩، دار المنار،(١٤٠٩هـــ ١٩٨٩م).

(٣) ناصر الدين دينيه هو: ألفونس إتيان دينيه(١٨٦١_١٩٢٩)، رسام مستشرق فرنسي ولد في باريس وســط عائلة برجوازية، قام برحلة ناجحة إلى مدرسة الفنون الجميلة، فاستطاع الفوز بميدالية من صالون الفنون لقصر الصناعة عام ١٨٨٤م، حصل على منحة دراسية إلى الجزائر، لدى عودته إلى باريس عام ١٨٨٩ عرض لوحاته التي رسمها عن مدينة بوسعادة في المعرض العالمي وفاز بالميدالية الفضية، لكن تــأثير الصحراء الجزائرية لم يفارقه فعاد مرة أخرى إليها ولكن بشكل دائم، وأصبح يتكلم اللغة العربية بطلاقة، وتصادق مع رفيق حياته ودربه سليمان بن إبراهيم، وفي عام ١٩١٤م طرأ تحول كبير على حياته حيث أعلن إسلامه فأحدث إسلامه ضجة في أوساط الفرنسيين وفي أوساط الطبقة الفنية فاتهموه بالخيانة، لكنه لم يعبأ بتلك التهم وذلك لأنه دخل الإسلام عن قناعة، سافر في عام ١٩٢٩م إلى مكة لأداء فريضة الحج وبعد انتهاء موسم الحج سافر إلى باريس وتوفي فيها ونقل جثمانه إلى مدينة بوسعادة ودفن فيها، وفــي الثلاثينيات من القرن الماضي أنشأ في بوسعادة متحف ناصر الدين ومازال موجود ليومنا هذا وهو مــن أكبر المتاحف، كان نشطاً في ترجمة الأدب العربي إلى اللغة الفرنسية، من بين أعماله ترجمة لقــصيدة ملحمية لعنترة بن شداد. http://ar.wikipedia.org

وَنَـذِيرًا ﴾ [سورة سبأ: آية رقم٢٨]. فدين الرسول محمد ﷺ، قد أكد، من الساعة الأولى لظهوره، وفي حياة النبي ﷺ، أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان، وإذا كان صالحاً بالضرورة لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر. وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة..."(١).

نعم، إنه دين الفطرة دين يخاطب العقول ويُوحد الأمم، دين يستطيع أن يلائم جميع الأجناس والحضارات، والحضارة الإسلامية التي أُقيمت وفتحت البلاد من شرقها إلى غربها دليل على حضارة الإسلام والمسلمين.

وإلى هذا ذهبت لورا فيشيا فاغليرى(٢) قائلة: "إن الآية التي تشير إلى عالمية الإسلام بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبيّه "رحمةً للعالمين" هي نداء مباشر للعالم كله.. وهذا دليل ساطع على أنّ الرسول شعر في يقين كليّ أن رسالته مقدّر لها أن تعدو حدود الأمة العربية وأن عليه أن يُبلغ "الكلمة" الجديدة إلى شعوب تنتسب إلى أجناس مختلفة، وتتكلم لغات مختلفة. وثمة دليل آخر على هذا الشعور نفسه في الحديث النبوي الذي يشير إلى أنه كان من عادة محمد أن يقول: "بعثت إلى كل أحمر وأسود"(٣) أو أن يستعمل تعابير أخرى مماثلة. بل إننا نجد دليلاً إضافياً في الإشارة إلى الفتوح المستقبلة وراء تخوم بلاد العرب، وأخيراً في الاتصالات التي بدأ محمد نفسه بها مع البلدان الأجنبية"(٤).

والرسول ﷺ عندما توجه ليبلغ هذا الدين التي أشارت إليه فاغليرى ب (الكلمة الجديدة) لم يكن توجهه مبنياً على شعور نفسي وإنما هو امتثال لما أمر وأوحى به الله إليه، كما أنه بعث ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام وذلك في السنة السادسة للهجرة، أي بعد أن أرسى دعائم دولته وهادن أعداءه بعد صلح الحديبية، وبما أنّ دين الإسلام للناس كافة، فقد آن الأوان

---

(١) دينيه، اتيين: **محمد رسول الله**، ترجمة عبد الحليم محمود، محمد عبد الحليم محمود، ص٣٦٢_٣٦٣، دار المعارف_مصر.

(٢) لورا فيشيا فاغليرى باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وآدابها. من آثارها: "قواعد العربية"، و"الإسلام"، و"دفاع عن الإسلام"، والعديد من الدراسات في المجالات الإستشراقية المعروفة.(خليل، **قالوا عن الإسلام**، ص٧٥). مرجع سابق.

(٣) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٠٦- ٢٦١): **صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل إلى رسول الله**ﷺ، خدمة وعناية أبي قتيبة نظر محمد الفريابي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج١ص٢٣٦، حديث رقم٥٢١، دار طيبة-الرياض،(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

(٤) فاغليرى، لورا فيشيا: **دفاع عن الإسلام**، نقله إلى العربية منير البعلبكي، ط١، ص٢٤_٢٥، دار العلم للملايين، بيروت،(١٩٦٠).

أن يبعث ﷺ بهذه الرسائل والكتب للملوك والأمراء خارج حدود الدولة الإسلامية ودعوتهم إلى الإسلام، وكذلك ليشعرهم أنهم ليسو بمأمن في دولهم إن لم يستجيبوا لأمر الله تعالى فإنّ دولهم إلى زوال.

المطلب الثالث: ختم النبوة والعالمية

جاء الرسول ﷺ خاتماً للنبيين وبرسالته اكتملت الشرائع السماوية واختُتمت، إذ يقول تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]، وقوله ﷺ: "إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"(١).

ومن أنصف الإسلام من المستشرقين وفهم الدين على حقيقته أخذ يظهر حقائقه على الرغم من بقائه على دينه، وأدرك أن ختم النبوة يستلزم عالمية هذا الدين، فتقول المستشرقة لورا فيشيا فاغليري: "...إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد، آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع، والنبي الذي ختم سلسلتهم إلى الأبد، إن مثل هذه الرسالة كان يتعيّن عليها أن تكون رسالة عالمية لجميع أفراد الجنس البشري من غير تمييز وعلى اختلاف الجنسيات والأوطان والأعراق"(٢).

وبما أنّ الإسلام آخر الرسالات السماوية نزولاً، والنبي خاتم النبيين؛ فختم النبوة يستلزم ختم الشرائع السماوية إذن من البدهي أن تكون رسالة الإسلام رسالة عالمية، إذ لو لم تكن عالمية لتنافى ذلك مع أن تكون الرسالة الخاتمة، ولاستدعى ذلك، وبطبيعة الحال، أن يأتي نبي آخر لمواكبة ما يطرأ على البشرية من تطورات ومستجدات، إلا أنّ إرادة الله ﷻ قضت أن تكون رسالة الإسلام الرسالة التي ارتضاها للبشرية كافة، وصدق الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة: آية رقم٣].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ص٤١٨، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، حديث رقم٣٥٣٥. مرجع سابق. مسلم، **صحيح مسلم**، ص٥٩٢، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، حديث رقم٢٢٨٦. مرجع سابق.

(٢) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص٢٨. مرجع سابق.

ومن يعارض ذلك فإنما معارضته لا تقوم على حجة منطقية أو دليل عقلي، في الوقت الذي قدّم فيه من يقول بعالمية الدعوة وكون النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين أدلة تبرهن صدق هذا القول، كما أنّ الواقع يصدق ويقر هذا، إذ لم يأت نبي بعد محمد ﷺ يدعي النبوة وأنه رسول لرسالة جديدة مبرهناً ذلك بأدلة وبراهين، فتبقى الرسالة برسولها خاتمة الرسالات والرسل بشهادة أصدق الأدلة، القرآن والسنة، وهذه شهادات منصفين نطقوا بها عن بينة وعلم.

إذ قبل رسالة محمد ﷺ كانت كل رسالة خاصة في القوم الذي أرسلت إليهم، وكل نبي مبعوث لقومه، لقوله ﷺ: "وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامّة"(١)، فتبقى هذه الرسالة مستمرة ويعمل بشرائعها وأحكامها حتى تأتي رسالة أخرى ناسخة لها، إلى أن جاء الإسلام مكملا وناسخاً لما قبله، إذ كان آخر الرسالات فلم يتعرض للنسخ أو الإضافة، وبهذا استدل مارسيل بوازار: "ولا تتعرض المقدّمة المنطقية ذات الطابع العالمي في الإسلام للنقض إذا أخذنا في الحسبان أنّ التنزيلات تتعاقب. فالحقيقة لم تنقل إلى الناس مرة واحدة وأخيرة. وتبقى كل رسالة إلهية سارية المفعول حتى تأتي الرسالة التالية فتؤكدها وتحتويها وتعمّقها، ولما كان القرآن التعبير الأخير عن إرادة الله، فقد كفل أصالة الرسالات السابقة وصحتها دون أن يؤكد سريان مفعولها الذي بطل جزئياً بمجيء الإسلام. ولما كان هذا ديناً تاماً كاملاً، فقد تجاوز كل الأديان الأخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ [سورة النساء: آية ٤٧]"(٢).

والحقيقة واضحة سرعان ما يدركها العقل البشري إذا ما سار على منهجية علمية خالية من الأحكام المسبقة، وهذه الحقيقة التي أدركها مارسيل تأتي كفلق الصبح حجة دامغة لأبناء جلدته وأولئك المستغربين الذين كانوا صدى لأصوات غربية رددوها من غير أدلة وبراهين، فقد توصل إلى ما توصلت إليه لورا التي استنتجت أنّ ختم النبوة يعني عالمية رسالة خاتم النبيين، فقد توصل مارسيل إلى عالمية الدعوة عن طريق المنطق؛ فالشرائع السابقة كانت تنقل الحقيقة للناس تدريجياً بما يناسب أزمانهم وأحوالهم، وتبقى سارية المفعول إلى أن يأتي ما يبطل

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ط١، ص٤٧، كتاب التيمم، باب قوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦]، حديث رقم٣٣٥. مرجع سابق.

(٢) بوازار، **إنسانية الإسلام**، ص١٧٥_١٧٦. مرجع سابق.

مفعولها، وبمجيء الإسلام بطل سريان مفعول تلك الشرائع مع تأكيده على مصداقيتها، بل جعلت الإيمان بهذه الرسالات والرسل جزءاً أساسياً لا يكتمل إيمان المرء إلا به، وعلى هذا فرسالة الإسلام سارية المفعول والعالمية لعدم وجود رسالة توقف سريان مفعولها.

وعموم رسالة الإسلام لم تترك مجالاً لتكرار النبوة من جديد، وهو ما يعلنه نظمي لوقا بقوله: "ولكن هل تكرر تلك النبوة على ذلك الأسلوب؟ لا حاجة للبشرية بذلك التكرير. فإنّ طور الأسلوب العقلي المجرد هو آخر أطوار البشرية. ومن تفتح عقله، وبلغ رشده، فطائره في عنقه، وعليه يعود ذلك أن يعمل فكره، وقد تسلم قياد نفسه. للرسالة خصوصية هي إتمام ما سبق. ومتابعة البشر في أطوار نضجهم بما يناسبهم من الهداية والصلاح. فما هي الخصوصية التي يمكن أن تكون موضوع رسالة جديدة بعد رسالة الإسلام؟. لقد تمت فكرة التوحيد. وتم خطاب العقل. وتم البلاغ إلى الناس كافة، أحمرهم وأسودهم، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه، وبدنياه. وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على ذلك الأساس حسبما يستجد لهم من الأمور. فكل رسالة بعد ذلك طول معاد ليس فيه جديد يستفاد:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة: آية ٣]. وبسبب من طبيعة الرسالة، ومن الحاجة الطبيعية للناس إليها، كان من الطبيعي أن يكون هذا الرسول خاتم الرسل، لأنّ رسالته كانت خاتمة الرسالات"(١).

وبنبوته ﷺ أقفل باب النبوات، وبرسالته ختمت الرسالات فما عادت البشرية بحاجة إلى شريعة أخرى أو نبي آخر، فقد جاءت رسالة الإسلام رسالة متممة لما سبقها شاملة لا ينقصها شيء، موجهة للبشرية جمعاء، وفي ذلك يقول فيليب حتي(٢): "وبطبيعة الحال يرد اسم محمد ﷺ

---

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ط٢، ص٩٢_٩٣. مرجع سابق.

(٢) فيليب حتي: مؤرخ لبناني ولد في قرية شملان في جبل لبنان، ودرس في مدرسة الأمريكيين وأكمل دراسته في الكلية الإنجيلية، نال شهادة البكالوريوس عام ١٩٠٨م، ومارس التدريس في نفس الجامعة حتى سنة ١٩١٢م، حاز درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا سنة١٩١٥م، عمل بالجامعة ذاتها حتى عاد إلى بيروت عام ١٩٢٠م ليدرس بالجامعة الأمريكية، ذهب عام ١٩٢٥م إلى جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أسس أول دائرة تعنى بالشؤون العربية في الجامعات الأمريكية، عمل أستاذاً زائراً في جامعة هارفارد، تخرج على يديه عدد من أبرز المؤرخين العرب، ويعدّ فيليب حتي من المؤرخين المهمين، بل ومن مؤسسي المدرسة التاريخية الحديثة في البلاد العربية وهو نصراني لم تخلُ مؤلفاته من التعصب للنصرانية، ومن أبرز مؤلفاته: تاريخ العرب، صانعو التاريخ العربي، لبنان في التاريخ.(**الموسوعة العربية العالمية**، ص٧٠٠، مؤسسة أعمال الموسوعة_الرياض)

مع أسماء الذين جاءوا قبله شاهداً على نبوّته. ولكن بينما يرد اسم نبي الإسلام في آخر السلسلة الشريفة في الترتيب الزمني، فإنّه من حيث الأهمية والمقام يأتي على رأس تلك السلسلة. ثمّ إنّه خاتم الأنبياء، أي آخر الرسل الذين بعـثهم الله:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[سورة الأحزاب: آية ٤٠]. إنّ شريعته تجمع كلّ ما في الشرائع وتُكمّلها ثم تنسخها كلّها. ولقد كان من أسباب ذلك أيضاً أن اليهود والنصارى كما جـاء في القرآن قد بدّلوا الوحي الذي نزل عليهم في شريعتهم. وفـي الحـديث الـشريف: "لا نبـيّ بعدي"[١]. إنّ الله قد قال على لسان محمد كلمته الفصل إلى الإنسانية، وليس بالإمكان أن يكـون بعد ذلك كلمة أخرى أكثر فصلاً أو أحسن دلالة"[٢].

وتحدث الحق عن نفسه سواء كان فليب حتى مقتنعاً بهذا الرأي أم لا ولكنه لم يستطع أن يرد حقيقة ثابتة في الإسلام ولم يستطع أن ينكر أن رسالة النبي الخاتم هي خاتمـة الرسـالات السماوية.

ويتحدث عبد الأحد داود[٣] عن ختم الرسالات السماوية برسالة الإسلام قائلاً: "من الواضح أنّ طبيعة الإسلام تتكون في جوهرها من مملكة دينية صحيحة وحقيقية على الأرض. ولم تعـد لله حاجة في إرسال مرسلين أو أنبياء لنقل إيحاءاته ورسائله للمسلمين كما جرت العادة بالنـسبة لإسرائيل العبرية الأخرى، لأنّ مشيئته منزلة بصورة كاملة في القرآن الكريم ومطبوعـة فـي عقول رعاياه المخلصين"[٤].

لقد ختمت سلسلة النبوة الشريفة بمحمد ﷺ وكانت الرسالة التي شملت مـا سـبقها مـن الرسالات وهيمنت عليها وأصبحت بذلك الدين الذي لا يقبل سواه، وإنّ تلـك الـشرائع كانـت

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ص٤٠٩، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عـن بنـي إسـرائيل، حـديث رقم٣٤٥٥. مرجع سابق.

(٢) حتي، فيليب: **الإسلام مـنهج حيـاة**، نقلـه إلـى العربيـة عمـر فـروخ، ط٢،ص٢٣_٢٤، دار العلـم للملايين_بيروت، آذار (مارس)١٩٧٩.

(٣) البروفسور عبد الأحد داود هو القسيس دافيد بنجامين كلداني وهو من طائفة الكلدانيين الموحـدين، التابعـة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية وكان يحمل شهادة الليسانس في علم اللاهوت.(داود، عبد الأحد: **محمد في الكتـاب المقـدس**، ط٢، ص٣١، ترجمـة فهمـي شـمّا، مراجعـة أحمـد محمـد الـصّديق، دار الضياء_قطر،(١٤٠٥ه_١٩٨٥م)).

(٤) داود، **محمد في الكتاب المقدس**، ص١٤١. مرجع سابق.

خاصة بذلك الزمان وبمن عاصرها، ولم تسلم من التحريف والتبديل، وجاءت بعثـــة النبـــي ﷺ برسالة الإسلام الصورة النهائية لتلك الرسالات لأنها خُتمت بكمال الدين وبهذا الكمال لـــم يعـــد هناك حاجة لبعثة أنبياء آخرين فلم يتبق للناس على الله حجة وقد قال تعـــالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ [سورة النساء: آية١٦٥].

المبحث الثاني: سماحة الإسلام

السماحة ميزة من ميزات هذا الدين الحنيف وصفحة من صفحاته المشرقة التي جذبت أنظار المنصفين من الغرب والشرق فاستوقفتهم برهة ليجدوا فيه ما لم يجدوه في أديانهم فقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: آية١٠٧]. فالرحمة والتسامح ميزتان تلازم إحداهما الأخرى، والإسلام دستوراً ومنهاجاً يعلمنا التسامح ويحثنا عليه ويرغبنا بالعفو، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: آية١٣٤].

وهذا النبي محمد ﷺ يضرب لنا أروع الأمثلة في تسامحه وعفوه عن الناس؛ بعد أن منّ الله عليه بفتح مكة، فموقفه مع من آذوه وأخرجوه من بلاده ولقي منهم ألواناً شتى من العذاب وعفوه عنهم، موقف لا تجد له مثيلاً في غير دين الإسلام، فهل هناك تسامح أروع وأنبل من هذا التسامح؟! إنها مدرسة الإسلام مدرسة الأسوة الحسنة والقدوة الفاضلة.

المطلب الأول: لا إكراه في الدين

لا إكراه في الدين هذا هو العنوان الكبير في دين كان المبلغ والرسول فيه محمد ﷺ، ودين لا يدخل قلوب وعقول أتباعه إلا بالرضا والقناعة والطواعية لهو جدير بالإتباع والتفاني في سبيله فقد قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [سورة البقرة: آية٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: آية٩٩]، وما الفائدة المرجوة من الإكراه والجبر لاسيما في الشرائع والأديان؟ فالمرء في هذه الحالة أسرع ما يكون إلى التحلل والتفلت من اتباع تعاليم الدين في أول فرصة تسنح له ذلك، لكن من اعتنق دينا ما عن رضا وقناعة يكن على أتم استعداد لبذل النفس والنفيس في سبيل قناعته وفي سبيل دين اختاره بعقله وقلبه، وهذا ما جعل الإسلام يفتتح القلوب والعقول قبل فتحه الدّول والبلدان.

وما عرف عنه ﷺ أنه استخدم في دعوته أسلوب الإكراه، فقد ضرب المسلمون أروع المشاهد والمواقف التي ترجمت السماحة لواقع ملموس وحقيقة يتنفسها الناس في وقت عرف به غير المسلمين بالعنف واستخدام القوة لتحقيق وتبليغ دعواتهم وأفكارهم، و لم يذكر التاريخ أنّ الرسول ﷺ أو الخلفاء الراشدين من بعده استخدموا سلطتهم لإجبار أحد على اعتناق الإسلام، وكان ذلك ديدن المسلمين ونهج حياتهم وشعار دعوتهم، مما جعل أهل الفكر الحر المنصف

يتغنّون بسماحة الإسلام وهي ما أشادت به ايفلين كوبولد[١]: "لا أدري كيف يكون الإسلام بعيداً عن الرحمة وهو لم يجبر جماعة واحدة على اعتناق دينه بالقوة، وفاقاً لما أمر به القرآن من أنه لا إكراه في الدين، وهذا شيء ثابت تؤيده الكتب التاريخية كلها، وليس هناك جماعة أو شعب غير المسلمين في العالم يستطيع أن يدعي هذه الدعوى أو يؤيده التاريخ بها"[٢].

لا بد أن حقيقة "لا إكراه في الدين" من ضمن ما استرعى انتباه هذه المستشرقة التي تركت دينها الذي نشأت وتربت عليه لتدخل في دين، لقد تيقنت أنّ هذا الدين شهد له الواقع والتاريخ؛ إذ لم يذكر عنه أنه أجبر فئة أو شخصاً على اعتناقه والتزام تعاليمه، فهو دين الرحمة والتسامح وحرية المعتقدات.

وهذه الشهادة لم تقتصر على أهل الاستشراق وأبناء الغرب كلا، بل إنها تخرج من فئة عاشت في بلاد الإسلام وخالطت المسلمين أمثال نصري سلهب الذي ينتقد تلك الحروب الصليبية التي كانت من الأخطاء التاريخية إذ إنّ مقدسات النصارى لم تتعرض للخطر في ظل حكم الإسلام، فشهادة رجل مثل نصري سلهب لن تذهب أدراج الرياح وهو ينصف الإسلام في حقيقة تسامحه وتقبله للآخر ويدفع عنه ما ينشره المفترون، فيثني على الحقبة التي عاش بها النصارى في ظل الإسلام آمنين على مقدساتهم ومعتقداتهم وأرواحهم، فيشيد بالعهدة العمرية[٣] التي عجز أن يسجل التاريخ مثلها عدلاً وتسامحاً وإكراماً[٤].

---

(١) الليدي افلين زينب كوبولد(١٨٦٧_١٩٦٣م) هي مستشرقة اسكتلندية. ولدت في ادنبره في أسرة ارستقراطية، اعتنقت الإسلام وأدت فريضة الحج سنة١٩٣٣م_١٣٥١ه، نشرت كتاباً عن أدائها للحج باسم "الحج إلى مكة".http://ar.wikipedia.org

(٢) كوبولد، اللادي ايفلين: **البحث عن الله إسلام نبيلة انكليزية وحجّها إلى مكة والمدينة**، عربه عمر أبو النصر، ص٤٩_٥٠، المكتبة الأهلية_بيروت،(١٣٥٣ه_١٩٣٤م).

(٣) بعد فتح دمشق توجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بيت المقدس وفتحها صلحاً وكتب لأهلها كتاباً نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً" واختلف القوم في صلح بيت المقدس فقالوا صالح اليهود وقالوا النصارى والمجمع عليه النصارى. (اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢): **تاريخ اليعقوبي**، ج٢ص١٤٧، دار صادر– بيروت).

(٤) سلهب، **لقاء المسيحية والإسلام**، ص٥٤،٣٣١. بتصرف. مرجع سابق.

ويقول أحمد سوسة[١] وهو من أصل يهودي: "ولا بد أن نقول بهذا الصدد بأنه لو كان الإسلام دين سيف وقوة لأباح مؤسسه ذبح اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في دائرة نفوذه. بيد أن التاريخ ينبئنا أنه في الوقت الذي كان المسيحيون آخذين بخناق بعضهم البعض منصرفين إلى اضطهاد إخوانهم المسيحيين وبينما كان اليهود مضطهدين في المجتمع النصراني كان محمد نبي الإسلام يبيح لغير المسلمين حرية العبادة في وقت كانت له من القوة والسلطان ما يمكنه من إرغامهم على التنصل من عقيدتهم واعتناق دينه"[٢].

وهل تلك الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ لمن يخالفه المعتقد والدين في المدينة النبوية في الوقت الذي كان يؤسس فيه لنظام دولته الجديد إلا مثال حيٌّ على تسامحه وتقبله للآخر في حدود دولته، إنّه إسلام التسامح، والدعوة إليه سبيلها الإقناع لا الإكراه، وديار المسلمين شاهدة على ذلك؛ فدور عبادة غير المسلمين قائمة لا تمتد إليها أيادي العبث، أو أفكار الاستهزاء فهي في نظر المسلمين دور عبادة يذكر الله بها وليس من الإسلام العبث فيها أو مهاجمتها أو تخويف الآمنين فيها، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك وما زال.

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة[٣]: "لا إكراه في الدين" هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام. فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها،

---

(١) أحمد سوسة مهندس عراقي ولد في الحلة بالعراق، أتم دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت عام١٩٢٣م، سافر إلى أمريكيا حيث حصل على بكالوريوس الهندسة المدنية، حصل على الماجستير من جامعة واشنطن، على الدكتوراه من جامعة هوبكنز عام ١٩٣٠م، عمل في عدة مناصب في العراق في مجال الري والهندسة المدنية،، وهو عضو مؤسس لجمعية المهندسين العراقيين، وعضو عامل في المجمع العلمي العراقي، حصل على وسام الكفاءة العلمية من ملك المغرب عام ١٩٧٦م، وجائزة الجامعة العربية عن أحسن كتاب في العالم العربي صدر عام١٩٧٧م، وجائزة الدولة التقديرية في العراق، وجائزة دولة الكويت عام ١٩٦٣م، توفي في العراق، ومن مؤلفاته: وادي الفرات، اليهود والعرب في التاريخ، الري في العراق.(**الموسوعة العربية العالمية**، ص٢٧٢، مؤسسة أعمال الموسوعة_الرياض)

(٢) سوسة، أحمد: **في طريقي إلى الإسلام**، ط١، ص٢٠٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،(٢٠٠٦).

(٣) زيغريد هونكه مستشرقة ألمانية ولدت في كيل سنة ١٩١٣م، وهي ابنة الناشر هاينريش هونكه، وزوجها المستشرق الألماني الكبير الدكتور شولتزا، درست علم أصول الأديان ومقارنة الاديان والفلسفة وعلم النفس والصحافة. تناولت دراسة الأديان بموضوعية وتعرف بإعجابها بالإسلام والعربية وذلك بعد الحرب العالمية الثانية وسقوط ألمانيا حيث ذهبت إلى المغرب وعاشت سنتين في طنجة، ثم رجعت إلى ألمانيا واستقرت في "بون" لتقوم بتأليف كتبها المشهورة عن إنصاف العرب والمسلمين لا سيما الأندلسيين، مما أدى إلى تعرضها إلى حملات استياء في موطنها جعلها تنضم إلى بعض الجمعيات الوطنية الألمانية لكف الأذى عنها، تعلمت اللغة العربية وأتقنتها وأخذت في قراءة الكتب العربية، والتاريخ العربي وبالأخص الأندلسي، ومن مؤلفاتها: "شمس العرب تسطع على الغرب" والذي قامت بتقديم مقدمة مؤثرة للنسخة العربية منه، وكتاب "الله ليس كذلك"، قيل أنها أسلمت في آخر عمرها قبل عام أو عدة أعوام من وفاتها التي كانت في هامبورغ عام ١٩٩٩م.http://ar.wikipedia.org

سمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم. وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى.

أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الإسبان واضطهادات اليهود؟"(١).

لقد تمتع اليهود والمسيحيون بكامل الحرية في أمور حياتهم وشعائرهم الدينية، في الوقت الذي حرموا من ذلك تحت حكم المسيحيين، وأصبحوا في ظل الإسلام آمنين بعدما لقوا أشكالاً وألواناً من صور الاضطهاد في ظل الحكم البيزنطي(٢).

دعوة مثل الإسلام لقي أصحاب الديانات الأخرى في ظلها الأمن والأمان، استرعت أفكارهم وقلوبهم، فجذبتهم أفكارها ومبادئها وأساليبها، مما جعل الكثير يدخلها معتقداً يقيناً بصدقها وصحتها، فدخلت الأفواج في هذا الدين من كل صوب وحدب، طواعية عن رغبة ومحبة ودون أي أثر للإكراه.

ويقول المستشرق دوزي(٣): "فإننا نرى الإسلام قد انتشر بسرعة مدهشة بين تلك الشعوب التي غزوها(٤)، وهذه ظاهرة لم ير لها العالم مثيلاً من قبل، وهي تبدو _لأول وهلة_ لغزاً مستسراً لا سبيل إلى حله وتعليله، لا سيما إذا عرفنا أن هذا الدين الجديد لم يُكره أحداً على الدخول فيه"(٥).

إنّ السرعة المدهشة في انتشار الإسلام لم تكن بناء على استخدام القوة، فالقوة لا تولّد إلا القوة في سبيل مواجهتها، لكنّ الإسلام ينبذ أساليب العنف في الدعوة، ويوجهه إلى استخدام الأساليب السلمية المبنيّة على الحكمة حتى في الوقت الذي كان يمكن المسلمين من استخدام القوة

---

(١) هونكه، زيغريد: **شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه مارون عيسى الخوري، ط٨، ص٣٦٤، دار الجيل_ بيروت، دار الآفاق الجديدة_ بيروت، (١٤١٣ه_١٩٩٣م).

(٢) أنظر ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، ط٢،مج٤، ج٢ص١٣٢، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية_القاهرة،(١٩٦٤).

(٣) رينهرت دوزي: ولد عام ١٨٢٠م، مستشرق هولندي وأستاذ العربية في جامعة لَيْدَن، ينتمي إلى أصول فرنسية، اشتهر بدراسة تاريخ شمال أفريقيا والأندلس. له مؤلفات عدة، أشهرها تكملة المعاجم العربية أو المستدرك.(بدوي، عبد الرحمن: **موسوعة المستشرقين**، ص٢٥٩، وزارة الثقافة). http://ar.wikipedia.org

(٤) الصواب غزاها.

(٥) دوزي: **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**، ص٣٩٩.

وما ذلك إلا التزاما بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [سورة النحل: آية١٢٥].

ويتابع دوزي قائلاً: "أضف إلى هذا أن الحكم الإسلامي كان يتوخى التيسير والخير العام والبر بالشعوب المحكومة لا سيما النصارى. فقد كان سواد المسيحيين في الشرق ينتمي إلى مذاهب لقيت من اضطهاد حكومة القسطنطينية و......ما أرهق أصحابها إرهاقاً. فلما جاء الإسلام ومن طبيعته التسامح والإخاء ترك لهم الحرية التامة في البقاء على دينهم ما داموا يؤثرونه على غيره من الأديان، وظللهم بحمايته، وسوى بينهم في الحقوق، على اختلاف مذاهبهم وشتى نحلهم"[(١)].

فالإسلام اتبع أعلى درجات التسامح مع غيره من الشرائع وأتباع الملل الأخرى، فهو إن كان يرى بها التحريف والتبديل إلا أنه لم ينكر لحظة صدق مصدرها وأصالتها، فلم يجبر أحداً من أتباعها التحول عنها وإتباع تعاليمه وإنما ترك لهم حرية الرأي والاختيار، فإن اقتنعوا فلهم ذلك وإلا فهم أحرار في معتقدهم ودينهم.

ويقول أحمد سوسة: "وصفوة القول إن الفائدة التي اكتسبها اليهود من ظهور الإسلام وانتشاره هي أعظم مما يتصوره المرء، لأنّ الإسلام أنقذ اليهود المنتشرين في أقاليم الدولة الرومية وغيرها من الأصقاع التي أصبحت تحت نفوذ الإسلام من الاضطهاد القاسي والعذاب المرّ اللذين كانا يقاسونهما فيها"[(٢)].

لقد جاء الإسلام مخلّصاً لأولئك المضطهدين تحت سلطة لا تعتقد بما يعتقدون، وأتاح لهم حرية الفكر والاعتقاد من غير أن يُجبر أحد على أي معتقد أو مذهب.

أما ما ادعاه البعض من تعصّب المسلمين وعنفهم وقسوتهم فقد ردّه أهل الإنصاف من المستشرقين أنفسهم، إذ تقول زيغريد: "ولعل من أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم، حتى إن الملك كيروس نفسه قال: إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخرّبين" فما يدّعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية ما هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذّبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب

---

(١) دوزي، **ملوك الطوائف**، ص٤٠٠. مرجع سابق.

(٢) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص٦٧. مرجع سابق.

المغلوبة. والتاريخ لا يقدّم لنا في صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب"[١].

واتهام المسلمين بالتعصب إنما هي ثمرة أحقاد وافتراء غير قائم على حجة وبرهان، وهذا بشهادة هذه المستشرقة، والتاريخ أصدق مثال في ردّ هذه الدعوى وتلك التهم، إذ ما هدف هذه المستشرقة من هذا الدفاع عن الإسلام غير أنها وجدت تهماً توجه إليه بلا أدلة وبراهين فرأت من الإنصاف والعدل أن تقول كلمتها الحق.

ويضرب السير توماس أمثلة عن تسامح المسلمين: "ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس إلى الإسلام. فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديمة في أمن وطمأنينة"[٢].

وتوماس أرنولد في كتابه القيم "الدعوة إلى الإسلام" تقصى حقائق هذا الدين وصور تسامحه فكان كتابه حجة داحضة لكثير من التهم والافتراءات أطلقت بلا هوادة ودون سند علمي ودليل واقعي بحق الإسلام وأهله.

ويرد آخر على إدعاء انتشار الإسلام بالسيف: "لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففي القرآن: " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبالّا يبدأوا بالاعتداء، وما نجده في القرآن من الآيات المبثوثة في سوره على غير ترتيب حول الجهاد فتشير إلى حوادث ذلك الزمن الراهنة وإلى ما كان يجب على محمد ان يسلكه هو وأصحابه في المغازي تبعاً لتبدل الأحوال، ولذلك نرى أنه ليس من الشريعة شمول تلك الآيات واستخراج مبدأ عام منها"[٣].

إنّ أول آية نزلت في تشريع الجهاد كما جاء في كتب التفسير قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ

---

(١) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٥٧_٣٥٨. مرجع سابق.

(٢) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص٦٥. مرجع سابق.

(٣) درمنغم، إميل: **حياة محمد**، نقله إلى العربية محمد زعيتر، ص١٦٧، دار إحياء الكتب العربية.

رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [سورة الحج، ٣٩-٤٠]، والجهاد في الإسلام لم تكن الغاية من تشريعه فرض الإسلام على الأمم والشعوب بالقوة، ولكن لرد الظلم والعدوان فجيوش الفتح الإسلامي لم يرافقها مبشرون بهذا الدين على غرار تلك الحروب الصليبية، وإنما كان الغرض من تشريع الجهاد تخليص الناس من الاستبداد وتمكينهم من العيش بحرية وفتح السبل أمامهم لتبلغهم دعوة الحق وعندها يعود لهم حرية الاختيار.

المطلب الثاني: معاملة الجيوش في الفتوحات

قلة هم المنتصرون والفاتحون الذين يدخلون البلاد التي فتحوها دون إحداث الفوضى والدمار، إذ تعبث أيديهم بكل ما تصل إليه، إلا جيوش الفتح الإسلامي التي شهد لها بذلك الأعداء قبل الأصدقاء، فلم تخرجهم بهجة النصر وغرور الانتصار عن منهج قرآنهم وسنة نبيهم في التسامح واللين، أو ليس دخول الخليفة الراشد عمرﷺ لبيت المقدس من أصدق الأمثلة على هذا التسامح؟ مع أنها المدينة نفسها التي شهدت وما زالت شاهدة على المجازر بحق المسلمين والمسيحيين على حد سواء.

ويشيد المنصفون من أهل الغرب بفتوحات المسلمين ويتغنّون بتسامحهم فكان منهج هؤلاء الفاتحين مثالاً يحتذى به وخطواتهم جديرٌ الاقتداء بها والسير على أثرها، فيقول لوبون(١): "كان يمكن أن تُعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم فيقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادةً ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم، فلو فعلوا ذلك لتألبت عليهم جميع الأمم التي لم تكن بعد خاضعة لهم، ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا بلاد سورية مؤخراً، ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون، الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده في دعاة الدّيانات الجديدة، أن النظم

---

(١) غوستاف لوبون ولد عام ١٨٤١م، هو طبيب، ومؤرخ فرنسي، هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي،عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: "حضارة العرب" و"حضارات الهند" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع" الذي كان انجازه الأول. إشراف غربال، محمد شفيق: **الموسوعة العربية الميسرة**، ص١٥٧١، دار النهضة_بيروت،(١٩٨٦).http://ar.wikipedia.org

والأديان ليس مما يُفرض قسراً، فعاملوا، كما رأينا، أهل سورية ومصر وإسبانية وكلّ قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة، في الغالب، إذا ما قيس بما كانوا يدفعونه فيما مضى، في مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحقّ أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم"(١).

إنّ لوبون ضرب لنا مثلاً ونسي الأساس المتين والمعلم الحكيم نبي الرحمة الذي علم أصحابه كيف يكون المؤمن الحق فهو يعزو كل نصر لمولاه الحق وليس إلى ضخامة جيشه، هذه هي المدرسة النبوية التي خرجت هؤلاء الخلفاء الذين يتحدث عنهم لوبون، فهو المنهج الذي خطه لهم هذا الدين، وسنة نبيهم كانت لهم نبراساً وأسوة حسنة في أمورهم كلها، وتعامل جيوش المسلمين بهذا الشكل الرحيم جعل البعض يقارن بين سيرتهم في الفتوحات وسيرة غيرهم ممن عاث فساداً ودماراً؛ إذ يتحدث الكونت هنري(٢) عن معاملة جيوش المسلمين لأهالي البلاد التي فتحوها قائلاً: "وكان من وراء هذه المسالمة ولين المعاملة تقدم الإسلام حثيثاً وسهولة استعلاء فاتحيه لما سبقه من ظلم أكاسرة المملكة الشرقية التي بغضها الناس وسئموا الحياة منها...شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام في حروبه ركباً من القسس والرهبان ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بعد أن يكون هو قد باشر فتح المدائن والأقاليم بجيوشه التي كان يصلي بها الأمم حرباً تجعل الولدان شيباً ولكنا لا نعلم للإسلام (مجمعاً دينياً) ولا رسلاً ولا أحباراً وراء الجيوش ولا رهبنة بعد الفتح فلم يكره أحدا عليه بالسيف ولا باللسان بل دخل القلوب عن شوق واختيار نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب"(٣).

فتعاليم الإسلام وأخلاق الفاتحين التي تخلقوا بها وتربوا عليها في مدرسته السمحة هي التي جعلت هذه المعاملة لأهل تلك البلاد التي فتحوها اللين والتسامح هما العنوان لها.

ويتابع حديثه فيرسم الصورة التي يرسمها غير المسلمين والأثر الذي يتركونه خلفهم شاهداً على سلوكهم قائلاً: "لكن لما دخل الملك (كارلوس) في سرقسطه أمر جنوده بهدم جميع معابد اليهود ومساجد المسلمين ونحن نعلم أن المسيحيين أيام الحروب الصليبية ما دخلوا بلاداً

---

(١) لوبون، غوستاف: **حضارة العرب**، ط٣، ص٧٢٠، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان،(١٣٩٩هـ_١٩٧٩م).

(٢) هو الكونت هنري دي كاستري(١٨٥٠_١٩٢٧): "مقدم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الأفريقي ردحاً من الزمن. من آثاره: "مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب" و "رحلة هولندي إلى المغرب" و "الأشراف السعديون".(خليل، **قالوا عن الإسلام**، ص٦١). مرجع سابق.

(٣) كاستري، الكونت هنري دى: **خواطر وسوانح**، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، ص٣٩_٤٠، تصحيح عبد الرحمن البرقوني، مطبعة السعادة – مصر.

إلا أعملوا السيف في يهودها ومسلميها وذلك يؤيد أن اليهود إنما وجدوا مجيراً وملجأ في الإسلام فإن كانت لهم باقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسنة المسلمين ولين جانبهم لا إلى ما يوجد بين الاثنين من الجامعة في الأصل والجنس واللغة والدين"(١).

لكنّ المسلمين حفظوا حرمة دماء شعوب تلك البلاد التي فتحوها، وراعوا قدسية معابدهم، فهل يبقى مجالٌ للمقارنة بين جيوش تستبيح الشجر والحجر والبشر فلا تكاد تزن وزناً للدماء البريئة التي تسفك لا لشئ إلا للمخالفة في المنهج أو العقيدة وبين جيوش تضع نصب عينيها كرامة الإنسان وحرمة دمه وماله وعرضه ما دام غير معتد أو ظالمٍ؟! وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الفرقان: آية٦٨].

ويسلب تسامح الإسلام عقول الكثير من المستشرقين لتبقى المقارنة بين تصرف الفاتحين المسلمين وغيرهم حاضرة في أذهان الكثير قبل ان تترجمها أقلامهم، فيتابع إميل درمنغم(٢) منهج المنتصرين من المسلمين: "وما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، ولم يرو التاريخ أن العرب قتلوا شعباً بأجمعه، وما دخول الناس أفواجاً في الإسلام إلا عن رغبة فيه. وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب لما دخل القدس فاتحاً أمر بألا يُمس النصارى بسوء وبأن تترك لهم كنائسهم وشمل البطريرك بكل رعاية ورفض الصلاة في الكنيسة خوفاً من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد. وهنا نقول ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس فاتحين ودخول الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين فسار فرسانهم في نهر من الدماء التي كانت من الغزارة ما بلغت معه رُكبهم ولُجُم خيولهم"(٣).

لقد تخرج عمر على يدي نبي الأمة وشهد فتح مكة مع رسول الله الذي كاد رأسه الشريف أن تلامس ظهر دابته تواضعاً لله تعالى شاكراً له على ما منّ به عليه، فكان أهل مكة يدخلون في دين الله أفواجا.

---

(١) كاستري، **خواطر وسوانح**، ص٣٩_٤٠. مرجع سابق.

(٢) إميل درمنغم مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: "حياة محمد" وهو أدق ما صنفه مستشرق عن النبي ﷺ، و "محمد والسنة الإسلامية"، ونشر عدداً من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: "المجلة الإفريقية"، و"حوليات معهد الدراسات الشرقية"، و"نشرة الدراسات العربية". ".(خليل، **قالوا عن الإسلام**، ص٦٠). مرجع سابق.

(٣) درمنغم، **حياة محمد**، ص٣٣١. مرجع سابق.

فرق في التعامل واضح وما ذلك إلا بسبب اختلاف كل من الجيشين في الأساس الذي انطلقوا منه وفي الغاية التي يسعيان إليها، فالإسلام في منهجه وتعامله واضح جلي إذ لا يعامل الإنسان في هذه الحياة بناء على ما يعتقد من معتقدات بل يكرم الإنسان على أنه إنسان بغض النظر عن وسائله وأهدافه إذ يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [سورة الإسراء: آية٧٠]، فالإسلام يعلن أن التكريم للجنس البشري دون شرط أو قيد، والرسول الكريم القدوة الحسنة يترجم هذا على أرض الواقع فيرسخ سلوكه منهاجا وسلوكاً لسائر أتباعه فقد روي عنه ﷺ عندما مرت به جنازة قام لها، فقيل له إنها جنازة يهودي فقال: "أليست نفساً؟"(١).

ويتحدث بارتولد(٢) عن حال النصارى تحت حكم المسلمين قائلاً: "وكان النصارى أحسن حالاً تحت حكم المسلمين في الأزمان الأولى،... إن الشعوب التي عاشت في حكم المسلمين، استفادت في نشر الدين من العلاقات التي اتسعت بتكوين الدولة الإسلامية الممتدة على قسم كبير من العالم، أكثر من المسلمين أنفسهم، كما أن انتشار النصرانية والمانوية في بلاد المغول، واليهودية والنصرانية في القوقاز وشواطئ فولجا يعود إلى العصر الإسلامي...، وقد حافظ النصارى في الجملة على معابدهم، وبنوا كنائس وأديرة جديدة دون أن يتعرضوا لمقاومة. وأما ما يقال من أن الخليفة عمر منع النصارى من بناء كنائس جديدة وإصلاح الكنائس القديمة فمختلق فيما بعد"(٣).

أو ليس بقاء الكنائس والمعابد في ربوع الإسلام على حالها واستمرارها دليلاً قائماً يشهد على رحمة المسلمين وتسامحهم التي ما كانت إلا ترجمة حية على أرض الواقع لمبادئ دينهم ووصايا نبيهم؟!.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ص١٥٠، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، حديث رقم١٣١٢. مرجع سابق.

(٢) **فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد** (١٨٦٩ – ١٩٣٠ م) هو مستشرق روسي بارز ولاسيما في مجالات تاريخ الحضارة الإسلامية. أهم آثاره: «تركستان في فترة الغزو المغولي».http://ar.wikipedia.org

(٣) بارتولد، فلاديمرويج: **تاريخ الحضارة الإسلامية**، ترجمة حمزة طاهر، ط٥، ص٥٣_٥٤، دار المعارف،(١٩٨٥).

المبحث الثالث: وسطية الإسلام

يمتاز الإسلام الحنيف بوسطيته، ويطالب أتباعه بالتوسط في أمورهم سواء كانت أموراً دنيوية أو دينية، فالإسلام لا يطالب أتباعه بإغفال أمور الدنيا في سبيل إدراك الآخرة، ولا يبتغي منهم العيش في الدنيا متجاهلين الآخرة، كلا فهو يحثهم على الاستفادة والتمتع بهذه وتلك فقد قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [سورة القصص: آية٧٧]، ويمدح الله تعالى وسطية هذه الأمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة: آية رقم١٤٣]. وفي نفس الوقت يعلم أتباعه حسن الطلب والدعاء بقوله: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم٢٠١]، ويحذر من المغالاة بالأمور حتى ولو كانت في شؤون الآخرة:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [سورة المائدة: آية رقم٧٧]، بل إنّ شخصية الرسول الهادي تضرب لنا أروع الأمثلة في التوسط وهو النبي القدوة، ويبين لنا أنّ هذه الحياة الدنيا إن هي إلا مزرعة للآخرة وقد أوجد الله في الجنس البشري حاجات طبيعية ولا بد من استغلال كل الإمكانيات التي أوجدها الله بنا دون إفراط أو تفريط ومن غير أن ينقص ذلك من عملنا للآخرة شيئا، بل نؤجر على ذلك.

هذا هو الإسلام يرفع من قيمة الدنيا بما فيها من شهوات وملذات ويحث على إشباعها، ويطالبنا بحسن استغلال فرص الدنيا والتنعم برغد طيباتها دون أن نهمل الغاية التي من أجلها خلقنا، فالمسير بحاجة لراحلة قوية، ولا بد من الاهتمام بهذه الوسيلة في سفرنا، وكذلك الحياة هي راحلتنا ومطيتنا إلى الحياة الآخرة ولا بد من الاهتمام بهذه الراحلة؛ لإتمام المسير والوصول إلى شاطئ النجاة دون تقصير.

ومن مظاهر وسطية الإسلام أنّه اهتم بالإنسان كل الإنسان فلم يقتصر اهتمامه على الجانب العقلي فيه، وإنما اهتم بروحه وفطرته، فالإنسان بنظر الدين ليس آلة تؤدي ما عليها من واجبات وحقوق، إنما له حاجاته ورغباته التي فُطر عليها ولا بد من تغذيتها كما يتغذى الجسد ليستطيع أن ينهض بالأمانة التي ألقيت على عاتقه منذ أن نفخت الروح فيه، فجاء الإسلام وجعل من فطرة الإنسان التي فطره الله عليها موضع عناية واهتمام ليكون الخليفة السوي في هذه الأرض، فاعتنى بها وبميولها ونوازعها دون كبت أو إسراف، فجذب اهتمام الإسلام بفطرة

الإنسان أنظار الناقدين والدارسين له من مستشرقين وأهل كتاب لتنطلق أقلامهم معبرة عن إعجاب وتقدير أصحابها. وهذا ما سيتم توضيحه في المطلب الآتي:

المطلب الأول: موافقة الإسلام للفطرة

الإنسان بطبعه مفطور على التدين، فلو ترك دون تأثيرات خارجية لتوجه بنفسه للبحث عن قوة أعظم من قوته ليدين لها ويتوجه إليها بالعبادة، وما توجه البشر في فترة من تاريخ حياتهم لعبادة النار أو الكواكب والنجوم إلا دلالة على نزعتهم الفطرية إلى التدين، والأصدق من ذلك قوله تعالى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [سورة الروم: آية رقم٣٠]، وقوله ﷺ:"ما من مولود يولد إلاّ على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه"[١].

وتدرك المستشرقة لورا حاجة الناس الطبيعية إلى الدين وتتحدث عن ذلك بقولها: "إنّ الناس في حاجة إلى دين، ولكنهم يريدون من هذا الدين، في الوقت نفسه، أن يلبّي حاجاتهم، وأن لا يكون قريباً إلى عواطفهم فقط بل أن يقدم إليهم أيضاً، الطمأنينة والسلامة في هذه الحياة الحاضرة وفي الحياة الآخرة معاً، والواقع أن الإسلام يفي بهذه المطالب على الوجه الأكمل، لأنه ليس مجرد عقيدة ولكنه – إلى ذلك أيضاً– فلسفة حياة. إنّه يعلّم التفكير الصائب، والعمل الصالح، والكلام الصادق، وهو لهذه الأسباب يتخذ سبيله إلى عقل الإنسان وقلبه في غير عُسْر"[٢].

لقد جاء الإسلام متناغماً مع الفطرة الإنسانية، متوافقاً معها لا نزاع بينهما، فهو لم يأت متكدساً وراء طقوس جامدة، ولم يأت حكراً على دور العبادة، وإنما جاء شاملاً لجميع نواحي الحياة البشرية، متحركاً في الأسواق والمساجد تجده يتكيف مع المجالات كافة، إنه نظام شامل، يشمل الإنسان كل الإنسان، وينظم ويرتب له حياته في الوقت الذي لا يحول بينه وبين إشباع حاجاته.

وتتحدث الليدي كوبولد ايفلين عن قصة إسلامها وتجيب من سألها كيف ومتى أسلمت؟: "وجوابي على ذلك أنّه يصعب عليّ تعيين الوقت الذي سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامي، فارتضيت الإسلام ديناً. ويغلب على ظني أني مسلمة منذ نشأتي الأولى وليس هذا غريباً إذا ما

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، ص٦٧٥، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم٢٦٥٨. مرجع سابق.

(٢) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٩٠. مرجع سابق.

راح المرء يفكر بأنّ الإسلام هو الدين الطبيعي الذي يتقبله المرء فيما لو ترك لنفسه، ولم يفرض عليه أبواه الدين الذي يعتنقاه فرضاً"[(١)].

إنّ الدين الإسلامي جاء موافقاً للفطرة الإنسانية قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم: آية٣٠]، فبعث الله الرسل لتصحيح المسار الذي يسير عليه الناس بعد أن تفرقت بهم السبل فيهدوهم سواء السبيل.

فلا يجد المرء في الإسلام أدنى تعارض مع متطلبات نفسه وحاجاتها ورغباتها، بل يجد التشجيع الكامل لإرواء هذه الحاجات وإشباعها من غير كبت أو قهر، ويُعدّ من قبيل العبادة ما دامت في نطاق الشرع، وإشباع حاجات الفرد وميوله ورغباته لا تحول بينه وبين تحقيق الكمال الفردي، ولا تقف حجر عثرة في درب فلاحه وفوزه في الحياة الآخرة، وعلى ما يبدو أنّ هذا من العوامل التي دفعت محمد أسد[(٢)] لاعتناق الإسلام، فقد وجد في هذا الدين ما لم يجده في سواه لذا يراه أسمى من غيره فيعلن على الملأ: "... نحن نعد الإسلام أسمى من سائر النظم المدنية، لأنه يشمل الحياة بأسرها؛ إنّه يهتم اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد والمجتمع، إنّه لا يهتم فقط لما في الطبيعة الإنسانية من وجود الإمكان إلى السمو، بل يهتم أيضاً لما فيها من قيود طبيعية. إنّه لا يحملنا على طلب المحال ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من استعداد، وإلى أن نصل إلى مستوى أسمى من الحقيقة"[(٣)].

---

(١) كوبولد، **البحث عن الله**، ص١١. مرجع سابق.

(٢) محمد أسد هو "ليوبولد فايس" ولد في النمسا عام ١٩٠٠م، يهودي الأصل حيث كان جده لأبيه حاخاماً وهو الحاخام الأورثوذوكسي "بنيامين ارجيا فايس"، كاتب وصحفي ومفكر لغوي وناقد اجتماعي ومصلح ومترجم ودبلوماسي ورحالة مسلم، درس الفلسفة في جامعة فيينا، وقد عمل مراسلاً صحفياً وبعد منحه الجنسية الباكستانية تولى عدة مناصب منها منصب مبعوث باكستان إلى الأمم المتحدة في نيويورك، طاف العالم ثم استقر في إسبانيا توفي فيها عام١٩٩٢م ودفن في غرناطة، تحول من اليهودية إلى الإسلام عام١٩٢٦م، ويعتبر محمد أسد أكثر مسلمي أوروبا في القرن العشرين تأثيراً، وقد أعلنت زوجته إسلامها بعدة أسابيع من إسلامه، من مؤلفاته: "الطريق إلى مكة" والذي ترجم للعربية باسم "الطريق إلى الإسلام" و"الإسلام على مفترق طرق" و"منهاج الإسلام في الحكم"، كما قام بترجمة القرآن إلى الإنكليزية.

(٣) (ليوبولد فايس)أسد، محمّد: **الإسلام على مفترق طرق**، ترجمة عمر فروخ، ص١١٠، دار العلم للملايين_بيروت.

ولو تفكر الإنسان وتدبر الغاية التي من أجلها أرسل الله رسله وأنبياءه من جنس البشرية بما فيها من طبائع وغرائز، ولم يرسلهم ملائكة؛ لعلم أن الغاية من ذلك مقدرة الإنسان على العيش بطبيعته مع تحقيق الغاية التي من أجلها خلق، بل بلوغ أرفع الدرجات في الدنيا والآخرة دون تعارض، وله في ذلك أسوة الأنبياء والمرسلين، فهذا النبي البشري _ وكل الأنبياء بشر_ محمد ﷺ لم تَحُل نبوته ورسالته بينه وبين التمتع بالدنيا وطيباتها، فهو القائل: "إنما حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة"(١).

واهتمام الإسلام بجميع جوانب النفس الإنسانية والحياة البشرية هو ما جذب انتباه محمد أسد، إذ يتحدث عن حياته وكيفية إسلامه فيقول: "لقد أجفلت بعض الشيء، في أول الأمر، لا لإهتمام القرآن بالأمور الروحية فحسب بل أيضاً بكثير من وجوه الحياة التي كانت تبدو لي تافهة دنيوية أيضاً. إلا أنني، مع الزمن، بدأت أفهم أنه إذا كان الإنسان حقاً وحدة كاملة من جسد وروح _كما يؤكد الإسلام_ فإنه ليس هناك وجه من وجوه حياته يمكن أن يكون من "التفاهة" بحيث لا يقع داخل نطاق الدين. ومع كل هذا، فإنّ القرآن لا يدع أتباعه مطلقاً ينسون أنّ الحياة في هذا العالم ليست إلا مرحلة من طريق الإنسان إلى وجود أسمى"(٢).

نعم، كل شيء في هذه الحياة الدنيا خلق بقدر، وقد أتاح الله للبشر أقصى درجات الاستفادة من نعمه، ومكنه من الاستمتاع بطيباتها ليسير بتوازن نحو الغاية التي من أجلها خلق دون أن يغفل جانباً من الجوانب أو يؤثر أحداهما على الآخر سلباً، فما خلق الله هذه الطيبات ليعرض البشر عنها، وإنما خلقها الله ليتقوى الناس بها في حياتهم هذه ويروحوا بها عن أنفسهم وذلك ضمن دائرة الشرع لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية١٧٢]، فتكون بذلك الممر الآمن الذي يسلكه البشر خلال حياتهم، وبناء على تلك الوحدة المتكاملة في النفس البشرية، فإنه لا يوجد تافه في حياة هذه

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر: **سنن البيهقي الكبرى**، ج٧ص٧٨،حديث رقم١٣٢٣٢، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز_مكة المكرمة،(١٤١٤_١٩٩٤). قال الألباني عنه حديث صحيح: الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ط٣، ص٥٩٩، رقم الحديث٣١٢٤. تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي_بيروت،(١٤٠٨ه). وقال عنه ابن القيم حديث صحيح: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٣، ج١ص١٥٠، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،(١٤٢٣ه)

(٢) أسد، محمد: **الطريق إلى الإسلام**، ط٥، ص١٧١، دار العلم للملايين_بيروت،(١٩٧٧م).

النفس يمكن تجاهله والاستغناء عنه، فالإسلام لا يطالب برفض الدنيا والإعــراض عنهــا، ولا يتحقق مفهوم العبادة، ولا يقوم الإنسان بالمعنى الحقيقي لخلافته على الأرض بإعراضـــه عـــن الدنيا، كلا إنما يتحقق معنى العبودية والخلافة وإعمار الأرض كمـــا أراد الله باســـتغلال كـــل الطاقات التي وجدت في هذه الحياة، ويتحدث محمد أسد عن ذلك فيقــول: "... الإنـــسان فـــي الإسلام غير مجبر على أن يرفض الدنيا، ليس ثمة حاجة إلى تقشف يفتح به الإنسان بابا ســـرياً إلى التطهير الروحي. ذلك أمر غريب كل الغرابة عن الإسلام، فالإسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة، ولكنه نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنها الله لخلقه، وما عمله الأســـمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية. وإنـــك لتـــرى هـــاتين الوجهتين في تعاليم الإسلام تتفقان في أنهما لا تدعان تناقضاً أساسياً بين حياة الإنسان الجـــسدية وحياته الأبدية فحسب، ولكن تلازمهما هذا وعدم افتراقهما فعلاً أمر يؤكده الإســـلام، إذ يـــراه الأساس الطبيعي للحياة"(١).

بل إنّ التوفيق بين الوجهتين المادية والروحية في الحياة الإنسانية لا يمانع في أن يكـــون الإنسان في قمة التطهر والتقرب إلى الله، والرسول الكريم إمام الزاهدين لم يتقشف ويزهد بهذه الحياة بقهر الجسد وتعذيبه وكبت وإماتة حاجاته، بل كان يتمتع بالدنيا ضمن الحد المعقول الذي يوضحه ويبينه الشرع.

ويتابع محمد أسد حديثه: "وعبادة الله في أوسع معانيها _كما شرحنا آنفـــاً_ تؤلـــف مـــن الإسلام معنى الحياة الإنسانية. هذا الإدراك وحده يرينا إمكان بلوغ الإنسان الكمال فـــي إطـــار حياته الدنيوية الفردية، ومن بين سائر النظم الدينية نرى الإسلام وحده يعلن أنّ الكمال الفـــردي ممكن في الحياة الدنيا. إنّ الإسلام لا يؤجل هذا الكمال إلى ما بعد إماتة الشهوات "الجسدية"، ولا هو يعدنا سلسلة متلاحقة الحلقات من تناسخ الأرواح على مراتب متدرجة، كما هي الحال فـــي الهندوكية، ولا هو يوافق البوذية التي تقول بأنّ الكمال والنجاة لا يتمان إلا بعد انعـــدام الـــنفس الجزئية وانفصام علاقاتها الشعورية عن العالم. كلا- إنّ الإسلام يؤكد في إعلانه أنّ الإنـــسان يستطيع بلوغ الكمال في حياته الدنيا الفردية، وذلك بأن يستفيد استفادة تامة من وجوه الإمكـــان الدنيوي في حياته هو"(٢).

---

(١) أسد، **الإسلام على مفترق طرق**، ص٢١_٢٢. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤_٢٥. مرجع سابق.

لم يأت الإسلام قاهراً لمتطلبات الإنسان وحاجاته النفسية والجسدية، بل مكنه من تحقيقها ومباشرتها، إذ لو أراد قهر هذه الحاجات وكبتها ما شاءت إرادة الله أن يخلق الإنسان على هذه الطبيعة ولخلقه كما الملائكة، لكنّها المشيئة الربانية التي أرسلت الرسل وأنزلت الشرائع لتنظم حياة البشرية ووجودها في ظل هذه الحاجات، فترى الدين يشرّع الزواج متوافقاً مع الفطرة البشرية، فلا رهبانية في الإسلام من أجل الانقطاع للعبادة، قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [سورة الحديد: آية رقم٢٧]. فقد يحقق الإنسان معاني العبودية لله وهو يشرع في تلبية حاجاته الطبيعية بتوسط واعتدال دون كبت أو قهر أو تفريط، وهذا ما أشار إليه نظمي لوقا قائلاً: "إنّ الإسلام لا يقاوم الحياة، بل يقر الفطرة البشرية على تقديسها، وصيانة ينابيعها من الأكدار. ولا يفصل بين حياة الروح وحياة الجسد حيث لا انفصال لهما في واقع الجبلة التي جبلها خالقها الحكيم الخبير"(١).

فالإسلام لا يصادم الطبيعة البشرية ولا يحاربها، ولم يطلب تعذيب الجسد وحرمانه من أجل بقاء الروح، وكيف يتم ذلك وما الجسد إلا وعاء للروح وسكن لها بل يراعي احتياجاتها ويهذبها ويقوّمها، وعن مسايرة الإسلام للطبيعة يتحدث ناصر الدين دينيه قائلاً: "لا يتمرد الإسلام على الطبيعة، التي لا تغلب، وإنما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة: مثل ذلك الفرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة، فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون عزباء. على أنّ الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها وإنما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقا في إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور. لقد سمي القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير"(٢).

وهدي النبي ﷺ يعلمنا التوازن في أمورنا كلها، ويطالبنا بالتوفيق بين متطلبات الجسد والروح على حد سواء، ويبين لنا أن الإسلام لا يتصادم مع الفطرة البشرية، ولا يطالب بالعزوف عن الدنيا واعتزال طيباتها، ويظهر لنا هذا جليّاً في سيرة المصطفى وفي حديث اعتراضه على نفر من الصحابة أرادوا اعتزال الدنيا وطيباتها: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت

---

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ص١١٣. مرجع سابق.

(٢) دينيه، ناصر الدين: **أشعة خاصة بنور الإسلام**، ص٣٠، المطبعة السلفية_مصر.

أزواج النّبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلمّا أُخبروا كأنّهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر قال أحدهم: أمّ أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أُفطر وقال آخرُ: أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنّي أصوم وأُفطر وأُصلي وأرقد وأتزوّج النساء فمن رغب عن سنّتي فليس مني"(١).

ويتحدث محمد أسد عن توافق هذا الدين العظيم مع فطرة البشرية فيقول: "...من أجل ذلك ترى الإسلام – وهو ليس بدين لقهر النفس– يترك للإنسان مجالاً واسعاً في حياته الشخصية والاجتماعية كيما تستطيع تلك الصفات المختلفة من العواطف والميول النفسانية أن تجد سبيلها في التطور الايجابي المتفق مع استعدادها الذاتي. وهكذا فقد يكون المرء زاهداً، أو أنه يتمتع إلى أقصى حد بلذاته الحسية، وهو بعد في دائرة الشرع"(٢).

وامتاز الإسلام بتوافقه وانسجامه مع الفطرة على سائر الشرائع، وهذا من الأمور التي جذبت انتباه أحمد سوسة، بعدما تربى زمناً ليس بقليل على المبادئ اليهودية، فيتحدث عن نظرة الديانتين اليهودية والمسيحية وموقفها من فطرة الإنسان: "... فإذا أمعنا النظر في الديانة الموسوية نجد أنها ديانة جافة معقدة كثر فيها الارتباك والتطويل والتحريف، وأنّ مضمونها لا يتعدى دائرة الحياة الدنيوية إلا قليلاً من الناحية الروحية لا يروي غليلاً ولا يشفي عليلاً؛ لذلك فهي جسمانية أكثر منها روحانية وفيها القليل مما تصبو إليه النفس من تلطيف المشاعر كالبحث في الآخرة ووصف الحياة الأخروية،... أما المسيحية فجاءت متطرفة في غلوها بالأمور الروحانية حتى يصح القول فيها أنها كادت أن تكون روحية خالصة بقدر ما تعتبر اليهودية جسمانية محضة، وقد استرسلت المسيحية في تيار الروحية إلى درجة سارت معها في طريق تعذيب الجسم واحتمال الأذى معتبرة ذلك من أرقى صفات التقى...هذا على أنّ للمسيحية الفضل في أنها بعثت روحاً جديدة في هياكلها وأوجدت حياة في تركيبها ولكنها قد حلقت إلى أعالي الفضاء في غلوها بهذه الأمور الروحانية بحيث ضاع الوسط ولم يبق مجال للاعتدال"(٣).

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ص٦١٥، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم٥٠٦٣. مرجع سابق.

(٢) أسد، **الإسلام على مفترق طرق**، ص٢٦. مرجع سابق.

(٣) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص٥٥. مرجع سابق.

ورداً على كلام أحمد سوسة في قوله: (الديانة الموسوية) فالدين لا ينسب للأنبياء ولكن الدين من عند الله، فلا يكاد يجد المرء في الديانة اليهودية شيئاً يذكر عن الحياة الأخرى يرفع من همته نحوها أو ما يردعه عن فعل الموبقات، بل تجدها جافة لا روح فيها ولا حياة، والمسيحية على النقيض تُعنى بتعذيب الجسم وترهقه وتكبت من طاقاته وتحرمه من حاجاته، كفرضها للرهبانية بحجة السمو الروحي والتقرب إلى الله.

أما الإسلام فعُرف بوسطيته دون الاهتمام بجانب على حساب الآخر، فلم تكن موافقة الإسلام للفطرة في إشباعه للرغبات الجسدية فحسب ولكنها تمثلت أيضاً في القضايا النفسية، كتوريث المرأة وتكريمها وتعليمها ومشاركتها في مجالات الحياة المختلفة، وحول هذا الكلام جاء في قصة الحضارة: "رفع الإسلام من مقام المرأة في بلاد العرب..وقضى على عادة وأد البنات وسوّى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها، وأن ترث، وتتصرف في مالها كما تشاء، وقضى على ما اعتاد العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع، وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر، ومنع زواجهن بغير إرادتهن"(١).

لقد قضى الإسلام على بعض العادات الجاهلية فيما يتعلق بحقوق المرأة وجعل لها نصيباً في الميراث كما جعل لها الحق بالتصرف بأملاكها دون أخذ الأذن من وليها، هذا مراعاة لما يوافق فطرتها في حب التملك وتفادياً من أن تقع المرأة تحت تأثير نفسي سيء قد يشعرها بانتقاص من قدرها وقيمتها فينعكس ذلك سلباً على حياتها وبيتها.

ولقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الخطاب الرباني حيث لا نجد نصاً في القرآن يخاطب الرجال دون النساء، وقد أشار نظمي لوقا إلى هذا الأمر حيث قال: "المرأة في الإسلام إنسان له حقوق الإنسان وكل تكاليفه العقلية والروحية، فهي في ذلك صنو الرجل، تقع عليها أعباء الأمانة التي تقع عليه، أمانة العقيدة والإيمان وتزكية النفس..وقد نجد هذا اليوم من بدائه الأمور. ولكنه لم يكن كذلك في العالم القديم، في كثير من الأمم حيث كانت المرأة تباع أحياناً

(١) ديورانت، ص٦٠. مرجع سابق.

كثيراً كما تباع السلعة..وكانت في كثير من الأحيان منقوصة الأهلية لا تمارس التصرفات المالية والقانونية إلا عن طريق وليها الشرعي وموافقته"[١].

وهذه الشهادة تُبدد المناداة التي يتغنى بها دعاة أنصار المرأة من الغرب وممن والاهم من الشرق بأنّ الإسلام قاهر للمرأة وهاضم لحقوقها وحاط من قدرها في الوقت الذي لـم نجـد أو نسمع عن أي ديانة أو أي أمة رفعت من شأن المرأة وأعطتها كامل حقوقها وطالبتها بما عليـه من واجبات.

ويثني أحمد سوسة على الإسلام في توسطه واعتداله وانسجامه مع الفطـرة البـشرية بقوله: "وإذا كان يصح ما يقال بأنّ خير الأمور أوسطها فإنّ الديانة الإسلامية هي التي تـستحق أن تحتل المكانة السامية بين الديانات العالمية لأنها جاءت مشبعة بروح الطبيعة والفطرة معتدلة في طقوسها لم تذهب إلى أعالي جو الروح ولم تنزل إلى هاوية الجسد، فهـي متوسـطة فـي مسلكها معتدلة في مذهبها على حد قوله تعـالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [سورة البقرة: آية رقم١٤٣]، ولا بدع، فقد جـاءت غـرة ناصعة في جبين الإنسانية يفيض منها نور الحقيقة والهداية الصحيحة، فهي الشريعة الوسط التي تدعو إلى العمل للدنيا والآخرة في آن واحد"[٢].

ولو كان الإسلام مثله مثل غيره من الشرائع ما رأيته يتفوّق في قلوب الملايين في كافـة أنحاء الأرض، إنّ التوافق والانسجام مع الفطرة الإنسانية جعله ينتشر هذا الانتشار السريع، ففي ربوعه وأحضانه يجد المرء كل ما تصبو إليه النفس، والبشرية تتعلم علـى مائـدة المـصطفى احترام الحياة في كل جوانبها، وما كان رسوخ الإسلام في قلوب الملايين واستمراره بالانتشار، إلا من تناغمه وانسجامه مع الفطرة الإنسانية، وهذا ما عبر عنه محمد أسد: "لقد رأينا من أهـم مآتي الإسلام تلك المآتي التي تميز من سائر النظم المطلقة، التوفيق التام بين الناحيـة الخُلقيـة والناحية المادية من الحياة الإنسانية. هذا سبب من الأسباب التي عملت على ظفر الإسلام فـي إبان قوته أينما حل. لقد أتى الإسلام بالرسالة الجديدة التي لا تجعل احتقار الدنيا شرطاً للنجاة في الآخرة. تلك الخاصة الظاهرة في الإسلام تجلو الحقيقة الدالة على أنّ نبينا، الذي كان في رسالته

---

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ص٩٥_٩٦. مرجع سابق.

(٢) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص٥٦. مرجع سابق.

الدليل الهادي للإنسانية، كان شديد الاهتمام بالحياة الإنسانية في كلا اتجاهيها: في المظهر الروحي والمظهر المادي"[١].

وصدق الله العظيم الذي قال في كتابه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم٣٢]، وصدق رسوله الكريم إذ قال: "تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك"[٢].

المطلب الثاني: الاعتدال في الشعائر التعبدية

سبق الحديث عن تناغم وانسجام هذا الدين مع فطرة بني البشر، وتوسطه بين حقوق الجسد وحقوق الروح، كذلك جاء في شعائره وأعماله التعبدية وسطاً في أدائها وفي فرضها على أتباعه، وشعائر الإسلام الحنيف لا تحتاج لكثير من التكلف، ولا يقصد منها إرهاق والجسد وتعذيب النفس، فالله تعالى في كتابه العزيز يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة: آيةرقم٢٨٦]، فهذه الشعائر يستطيع القيام بحقها الكبار والصغار، المسافرون والمقيمون، يؤدونها في أوقات محدودة في انسجام تام ما بين الروح والجسد، ولا يشدد الله في أعمال العبادة وإنما شرّع الرخص في كثير من الأوقات والظروف دلالة على المرونة فيها، وتشيد لورا بيسر الإسلام ومرونته: "وبكلمة أخرى، فإنّ الله لم يفرض على الإنسان مجموعة من القوانين يعجز عن احتمالها، ولم يفرض عليه في أيّ من الشعائر، قواعد جامدة قاسية لأنه يريد بالناس اليُسْر: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم١٨٥]، ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾[سورة المائدة: آية رقم٦]،﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة: آيةرقم٢٨٦]،﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [سورة النساء: آية رقم٢٨]،

---

(١) أسد، **الإسلام على مفترق طرق**، ص٨٨. مرجع سابق.

(٢) ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، **سنن ابن ماجه**، ج١ص١٦، حديث رقم٤٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر_بيروت. قال عنه الألباني حديث صحيح: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ص٨٠٥، رقم الحديث٤٣٦٩.

وهذه المبادئ كلها تجد ما يعزّزها في الحديث الشريف الذي يقول: "إنّ الله تعالى لم يبعثني معنتا ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً"(١) (٢).

ويحذر الله تعالى من الغلو والتطـرف بقولـه تعـالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [سورة المائدة: آية رقم٧٧]، كما حذّر من ذلك الرسول الكريم كي لا تصبح الشعائر قوالب جامدة تفقد روحها فتملها النفس ويتثاقل من أدائها الجسد، إذ يقـول ﷺ: "إنّ المُنْبَـتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى"(٣). وقوله ﷺ: "يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"(٤).

ويستدل إميل على الاعتدال والقصد في العبادة: "وكان الكثير من المسلمين يكثرون مـن التوبة والاستغفار والصلاة والصوم، فرأى محمد أنّ القصد أولى من الإفراط فأمر بألّا يزيـد الصوم عن يوم من يومين، وأشار بالاعتدال في التقشف وبترك كل ما يميت النفس. وحدث أنّ بعضهم قد قادوا أنفسهم إلى الحج بربط أنوفهم بأرسان الجمال فقطع محمد هذه الأرسان لأنّ الله ليست له حاجة بجدع الأنوف"(٥).

---

(١) مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ: **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى الرسول ﷺ**، ج٢ص١١٠٤، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، باب بيان أن تخيير امرأتـه، رقم الحديث ١٤٧٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الأجزاء(٥).

(٢) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٧١_٧٢. مرجع سابق.

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجردي الخراساني أبو بكر ت٤٥٨هـ: **السنن الكبرى**، ط٣، ج٣ص٢٧، تحقيق محمد عبد القادر عطا، باب القصد في العبادة والجهد، حديث رقم٤٧٤٣،(١٤٢٤هـ٢٠٠٣م). ضعفه الألباني في: الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط١، ج٥ ص٥٠١، رقم الحديث ٢٤٨٠، دار المعارف_ الرياض. الألباني، محمد ناصر الدين: **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ط٢، ص٢٩٣، رقم الحديث ٢٠٢٢، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي_بيروت،(١٤٠٨هـ).

(٤) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، ج٢ص١٠٠٨، حديث رقم٣٠٢٩. قال عنه الألباني صحيح على شرط مسلم: الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها**، ط١، ج٢ ص٢٧٨، رقم الحديث ١٢٨٣. مكتبة المعارف – الرياض،(١٤١٥هـ–١٩٩٥م).

(٥) درمنغم، **حياة محمد**، ص٢٥٧. مرجع سابق.

كما روي أنّ الرسول ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبي ﷺ: "لا حُلّوه ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد"(١).

وحديثه ﷺ للنفر الذين شددوا على أنفسهم؛ بالصلاة والصيام واعتزال النساء لهو أكبر دليل على الاعتدال في العبادات حتى لا تملّها النفس، ويأنفها الجسد؛ إذ جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النّبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلمّا أُخبروا كأنّهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر قال أحدهم: أمّا أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أُفطر وقال آخرُ: أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنّي أصوم وأُفطر وأُصلي وأرقد وأتزوّج النساء فمن رغب عن سنّتي فليس مني"(٢).

وهذا ما يراه إميل إذ يتابع حديثه عن الاعتدال: "ومما حدث أنّ أعرابياً سأل محمداً عن ضرورة عقل ناقته، فقال له: "إعقلها وتوكل"(٣)، وأمر محمد بألا يدع الإنسان العمل اتكالاً على القدر. وجاء في الأثر: "اعمل لدنياك(٤)....، وفي هذا حكمةُ الأخلاق وحلٌّ لمسائلها...وتعارض الآداب الإسلامية بالنّسك النصراني أحياناً. فالإسلام، وإن بدا أكثر تسامحاً في الميل الجنسي، لم يكلف نفساً إلا وسعها، ويرى كمال العبادة في نيل الجسم حقه الشرعي، وهذا إلى أنّ زهد الصوفية المسلمين يعدل زهد نسّاك جميع الأديان"(٥).

لقد تميز هذا الدين على سائر الشرائع؛ بتلبية حاجات الفرد النفسية والجسدية دونما أي تعارض، فالنصرانية تدعو من أراد خدمة دينه إلى الانقطاع عن الدنيا، وتحرم الزواج عليه،

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ص١٣٢، كتاب التهجّد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم١١٥٠.
(٢) سبق تخريجه.ص ٤٣.
(٣) قال الألباني حسن. الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى٢٧٩ه**، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، مج٢، ص٦١٠، حديث رقم٢٥١٧،(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).
(٤) الكاتب استشهد به وهو حديث لا أصل له مرفوعاً: الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط١، ج١ص٦٣، باب٨، رقم الحديث٨، دار المعارف_ الرياض.
(٥) درمنغم، **حياة محمد**، ص٢٥٥. مرجع سابق.

والإسلام لا يرى فائدة مرجوة من ذلك فيعترض على هـذا التـشدد بقولـه تعـالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [سورة الحديد: آية رقم٢٧]، كما أنّ الرسول الكريم يعترض على أحد الصحابة عندما أراد التبرع بماله ولم يقرّ له بأكثر من الثلث، قائلاً له: " الثلث والثلث كثير أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالـة يتكففـون الناس"(١). فكان هديه ﷺ التوسط في كل الأمور.

وحول هذا الموضوع تتحدث لورا: "إنّ ثمة حديثاً شهيراً يقول: "لا رهبانية في الإسلام"(٢) والواقع أنّ الإسلام لا يبالي بالزهدية أو النسكية بتعذيبها العقيم للجسد، وما تنطوي عليهـا مـن ضروب الحرمان غير الضرورية، وبصياماتها الموصولة، ولياليها المُنْفقة في الصلاة. وفي ما يتصل بالزواج لا تطالب السنّة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة إنشائية يسلك فيها المرء منتصف الطريق، متذكراً الله من ناحية، ومحترماً حقوق الجسد والأسرة والمجتمع وحاجاتها من ناحيـة ثانية"(٣).

وأي فائدة أو هدف يحققه الإسلام إذا حرم الإنسان من إشباع حاجاته وميوله الجسدية وأي مقصد يسعى إليه من تعذيب الإنسان لنفسه ؟، فلم يكن يوماً ما هذا هو القصد من العبادة بـشتى أشكالها، وإنما جلّ ما أراده أن تضبط حاجات الإنسان وميوله ضبطاً شرعياً لا إفراط فيـه ولا تفريط، والذي أدركته المستشرقة لورا من تعاليم الإسلام ومن مقاصده هو نفسه الـذي أدركـه محمد أسد وتوصل إليه وجعلته يقارن بين الإسلام وغيره من شرائع فقادته قناعته بهذا الدين إلى اتّباعه والدخول فيه ورفض ما سواه إذ يقول: "لكن النبي العربي لم يحذ حذو الدين المـسيحي، ولم يقتصر على مسائل الإيمان والطقوس والخلق الشخصي. وكيف كان له أن يقتـصر علـى ذلك؟ ألم يأمره ربه بأن يدعو: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة" لقد قدم القرآن فـي هذه الجملة "حسنة الدنيا" على "حسنة الآخرة" أولاً، لأنّ الحاضر يتقدم المـستقبل. وثانيـاً، لأنّ

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ص٦٤٧، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم٥٣٥٤. مرجع سابق.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: لم أره بهذا اللفظ. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري بشرح صـحيح البخاري**، ط٣، تحقيق محب الدين الخطيب، ج٩ص١٣، المكتبة السلفية،(١٤٠٧هـ). وقد ذكر الألبـاني حديثاً يفيد هذا المعنى: الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٤ص٣٨٧. مصدر سابق.

(٣) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٨٨. مرجع سابق.

الإنسان مركب بحيث يجب أن يسعى إلى إرضاء حاجاته الجسمانية والدنيوية قبل أن يستطيع أن يصغي إلى نداء الروح وقبل أن يستطيع أن يطلب حسنة الآخرة. إنّ رسالة محمد لم تدع الروحية كشيء منفصل عن الحياة الجسمانية أو مضاد لها، بل ارتكزت بالكلية إلى المفهوم القائل بأنّ الروح والجسد ليسا سوى وجهين مختلفين لحقيقة واحدة – الحياة الإنسانية – وإذن فإنه، بطبيعة الحال، لم يستطع أن يكتفي بتربية اتجاه أدبي في الفرد، بل كان عليه أن يهدف إلى ترجمة هذا الاتجاه إلى نظام اجتماعي معين من شأنه أن يُؤمن لكل عضو من أعضاء المجتمع أقصى حد من الخير الجسماني والمادي، وبالتالي أكبر فرصة للنمو الروحي"(١).

لقد توجه الإسلام في خطابه للإنسان المتكامل بروحه وجسده، فسعى منذ اللحظة الأولى لتلبية حاجاته الروحية والجسدية وإشباعها دون أن يترك حاجة في أي جانب من جوانب هذه النفس البشرية؛ حتى لا يحدث أي خلل قد يؤثر في توازن الإنسان.

ولا يأبه الإسلام بالشكل الظاهري لأي شعيرة من شعائر الإسلام، وإنما جلّ ما يركز عليه هو المضمون، فعلى سبيل المثال يريد الله للمساجد أن تعمّر بالعبادة لا بالزخرفة وإعلاء البنيان، وكذلك الصلاة لا تهم الإطالة بها والتكثير منها بقدر مضمونها والتدبر فيها، وتدرك هذا المستشرقة لورا في وقت جهله الكثير من أبناء المسلمين: "إنّ الله لا يبالي بالأداء الشكلي للشعيرة التعبدية، ولكنه يطالب المؤمن بالعبادة الصادقة الصادرة من الفؤاد. وهذه الفكرة يعبر عنها القرآن، في وضوح بقوله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [سورة الحج: آية رقم٣٧]....فليس من شروط صلاة المسلم أن تُؤدى في معبد، لأنّ أي مكان في الأرض، شرط أن يكون نظيفاً، هو قريب إلى الله، وبالتالي ملائم للصلاة. وليس المسلم في حاجة لا إلى الكهان ولا إلى القرابين ولا إلى الطقوس لكي يسمو بقلبه نحو خالقه"(٢).

ومن يتتبع شعائر الإسلام يجد فيها الكثير من اليُسر الذي لا يعيق ولا يحد من نشاط أي فرد كان بمختلف الظروف والأحوال، فحتى صيام شهر رمضان تجد فيه من الاعتدال ما تجد على الرغم من صعوبة ظاهره، فهو أيام معدودة بساعات محدودة، فهو يخلق التوازن والانضباط في حياة الإنسان بعد روتين دام ما يقارب العام، وهذا ما أدركته لورا فتقول: " إنه

---

(١) أسد، **الطريق إلى الإسلام**، ص٣٠٥_٣٠٦. مرجع سابق.

(٢) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٦٧. مرجع سابق.

عملٌ قوامه الانضباط والرحمة والشفقة. إنّه يقتضي المؤمن اجتناب جميع ملذات الجسد خـــلال مدة بعينها. إنّه يعلّمه لجم شهواته. فهو بتجويع المؤمن وإفهامه مبلغ الألم الذي ينطــوي عليــه الجوع يفجّر في نفسه الشفقة على الفقير والمعدم. وهو في حمْله على إدراك ما ينعم به من آلاء، يعمّق اعترافه بفضل الله عليه. وهذا الصوم الإلزامي مفروض علـــى الأشـــخاص الأصـــحاء الأقوياء وليس مفروضاً على الضعيف، والمريض، والمسافر، والمقاتل في سبيل الله، أو المرأة خلال أيام الطمث، والحمل، وخلال أشهر الرضاع. ذلك بأنّ الله ليس قاسياً على مخلوقاتـــه ولا يقتضيهم أعمالاً تعبّدية لا طاقة لهم بها"(١).

فالعبادات في الإسلام لها مقصودها وغايتها، فهي لا تقوم على حرمان الإنسان من حاجاته حرماناً تاماً، بل تقوم بتنظيمها، فعبادة الصوم تقف مثالاً واضحاً على ذلك؛ ففي ساعات محدودة يمنع الإنسان من تلبية حاجات جسده إلا أنّ هذا المنع لا يلبث أن يزول، وهكذا فالعبادات تربي الإنسان على أن يكون هو المالك لرغباته المسيطر على شهواته لا أن يصبح عبداً تابعاً لها.

---

(١) المرجع السابق، ص٦٨_٦٩. مرجع سابق.

المبحث الرابع: حضارة(١) الإسلام

إنّ ديناً مثل الإسلام استطاع أن يوحد أتباعه على كلمة سواء، ويوحد صفوفهم في عبادة الواحد

الأحد دونما تفريق بين وضيع وشريف، وتمكن من القضاء على العصبية الجاهلية مستبدلاً بها الإخاء والمساواة، ويقدم للبشرية معجزته الخالدة _القرآن الكريم_ الذي هو دستور حياة، ففيه تنظم شؤون الحياة في مجالاتها كافة دون إعلاء مجال على حساب مجال آخر، فهو الذي ينظم علاقة الفرد بخالقه، وعلاقته بأخيه الإنسان، ومن ثم علاقته بالكون المحيط به، إنّ مثل هذا الدين الذي يتوجه للبشرية كافة في مختلف أزمانها كان لا بد له أن يحمل معه حضارة تخضع لها سائر الحضارات بل وتقف مدهوشة أمام تقدمها الحثيث، فما كان من تلك الحضارات إلا أن تجلس على مائدته وتستقي من حضارته وثقافته.

نعم لقد استطاع المسلمون بفضل دينهم أن يصنعوا حضارة تشهد لها مشارق الأرض ومغاربها، وتدين لها وتعترف بفضلها سائر الثقافات والحضارات، فقد كانت حضارة الإسلام في أوجها في وقت كانت فيه الحضارات الغربية في الدرك الأسفل من الانحطاط، والحضارة حيثما كانت لا تبنى بغير أعمدة العلم، ولا يبدد ظلام الأمم غير نوره؛ لذا جاء الإسلام ليحيط العلم والعلماء بهالة قدسية، فكان العلم من أولويات هذا الدين، فاتخذ بذلك مكانة لم يتخذها في أي شريعة أو نظام آخر.

المطلب الأول: مكانة العلم في الإسلام

لم يُعرف مثيل للإسلام في اهتمامه بالعلم والعلماء؛ إذ كانت أول الآيات نزولاً قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [سورة العلق: الآيتان١،٤]، فذكرت القراءة وأداة التعلم القلم، وفي موضع آخر يقسم جلّ جلاله بهذه الأداة بقوله: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [سورة القلم: آية رقم١]،

---

(١) الحضارة (بفتح الحاء وكسرها): الإقامة في الحضر. وضد البداوة، وهي مرحلة سامية من مراحل التطوّر الإنساني، ومظاهر الرقيّ العلمي والفنيّ والأدبيّ والاجتماعيّ في الحضر. (مجمع اللغة العربية: **المُعجم الوسيط**، ط٢، ج١ص٢٢٥، إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، مادة حضر).

ويشجع الإسلام على سلوك دروب العلم، وذلك لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر: آية٩]، ويمتدح الله العلماء بقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [سورة آل عمران: آية رقم١٨]،﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [سورة فاطر: آية رقم٢٨] ولم يقل العبّاد، وقد قال ﷺ: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة"(١).

فالإسلام لم يأت بشعائر جوفاء، وإنما تطلّب ولو جزءاً يسيراً من التعلم، فهو يدرك خطورة العلم وأثره على رسوخ الإيمان، فيدعو إلى النظر والتفكر في هذا الكون لقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [سورة العنكبوت: آية رقم٢٠]، فالعلم في نظر الإسلام يقود إلى إيمان راسخ بالله ومعرفة عظيم قدره، وهو بذلك يخدم الدين، فمنذ اللحظة الأولى والإسلام يعتبر العلم توأم الدين، إذ لا تعارض بينهما، وهي حقيقة أدركها موريس بوكاي(٢) الذي درس القرآن دراسة موضوعية بنفس الدرجة التي درس بها التوراة والإنجيل ليجد خلو القرآن من أي حقيقة علمية ينقضها العلم الحديث فيقر قائلاً: "...أنّ الإسلام قد اعتبر دائماً أنّ الدين والعلم توأمان متلازمان. فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءاً لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام. وأنّ تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلم في عصر الحضارة الإسلامية، تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا"(٣).

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، ص٦٨٤، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، حديث رقم٢٦٩٩.

(٢) موريس بوكاي طبيب فرنسي معروف ولد في عام ١٩٢٠م نشأ مسيحياً كاثوليكياً، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود، ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، الذي ترجم لسبع عشرة لغة تقريباً منها العربية، توفي في باريس عام ١٩٩٨م.http://ar.wikipedia.org

(٣) بوكاي، موريس: **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، ط١، ص٢٢، دراسة وتقديم الحسيني الحسيني معدّى، دار الحرم للتراث_القاهرة،(٢٠١٠).

إنّ هذه الشهادة لم تصدر من رجل عادي بل صدرت من عالم يشهد الناس فضله وعلمه، وقد جاءت هذه الشهادة بعد إدراك الفرق بين موقف الإسلام من العلم وبين موقف السلطات الدينية المتمثلة في الكنيسة من ناحية أخرى.

وعلى خلاف ذلك الغرب الذي تصدرت فيه الكنيسة محاربة العلم والعلماء، بل أنكرت أن يكون هناك علم قد ورد في غير الكتاب المقدس، وتصف زيغريد نظرة رجال الدين في الغرب للعلم: "ويعرّف القديس أغسطينوس محور المعرفة قائلاً: "أما الرب والروح فإني أبغي معرفتهما. فالبحث عن الحقيقة هو البحث عن الله وهذا لا يستدعي معونة من الخارج". والمصدر الوحيد لتلك المعرفة هو الكتاب المقدس، وقصة الخليقة تعطي كل ما يحتاجه المرء من معلومات عن السماء والأرض والجنس البشري. وأما أن يكون هناك سكان على الوجه الآخر من الأرض، فقد نفاه أغسطينوس بشدة: "الكتاب المقدس لم يذكر مثل هذا الجنس في سلالة آدم"[(١)].

إن موقف القديس إنما يمثل موقف الكنيسة وهو في قمة التناقض مع الإسلام الحنيف الذي يجعل الكون كتاباً مفتوحاً أمام الإنسان، وما عليه إلا دراسته واكتشاف أسراره، والقرآن الكريم يعطي ومضات علمية وأخرى كونية؛ ليحفز الإنسان على التفكر والإقدام على دراستها والتوصل لدقائق تفاصيلها، وبلغ برجال الدين في الغرب أن يتنكروا لكل ما لم يرد في الكتاب المقدس، وإن وجدت دلائل صحته، فكفروا كل من جاء بعلم لم يرد في كتابهم المقدس، فهذا رجل من رجال الكنيسة يستنكر القول بكروية الأرض: "هل هذا من المعقول؟ أيعقل أن يجن الناس إلى هذا الحد، فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض، وأنّ أقدام الناس تعلو رؤوسهم؟"[(٢)].

لهذا كانت الكنيسة بمحاربتها للعلم والعلماء معول الهدم برجالها وكهنتها، فأخذوا بجمع قواهم لمحاربة العلم بشتى الوسائل والطرق، ويتحدث موريس بوكاي عن موقف الكنيسة ورجال الدين من العلم فيقول: "علينا أن نعترف بأنّ العلماء قد لاقوا مصاعب جمة من السلطات الدينية لبعض الأديان. ففي الوسط المسيحي وعبر قرون كثيرة بادرت سلطات مسئولة، ودون الاعتماد على أي نصوص حقيقية للكتب المقدسة، بمعارضة تطور العلوم. اتخذت هذه السلطات ضد

---

(١) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٧٠. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص٣٧٠. مرجع سابق.

العلماء الذين كانوا يحاولون تطوير العلوم الإجراءات التي نعرفها، تلك التي دفعت بعض العلماء إلى المنفى تلافياً للموت حرقاً أو إلى طلب المغفرة بتعديل مواقفهم وبالتماس العفو"[١].

فقاد موقف الكنيسة ورجال الدين من العلم أوروبا إلى عصر الظلمات والجهل في الوقت الذي كان الإسلام يحث على العلم ويعتبره من أولويات واجباته، ويشجع المسلمين عليـــه فـــي مجالاته كافة.

وتتحدث عن هذا زيغريد: "...وعلى الرغم من هذا فقد بدت للسادة المهيمنين على الأمور ضرورة تحريم الكتب التي تهتم "بالأمور الحقيرة" الدنيوية على المتعلمين ورجال الدين. ففـــي عام١٢٠٦م نبّه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد في باريس رجال الدين بشدة على عدم قراءة كتب العلوم الطبيعية واعتبر ذلك خطيئة لا تغتفر. وقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة وأعاق كل بحث علمي وأجبر كل المفكرين الذين لا تتفق أعمالهم ومعتقدات الكنيسة هذه على إنكار ما قالوه من النظريات العلمية وإلا كان مصيرهم الحرق العلني بالنار لكفـــرهم وخـــروجهم علـــى المعتقدات الإلهية"[٢].

فأين هذا من الإسلام الذي يشجع العلم والعلماء فلم يقتصر على علوم دون علوم؟ وإنمـــا كلها مباحة للإنسان دراسة وتعلماً واكتشافاً واختراعاً، وهل إقبال المسلمين في مختلف العصور على جميع أنواع العلوم إلا انطلاقاً من تشجيع دينهم على ذلك؟ بل إنّ هناك الكثير من علمـــاء المسلمين ممن اشتهروا بعدة فروع في العلوم، فتجد الواحد منهم إضافة لفقهه في مسائل الشرع طبيباً وفيلسوفاً ومؤرخاً ومخترعاً والتاريخ يشهد على ذلك شهادة لا طعن فيها ولا رياء.

وتقارن كوبولد ايفلين في كتابها البحث عن الله بين موقف الإسلام والغرب مـــن العلـــم: "اطلبوا العلم ولو بالصين"[٣] هذه كلمة النبي العربي إلى المؤمنين، وأوجب عليهم فيها طلب العلم من أقصى الأرض إلى أقصاها. وهي كلمة ألقاها محمد وأمر بها منذ مئات السنين، لله هي من كلمة ما أجملها وأروعها وأعظمها، ولكن العالم الأوربي لم يتفهم خطورتها ولا اتبعهـــا حتـــى القرن الثالث عشر، وبعد سبعة قرون من صدورها، فإنّ إدوارد الأول ملك الانكليز منع روجر باكون الفيلسوف الانكليزي من البحث في الكيمياء، والمحاضرة بها في جامعة أكسفورد مركـــز

---

(١) بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، ص١٩٦. مرجع سابق.

(٢) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٧٠. مرجع سابق.

(٣) حديث موضوع. الألباني، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ص١٢٩، رقم الحديث٩٠٦. الكاتبة استـــشهدت به.

العلم في عاصمة الانكليز. ولم تكتف حكومة لندن بذلك بل نفت هذا الفيلسوف إلى باريس، وجعلته فيها تحت رقابة الكنيسة،...ولكنهم عادوا فأطلقوا سراحه، وتركوه يسير سبيله في العالم يبحث عن المعرفة، ويسعى للوصول إلى دقائقها وأسرارها، وقد وجدها، ولكن أين وجدها؟ لقد وقع عليها كما يقول المؤرخون في جامعات إسبانيا الإسلامية، وكذلك عرف كلومبوس في هذه الجامعات نفسها أنّ الأرض مدورة، وإن كانوا أجبروه بعد ذلك على إنكار نظريته هذه"(١).

هكذا كان رجال الدين في الغرب، وهذا هو موقفهم من العلم، فأي مجال للمقارنة بينهم وبين دين يشيد بالعلم، ويحث عليه؟ بل يجعل من أنبياء الله ورسله هم القدوة والأسوة؛ فآدم عليه السلام إنما فضله الله عز وجل على الملائكة بفضل ما آتاه من العلم، ويوسف عليه السلام يعلمه الله تأويل الرؤيا، كما أنه برع في الاقتصاد، فالإسلام لا يشترط في العلم أن يكون دينياً فحسب، فأي علم من شأنه أن يخدم الإنسان ويساعده على إعمار الأرض فهو علم مطلوب. وكليم الله موسى عليه السلام وهو على ما هو عليه من شرف النبوة والرسالة يسير في الأرض بحثاً عن من هو أعلم منه لينهل من علمه، فأمة تدين بالإسلام وكتابها القرآن يحوي بين دفتيه كل هذا التقدير وإعلان شأن العلم، وتتخذ من هدي أنبياء الله ورسله سنة وقدوة حسنة لجديرة أن تنجذب أنظار الشرق والغرب إليها إعجاباً وتقديراً.

ورسول الإسلام في أول غزوة من غزواته يقبل فداء كل أسير مشرك لتعليم عشرة من أبناء المسلمين، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يدرك قيمة العلم؛ فأراد أن تكون أمته عالمة متعلمة، ويسير المسلمون على هديه في حب العلم وتقديره.

إنّ أمة تقدر العلم بهذا القدر لا بد أن تحدث أثراً حضارياً بين الأمم لا سبيل لطمسه، ويتحدث المنصفون من الغرب بألسنة حالهم عن مدى الهوة العميقة والفجوة الواسعة التي تفصل بين الشرق والغرب: "لو أردنا دليلاً آخر على مدى الهوّة العميقة التي كانت تفصل الشرق عن الغرب، لكفانا أن نعرف أن نسبة ٩٥% على الأقل من سكان الغرب في القرون: التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر، كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة... وبينما أمراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة أو القراءة، وفي الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلم، لدرجة أنه عام ١٢٩١م لم يكن في دير القديس جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع

(١) كوبولد، **البحث عن الله**، ص٩١_٩٢. مرجع سابق.

حلّ الخط، بينما كان هذا كلّه يحدث في الغرب، كانت آلاف مؤلفة من المدارس في القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات"(١).

فالمساجد التي هي بيوت الله لم يقتصر دورها على العبادة فحسب؛ وإنما كانت بمثابة مدارس تعقد فيها حلقات ومجالس العلم بل تشتمل هذه المساجد على المكتبات التي لا يستغني عنها العلماء والطلاب على حد سواء(٢).

لكن ما هو الدافع والسرّ الذي يكمن وراء حب هؤلاء للعلم والتعلم؟ وتجيب على هذا السؤال زيغريد: "وكان الدافع إلى كل هذا هو رغبتهم الصادقة في أن يكونوا مسلمين حقاً كما يجب أن يكون المسلم. فلم يجبرهم أحد على ذلك بل اندفعوا إليه عن رغبة وإيمان، لأنّ من واجب كل مسلم أن يقرأ القرآن"(٣).

إنّ الدافع الحقيقي وراء هذه الرغبة في العلم وحب التعلم إنما هو هذا الدين الحنيف، فالإسلام يشجع على التعلم فأول ما نزل من آيات الذكر الحكيم "اقرأ" فالقرآن الكريم مليء بالآيات الكريمة التي تحث على العلم وترفع من قدر العلماء، بل إنّ هناك سورة من القرآن اسمها القلم الذي هو أداة العلم، ويقسم الله تعالى بهذه السور بهذه الأداة قائلاً جل شأنه: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [سورة القلم: آية رقم١].

وليس أدل على اهتمام المسلمين بالعلم من سياستهم في البلاد التي فتحوها وإقبالهم على تعلم لغة سكانها والإطلاع على علومهم والاستفادة منها، وإنشاء المدارس إلى جانب المساجد ويتحدث لوبون عن ذلك قائلاً: "وجد العرب في بلاد فارس وسورية، حينما استولوا عليها، خزائن من العلوم اليونانية، فأمروا بنقل ما في اللغة السريانية منها إلى اللغة العربية، ولم يلبثوا أن أمروا بأن ينقل إليها ما لم يكن قد نقل، فأخذت دراسات العلوم والآداب تسير قُدُماً إلى الأمام. ولم يكتف العرب بما نقل إلى لغتهم، فقد تعلم عدد غير قليل منهم اللغة اليونانية، على الخصوص، ليستقوا منها علوم اليونان،... والإنسان يقضى العجب من الهمّة التي أقدم بها العرب على البحث، فإذا كانت هناك أممٌ قد تساوت هي والعرب في ذلك فإنك لا تجد أمة فاقت

---

(١) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٩٣. مرجع سابق.
(٢) أنظر حول الموضوع: ديُورانت، **قصة الحضارة**، ج٢مج٤ص١٧٠. مرجع سابق.
(٣) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٩٣. مرجع سابق.

العرب على ما يحتمل، فالعرب كانوا إذا استولوا على مدينة صرفوا همّهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها"(١).

ولم تقتصر جهود العرب على نقل علوم الآخرين، فقد حرصوا على أن يكون لهم علومٌ خاصة بهم، إذ يرجع الفضل لهم في اكتشاف المناهج العلمية التي ما زالت تدين لفضلها وتقتبس من نورها الجامعات والمدارس الأوروبية حتى في عصرنا الحاضر.

فالطريقة التجريبية التي هي من أهم ما توصل إليه العقل، والتي هي أساس المناهج العلمية الحديثة، إنما يرجع الفضل إلى العرب في اكتشافها قبل أوروبا، وأوروبا إنما اقتبستها من العرب اقتباساً، وهي جزء من استعارة الغرب للكثير من علوم الشرق(٢).

فهذه شهادة إنصاف تنطق بها أوروبا على لسان علمائها على اختلاف هوياتهم وجنسياتهم وعصورهم، إذ يرجع الفضل لأهله دون إجحاف، والأمر ذاته ما ذهبت إليه لورا فيشيا، التي بدورها تستنكر أن يكون الإسلام عائقاً في سبيل الثقافة والعلوم إذ تقول في ذلك: "كيف نستطيع أن نقول إنّ الإسلام عاق نموّ الثقافة في القرون السالفة ونحن نعلم أنّ بلاطات الإسلام ومدارسه كانت آنذاك منارات ثقافة لأوروبة في ظلمات القرون الوسطى،... ألم يكن العرب أول من اصطنعوا الطرائق التجريبية قبل أن يعلن بايكون ضرورتها بزمن طويل؟ وتطور الكيمياء، وعلم الفلك، ونشر العلم الإغريقي، وتعزيز دراسة الطب، واكتشاف مختلف القوانين الفيزيائية أليست هذه من مآثر العرب؟"(٣).

وفي معرض حديث لوبون عن فضل العرب يقارن بين مناهج العرب ومناهج غيرهم ويتابع شهادته واعترافه بفضل علوم العرب على علوم سواهم قائلاً: "منهاج العرب قائم على التجربة والترصد، وأما درْس الكتب والاقتصار على تكرار رأي المعلم فقد سارت عليه أوربة في القرون الوسطى، والفَرْق بين النّهجين أساسيٌ، ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية إلا بتحقيق هذا الفرق... واعتماد العرب على التجربة منح مؤلفاتهم دقة وإبداعاً لا يُنْتَظَر مثلهما من رجل تعوّد درس الحوادث في الكتب، والعرب لم يبتعدوا عن الإبداع إلا في الفلسفة التي كان

---

(١) لوبون، **حضارة العرب**، ص٥٢٦_٥٢٧. مرجع سابق.
(٢) ديُورانت، **قصة الحضارة**، ص١٩٦. لوبون، **حضارة العرب**، ص٥٢٧_٥٢٨. بتصرف. مرجع سابق.
(٣) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص١٣٠_١٣١. مرجع سابق.

يتعذر قيامها على التجربة[١]. ونشأ عن منهاج العرب التجريبيّ وصولهم إلى اكتشافات مهمّة، فسترى من مباحثنا في أعمال العرب العلمية أنهم بالحقيقة أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حققه الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيراً، وكان تراث الإغريق العلميّ قد انتقل إلى البيزنطيين فلم يستفيدوا منه منذ زمن طويل، فلما آل إلى العرب حوّلوه إلى غير ما كان عليه، فتلقاه ورَثَتهم مخلوقاً خلقاً آخر"[٢].

فإن أمّة عنوان دينها **اقرأ** كان لا بد لها أن تبني حضارة لها أعظم الأثر في حضارة الآخرين، وهذا ما ستبينه الباحثة في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية

لقد جاء الإسلام وجمع شمل العرب، ووحدهم من بعد شتات، وجمعهم على قلب رجل واحد بفضل العقيدة التي آخت بينهم، وقضت بالأخوة التي جمعت بينهم على بذور الخلاف والشقاق، ورسمت غاية وهدفاً من حياتهم، ملتفين حول نبيهم بعدما كانت نيران الحقد والعداوة تأكل بعضهم بعضاً، فتفجرت الطاقات من أعماقهم وأخذوا يسيحون في الأرض ينشرون نور العلم مع نور الإيمان، فيبددون ظلام الكفر مع ظلام الجهل في وقت واحد، فلا غرو أن يكون هذا الدين الجديد الذي يسري في دمائهم، وله من الفضل ما لا يخفى في بعث روح العلم والبحث، كان له الدور الأعظم في انبعاث حضارة تشرق شمسها لتستلم زمام الحضارات. وتتحدث صاحبة كتاب **شمس العرب تسطع على الغرب** عن بعث العرب الجديد: "ثم جاء الإسلام فجمع هذه القبائل المتنازعة المفككة ليجعل منها في سنوات قلائل شعباً عظيماً، آخت بين أفراده العقيدة، وربطت عناصره المحبة. فتهافتوا جميعاً على مناصرة الدين الجديد وتناسوا خلافاتهم وساروا طرّاً يداً واحدة، يحدو كل فرد منهم أملٌ باسم مشرق في أن تكتب له الشهادة في سبيل الله. وبهذه الروح القوّية الفتيّة شقّ العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول بنفسه، وظلت دائماً مسئولة أمام الحكومة المركزية مباشرة، فكان النصر للعرب على أعدائهم المتفوقين عليهم في العدد والعتاد.

---

(١) الحقيقة أن المؤلف في هذا الموضوع قد جانب الصواب إذ أنّ الفلسفة قد برع العرب أيضاً بها، فما ابن سينا وابن رشد والفارابي والغزالي إلا نماذج حيّة على ذلك ومؤلفاتهم في الفلسفة تشهد لهم.

(٢) لوبون، **حضارة العرب**، ص٥٢٩. مرجع سابق.

أو ليس في انتصاراتهم السريعة المتلاحقة أكبر دليل على أثر ذلك الروح الجديد الذي سرى بينهم؟ أوليس في هذا الإيمان تفسير لذلك البعث الجديد؟"[(١)].

شغف العرب بالعلم وفي فتوحاتهم اطلعوا على علوم السابقين وترجموها للغتهم ودرسوها، ولم يكتفوا بها بل طوروها، وضعوا العلوم الخاصة بهم، ولم ينحسر دورهم فقط في الحفاظ على علوم الآخرين وإنما أسسوا بنيانهم الخاص بهم، لذا يقول محمد أسد: "...ولكنّ الذي صنعه العرب كان أكثر من بعث لعلوم اليونان القديمة، لقد خلقوا لأنفسهم عالماً علمياً جديداً تمام الجدة. لقد وجدوا طرائق جديدة للبحث وعملوا على تحسينها، ثم حملوا هذا كله بوسائط مختلفة إلى الغرب. ولسنا نبالغ إذا قلنا إنّ العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه لم يدشن في مدن أوروبة النصرانية، ولكن كان في المراكز الإسلامية: في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة"[(٢)].

ففي فتوحاتهم لم تقتصر غنائمهم على الأموال، وإنما كانت تلك العلوم التي وجدوها فأحسنوا سبل التعامل معها وأولوها أهمية وعناية فائقة فرفعوا من قدرها وعاملوها وكأنها جواهر نفيسة، فأقبلوا عليها دراسة وترجمة وشرحاً في الوقت الذي لا يمكن أن ينسى التاريخ معاملة المغول والتتار لتراث المسلمين ومكتباتهم خاصة في بغداد.

وتستفيض المستشرقة زيغريد في الحديث عن حب العرب للعلم، وعن حرصهم على اقتناء المكتبات التي تضم مختلف العلوم، وعن انتشارها في القاهرة والأندلس، وتوجه طلاب العلم من الشرق والغرب للمدارس العليا ولتلك المكتبات العظيمة واهتمام الخلفاء بها[(٣)].

ويتحدث موريس بوكاي عن أثر حضارة المسلمين على أوروبا قائلاً: "...كان الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد أوروبا للدراسة بقرطبة مثلما يحدث في عصرنا أن نسافر إلى الولايات المتحدة لتحسين وتكميل بعض الدراسات. ولكم هي كثيرة تلك المخطوطات القديمة التي وصلت إلينا بواسطة الأدباء العرب ناقلة بذلك الثقافة إلى البلاد المفتوحة...! ولكم نحن مدينون للثقافة العربية في الرياضيات(فالجبر العربي) وعلم الفلك والفيزياء(البصريات) والجيولوجيا

---

(١) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٥٦. مرجع سابق.

(٢) أسد، **الإسلام على مفترق طرق**، ص٤٣. مرجع سابق.

(٣) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٥٣. بتصرف. مرجع سابق.

وعلم النباتات والطب(ابن سينا)[1] إلى غير ذلك. لقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية في جامعات العصر الوسيط الإسلامية. في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثراً بالروح الدينية، مما هو عليه في عصرنا...! ولكن ذلك لم يمنعهم أن يكونوا في آن واحد مؤمنين وعلماء. كان العلم الأخ التوأم للدين"[2].

في الإسلام يسير العلم جنباً إلى جنب مع الدين دونما أي تعارض، وبتشجيع من الشرع الحنيف أقبل المسلمون على العلوم في مجالاتها كافة ليقدموا للبشرية خلاصة ما توصلوا إليه بحثاً ودراسة وابتكاراً فكان لهم الأثر الملموس على سائر الحضارات. فالحضارة التي أسهم الإسلام في بنائها واضحة للعيان يقر بها علماء الغرب والشرق ممن لا يدينون بالإسلام، وأثر هذه الحضارة على أوروبا والفكر الغربي لم ينكره أهل الإنصاف بل يعترفون به ويذكرون أبناء جنسهم وديانتهم في هذا الأثر الذي لم يتنكروا له رغم كامل انتمائهم لدينهم فيقول في ذلك نصري سلهب: "لا بد من الإشارة إلى المداميك الكثيرة التي رصفها الإسلام في بناء الحضارة وبتعبير آخر إلى إسهام الإسلام في تراث البشرية الحضاري، في حقلي الفكر والعلم بمختلف فروعهما من فلسفة وشعر وموسيقى وطب وكيمياء وفيزياء ورياضيات وهندسة إلى آخر سلسلة معطيات وعناصر جعلت الإنسانية ترتفع إلى مستوى خليق بها، وجعلتها تنعم بما تنعم به اليوم. إنّ ذلك ضروري. لأنّ كثيرين من المسيحيين يجهلون مدى وأهمية إسهام الإسلام، كدين وكدولة، في الحضارة. وأنّ الغرب فيما ينعم به اليوم من أسباب الحضارة والرقي والتفوق مدين به لنفسه، أي للفكر الغربي دون سواه. وذلك خطأ كبير..لأنّ الغرب مدين لهذا الشرق _وبتعبير آخر_ إنّ المسيحية مدينة للإسلام بأشياء كثيرة مهمة، وأنّ الشرق اليوم ليس سوى دائن يستوفي دينه من مدين قديم"[3].

---

(١) ابن سينا: هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس، ولد في أفشنة من أعمال خوزستان في حدود سنة ٩٨٥م، انتقل به أبوه إلى بخارى حيث درس القرآن وأصول اللغة، وتلقى العلوم على أبي بكر الخوارزمي، وأما الطب فقيل حصّله على عيسى بن يحيى، من أهم مؤلفاته: "القانون" ويتناول الطبيعيات والإلهيات والتصوف والأخلاق، وأنضج مؤلفاته ما وضعه في باب الحكمة المشرقية كحكاية "حي بن يقظان" ورسالة "الطير" حيث اعتمد الأسطوري الرمزي.(مجموعة مؤلفين، **الموسوعة**، مج٣، ص٤٥٤، جنيف_شركة ترادكسيم،(١٩٩٢)).

(٢) بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، ص١٩٧. مرجع سابق.

(٣) سلهب، **لقاء المسيحية والإسلام**، ص٤٤. مرجع سابق.

إنّ هذه الشهادة لحق أن يتأملها أبناء الشرق والغرب قاطبة، ليعلموا أنّ حضارة الإسلام استقت منها ومن روافدها أوروبا قاطبة، وأنها تدين لها بما بلغت من كل أسباب التقدم والرقي لأنها كانت عامل الإنقاذ لها في عصر كانت الكنيسة تقف كمعول هدم وسد منيع بينها وبين كل أنواع التقدم والتحضر.

لكن ما الذي يكمن وراء انتصارات العرب، وتحقيق انجازاتهم العلمية بعدما كانوا قلة قليلة لا تكاد تذكر في تاريخ البشرية، بعدما كانوا حفنة تلتهمهم رمال الصحراء يقاسون القلة والتناحر، ويتصارعون من أجل الحصول على لقمة العيش وينتزعونها انتزاعاً من تحت أشعة الشمس الحارقة وفوق رمال الصحراء المتوهجة، وتتساءل المستشرقة زيغريد عن سبب ذلك: "إنّ هذه القفزة السريعة المدهشة في سلّم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللاّشيء لهي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني. وإنّ انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضّرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا هنا أن نقف هنيهة متأملين. كيف حدث هذا؟ وكيف أمكن لشعب لم يمثّل من قبل دوراً حضارياً أو سياسياً يذكر أن يقف مع الإغريق في فترة وجيزة على قدم المساواة؟[1].

وتجد المستشرقة أن بيزنطية عجزت، وهي وريثة الحضارتين الشرقية والإغريقية، كما عجزت فارس التي اقتبست من حضارة الهند؛ أن تضع كل منهما قدماً في سلم الحضارة على الرغم من تمتع كلتيهما بحسن الأوضاع الاقتصادية ورعاية الملوك للعلماء[2].

لكن من ذا الذي ورث حضارة الإغريق، بل تفوق عليها؟ إنهم العرب القادمون من قلب الصحراء، فهذا ما اعترف به أبناء الغرب المنصفون: "لم يأت خلفاء الإغريق على عرش الحضارة من بيزنطية أو من سورية؛ ولم يأتوا من فارس، حلقة الاتصال بين حضارتي الشرق والغرب، بل أتى سادة الحضارة الجدد من قلب الصحراء الجدباء ليتبوّأوا فجأة مركز الزعامة بين حضارات العالم، بلا منازع، مدة ثمانية قرون. وبهذا ازدهرت حضارتهم أكثر من حضارة الإغريق أنفسهم"[3].

---

(١) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٥٤. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥٥. بتصرف. مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص٣٥٥. مرجع سابق.

وتعتقد المستشرقة جازمة أنّ ثمة سبباً يكمن خلف المبعوث القادم من الصحراء، وحق لها أن تعتقد ذلك، فوثبتهم تلك التي وثبوها بعدما كانوا قلة يغلب التناحر عليهم ليصبحوا أمة ذات حضارة مشرقة تشع على غيرها من الحضارات، فيثير ذلك دهشة الكثيرين، فيطرح السؤال نفسه عن السبب الذي يكمن وراء تقدم العرب وانبعاثهم بهذه الصورة الجليلة: "الآن يطرح علينا السؤال نفسه طالباً منا إجابة شافية. ما هي المقوّمات التي احتاجها هذا الشعب ليُبعث مثل هذا البعث؟ وما هي العوامل التاريخية والاجتماعية والروحية والفكرية التي كان لا بد لها أن تجتمع لتخلق هذه المعجزة التي حققها العرب؟"(١).

لكنّ جواب السؤال سرعان ما تعرفه هذه الباحثة في شؤون العرب، هي وغيرها من المتأملين في أحوال العرب قبل الإسلام وبعده يعلم بأنّ السبب وراء ذلك جلي الوضوح لمن أراد أن يقرأ التاريخ بإنصاف ودون تحيز، إنه الدين الجديد الذي قلب الموازين وغيّر مجرى التاريخ، وإيمان العرب به كان وراء هذا البعث الجديد(٢).

فالدين الذي يكمن وراء بعث العرب من قلب الصحراء إلى سلم الحضارة ليتصدروا الريادة، إذ كان يشجع أتباعه على اقتحام ميدان المعرفة وتعلمها، ويرفع من قدرها وقيمتها، ويحض على التعليم بجزيل الأجر للعلماء، كان الدين نفسه يقف خلف أفول الحضارات الأخرى، فقد كانت الكنيسة تلاحق العلماء وتنظر للعلم على أنّه بدعة بل لعنة تحلّ بأصحابه، فأي محاولة كانت تهدف لبعث الروح في حضارة الغرب كانت تبوء بالفشل؛ لأنّ الإمبراطورية الرومانية كانت تحول دون حصوله خاصة بعد أن أصبحت مسيحية، وحول هذا تتحدث زيغريد: "لقد باءت كل تلك المحاولات بالفشل الذريع، لأنّ الإمبراطورية الرومانية كانت منذ زمن بعيد قد أصبحت امبراطورية مسيحية، وقد أعلن اغسطينوس صراحة سيادة القوى الدينية على ما عداها. وبدأت رومة تنشر مذهبها الجديد في جميع أنحاء الإمبراطورية، طريق مبعوثيها. ولم يضمحل شأن الدراسات واللغة الإغريقية، في بلاد الغال وبريطانية، إلا نتيجة لمجهودات

---

(١) المرجع السابق، ص٣٥٥. مرجع سابق.

(٢) سلهب، **لقاء المسيحية والإسلام**، ص٤٧٠.هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٥٦. بتصرف. مرجع سابق.

مبعوثي رومة القضاء على حضارة الكفار، غير المسيحيين، حتى أنها قضت على ما كانت هي نفسها قد اقتبسته عنهم..."[١].

فاستخدام العقل جريمة ما كانت لتسمح بحدوثها الإمبراطورية الشابة: "لقد أصبح استخدام العقل للبحث في الطبيعة وعجائبها، بدلاً من الاهتمام بتعاليم الديانة الجديدة وأبحاثها، يُنظر إليه على أنه إساءة لاستخدام القوى التي منحنا إياها الله. ويدعم الأب لاكتانتيوس هذا الرأي قائلاً: "ولو كان هناك احتمال للوصول إلى الحقيقة عن طريق البحث والدراسة، لكنا قد توصلنا إليها منذ زمن بعيد. وبما أنّه لم يُتوصل إليها، برغم ما ضاع في سبيل ذلك من وقت وجهد، فمن الواضح الجليّ إذن أنّ الحكمة والحقيقة لا وجود لهما". وكما شاد المسيحيون الكنائس من أعمدة الآثار القديمة ومراقيها، فقد اتخذوا كذلك، مما تبقى من فلسفة وعلم، مادة لخدمة أهداف الديانة. فالطريق الوحيد لتطهير الروح هو طريقها إلى الله، والضلال هو البحث عن الحقيقة في غير الكتاب المقدس، والتفكير والتمحيص في أمور دنيوية"[٢].

فشتان بين الدين الإسلامي الذي يرحب بل يشجع على البحث عن الحقائق، ويحث على تعلم العلوم لأنها ستقود صاحبها للإيمان الصحيح، إذ لا تعارض بين الدين والعلم، وبين الكنيسة

وموقف رجالها من البحث والعلوم الذين ترجموا كراهيتهم للعلم والمعرفة عملياً؛ فقد طالت أيديهم المكتبات فعاثوا فيها فساداً وتخريباً، وكأنها مرض جذام يخشون العدوى منه، فأرادوا أن يتخلصوا منه فلا يبقى له أثر في حياتهم وممتلكاتهم، وهذا ما رصده المنصفون من الغرب الذين درسوا التاريخ، فانطلقت الحسرة على آثارهم العلمية التي ضيعها أبناء جلدتهم، وتنعى زيغريد ما حلّ بالمكتبات وبالعلم بسبب الكنيسة: "وكان أكبر دليل مؤلم على هذا التفكير الغريب أعمدة الدخان، وألسنة اللهب التي اندلعت فوق الإسكندرية، كنز المعرفة الإغريقية على مر العصور، والتي أصبحت حينذاك مركزاً للكنيسة المسيحية إلى جانب رومة. احمرت السماء بنيرانها فوق دلتا النيل، وحُرقت نفائس ثمينة لا تعوّض من الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ والعلم والثقافة الإغريقية. حرقتها وأبادتها مجموعة من المسيحيين المتعصبين"[٣].

---

(١) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٦١. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص٣٦١. مرجع سابق.

(٣) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٦٢. مرجع سابق.

وكانت النتيجة الحتمية لذلك هو القضاء على مراكز الحضارة في الغرب: "وهكذا اختفت مراكز الحضارة الإغريقية واحداً إثر واحد. وأقفلت آخر مدرسة للفلسفة في أثينة عــام ٥٢٩م. وأحرقت في رومة عام٦٠٠م مكتبة البلاتين وهدم ما تبقى من آثار أبنية القدماء"[١].

كما أنّ الحضارة الإسلامية بالإضافة إلى تحقيق ذاتها، ساهمت في إحياء تلك الحضارات التي عمل أصحابها على دفنها، فتشيد زيغريد بجهود العرب فـي هـذا الإطـار: "والحـضارة الفارسية لم تكن لتخرج للوجود على يد الرازي[٢] وابن سينا مثلاً، لو لم تمنحها الحضارة العربية طاقات جديدة ممتازة"[٣].

ومن مساهمات العرب في إحياء تلك الحضارات ترجمتهم للكتب في جميع الميادين ونقلها للغة العربية[٤]، مما أدى إلى المحافظة عليها من الاندثار والضياع، فقد قام العرب على سـبيل المثال بترجمة كتب من الفارسية إلى العربية مثل تلك القصص القصيرة التي جاءت على شكل حكايات خيالية على لسان الحيوان كتبها حكيم هندي، إذ ضاعت أصول الكتاب ولـم تبـق إلا الترجمة العربية، كما قام العرب بتأسيس بيت الحكمة لتكون مكتبة ودار بحث ومركـزا لنقـل الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية[٥].

---

(١) المرجع السابق، ص٣٦٢. مرجع سابق.

(٢) محمد بن زكريا أبو بكر الرازي، ولد في مدينة الري جنوب طهران. درس الطب في حوالي الثلاثين مـن عمره بعد أن قرأ الحكمة على يد البلخي، ثم تولى رئاسة بيمارستان الري(مستشفاها العام)، ثم انتقل إلى بغداد. برع الرازي في الطب وألف العديد من الكتب والرسائل فيه، إلا أنه كتب فـي الفلـك والحكمـة والسياسة، ومن أبرز مصنفاته في صناعة الطب "الحاوي" وهو أجل كتبه، وله العديد من المؤلفات التي بيّن فيها أن الأرض كروية وأنها في كبد الكون، وأن الأرض أصغر من الشمس. يعد الرازي طبيباً من الدرجة الأولى، فهو طبيب الإسلام بل أعظم الأطباء في الدولة الإسلامية وفي الشرق والغـرب، فـي العصور الوسطى. والرازي عالم نفساني وعالم كيميائي. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية: **الموسـوعة العربية العالمية**، ط١، ج١١ص٥٧، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض_السعودية.

(٣) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٦٨. مرجع سابق.

(٤) في أيام المأمون بدأت حركة زاهية من أعظم الحركات في تاريخ الفكر الإسلامي. واتسمت المرحلة الأولى من هذا العصر الفكري بنقل الكتب من أصول مختلفة إلى اللغة العربية. وبدأت هذه المرحلة بنقل مقالات في الفلك حملت هذا العلم إلى البلاد الإسلامية وباستعارة الأرقام التي يسميها العـرب هنديـة ويُـسمّيها الأوروبيّون عربية. كما أسس الخليفة المأمون عام ٨٣٠ للميلاد مؤسسة تدعى بيت الحكمة حيث كانـت مكتبة ودار بحث ومركزاً لنقل الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. حتي، **الإسلام منهج حيـاة**، ص١٨٦، ١٨٨. ديُورانت: **قصة الحضارة**، ص١٧٧_١٧٩. مرجع سابق. بتصرف. مرجـع سـابق. واط، مونتغمري: **أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا**، ص٨١، ترجمـة جـابر أبـي جـابر، دمشق،(١٩٨١).

(٥) حتي، **الإسلام منهج حياة**، ص١٨٧_١٨٨. بتصرف. مرجع سابق.

لقد قدم العرب للعالم أعظم هدية عندما نقلوا علوم السابقين وترجموها للغتهم، وأعادوها للحياة من جديد، وتشيد زيغريد بجهود العرب في الترجمة فتكتب تحت عنوان: الترجمة من حيث هي عامل حضاري"لم يكن ما أنقذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف والأقبية بعيداً عن النور والهواء. كلاّ، إن كل ما أنقذوه من الفناء قد خرجوا به من عالم النسيان والتعفن وبعثوا فيه حياة جديدة وجعلوه في متناول كل راغب عن طريق ترجمته. وقد ترجموه ليس إلى لغة جامدة غريبة عن الشعب لا يفهمها إلاّ الخاصة كاللاتينية في الغرب منذ القرن الثامن الميلادي، بل ترجموه إلى لغة حية في كل مكان آنذاك، هي لغة القرآن"(١).

وبفضل هذه الترجمة التي عكف عليها المسلمون وكرسوا جهودهم لها قاموا بإنقاذ الكثير من آثار القدماء العلمية، وحفظوا للحضارة أمهات الكتب في مختلف المجالات، بفضل العرب عرف العالم الكتب في علم التشريح والميكانيكا، والبصريات، وبفضلهم حفظوا للحضارة تلك القوانين كقانون العوم والمخطوطات في علم التوازن، ولولا جهودهم في الترجمة لضاعت هذه العلوم وما بقي من أثرها شيء يذكر(٢).

ولم يقتصر دور العرب على بعث الحياة في الثقافات القديمة، وإخراجها من سراديب الظلام إلى حيّز الوجود، وحول هذا يتحدث فيليب عن دور العرب وعن انجازاتهم: "إنّ فترة النقل تلك (في العصر العباسي) قد استمرت نحو قرن من الزمن وانتهت في نحو عام ٨٥٠ للميلاد(٢٣٦هـ)، ولكن تبعها دورٌ من الابتكار_ دورٌ عبر فيه العرب عن فكرهم الأصيل وازدهر في بغداد ثم امتد قرنين كاملين. وكثر الابتكار في عدد من ميادين المعرفة كعلم الكلام والفقه وفقه اللغة والبحوث اللغوية الأخرى والفلسفة والطب والعلوم الطبيعية. ذلك كان دوراً لا مثيل له في جميع أدوار التاريخ العربي. بل إنّ بإمكاننا أن نقول أكثر من ذلك: إننا على ثقة من أنّ العلماء الذين برعوا في الرياضيات والفلك والأطباء من الذين عاشوا في بغداد في القرنين التاسع والعاشر للميلاد(الثالث والرابع للهجرة) لم يكن لهم مثيلٌ (يومذاك) في قارتي أوربّة وآسية. لقد جعل هؤلاء من مدينتهم بغداد عاصمة للعلم في العالم كما كانت (من قبل) أثينة عاصمة للفلسفة ورومية عاصمة التشريع والقدس عاصمة الأديان. وهؤلاء العلماء الذين كانوا

---

(١) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٧٨. مرجع سابق. وانظر أيضاً: ديُورانت: **قصة الحضارة**، ص١٧٨. مرجع سابق.

(٢) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٨٤. مرجع سابق. ديُورانت: **قصة الحضارة**، ص١٧٨_١٧٩. مرجع سابق. بتصرف.

يرجعون إلى أنساب فارسية وتركية وسُريانية وقبطية وعربية وسواها كانوا كلّهم يكتبون باللغة العربية. ثمّ إنّ هؤلاء قد خلقوا حضارة ذات هبات غنيّة يغلب فيها عنصر الابتكار وأقاموا في الإسلام عصراً ذهبياً (في العلوم الكونية)"(١).

امتازت انجازات العرب بتنوعها في مجالات مختلفة كالطب والرياضيات وعلم الفلك وغيرها من العلوم التي ألفوا فيها المصنفات التي أثرت المكتبات ومراكز العلم، فكان لها الأثر الجلي على سائر الحضارات والذي يقر به أبناء الغرب وقد تعرضوا لانجازات العرب في العلوم في مؤلفاتهم(٢).

لقد كان لهم بصمتهم في الاختراع والابتكار، وجعلوا من بلادهم عواصم للعلم يقصدها الطلاب من كلّ الأنحاء كما يقصد تلك الأماكن المقدسة، لم يكتفوا بما حصلوا عليه من علوم الآخرين بل زادوا عليه وأسسوا لحضارات أخرى ما عرفت النور إلا من إشعاع حضارتهم، فكان عصر الإسلام العصر الذهبي في العلوم الكونية والدينية فأقبل الكل يستقي من نبعه، فدانت له بذلك الأمم برقيها وحضارتها، وإن أنكر ذلك الجاحدون إلا أنّ ثلة من عقلائهم ما زالوا ينسبون الفضل لأهله.

لقد أسس العرب حضارتهم الخاصة بهم، حضارة ما زال يدين لها العالم ويستقي منها إلى يومنا هذا: "إنّ العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتّبوها ثم أهدوها للغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع. وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم والتي سُرق أغلبها ونُسب لآخرين، قدّم العرب أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهّدت أمام الغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطّه عليها اليوم"(٣).

لم تضع أوروبا أول خطوتها على سلم التقدم إلا بعد أن نهلوا واستفادوا من علوم العرب والمسلمين وتتلمذت على مقاعد علومهم، وما كان للغرب أن يتقدم من غير فضل العرب وفكرهم ومؤلفاتهم، إذ يقول في ذلك مونتغمري وات: "...فعندما نتمثل الأبحاث العربية، الفكر

---

(١) حتي، **الإسلام منهج حياة**، ص١٨٩. مرجع سابق.

(٢). أنظر حول الموضوع: واط، **أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا**، ص٨٣_٩٣. مرجع سابق.

(٣) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٤٠١_٤٠٢. مرجع سابق.

العربي، المؤلفات العربية، في صورتها الكاملة، سيتضح أنه بدون العرب كان من المتعذر على العلوم والفلسفة الأوروبية أن تطور بمثل هذه الوتائر. لم يكن العرب مجرد ناقلين للفكر اليوناني، بل حملة أصلاء له. لم يحافظوا على العلوم التي حصلوها فحسب، بل وسّعوها وطوروها أيضاً. وعندما شرع الأوروبيون، حوالي عام١١٠٠، بالاهتمام جدياً بعلوم خصومهم المسلمين وفلسفتهم، كانت هذه العلوم في أوج ازدهارها. لقد اضطر الأوروبيون أن يتتلمذوا على العرب في كل شيء كان بإمكانهم تعلمه، ليستطيعوا، بعد ذلك فقط، التقدم إلى الأمام"(١).

إنّ فضل الحضارة الإسلامية على الغرب واضح يعترف به الغرب قبل الشرق، وقد بدأت الأصوات تعلو وهي تنادي لضرورة إعادة النظر في موقف أوروبا من حضارة العرب والمسلمين، ويترجم وات هذه الدعوة قائلاً: "...وبما أنّ أوروبا كانت تقف ضد الإسلام، فإنها كانت تقلل من أهمية التأثير الإسلامي وتبالغ في تبعيتها للتراث اليوناني والروماني. والآن بالنسبة لنا، نحن السكان الحاليين لأوروبا الغربية، التي تقترب نحو عصر "العالم الواحد" فإنّ من الضروري تصحيح هذا التشويه والإقرار كلياً، بما ندين به للعالم العربي الإسلامي"(٢).

نعم، مازالت جامعات الغرب تدين للعرب باختراعاتهم وكتبهم العلمية، وأنّ العرب لهم الفضل في تمدين أوروبا أخلاقاً وعلماً وفكراً، والتاريخ يشهد بانجازات العرب في الإنتاج والإبداع، فهذه حقائق وشهادات قدمها أعلام وأبناء الغرب كانت الموضوعية والمعطيات العلمية الأسس التي استندوا عليها.

تعقيب ونقد

هذا هو الإسلام الذي توصل إليه أبناء الثقافات الأخرى بل أتباع الشرائع الأخرى، درسوه دراسة فاحصة متأنية، فما أسفرت دراستهم إلا عن وجه الحقيقة التي أعلنوها على أبناء جلدتهم فعلموا من تعاليمه ومبادئه عظمته الكامنة بمصدره وأصل منبعه، فهو الدين الذي يناسب الجميع من غير تمييز أو تفريق، والشريعة التي لا تتعارض تعاليمها ومبادئها مع متطلبات الحياة وحاجة الفطرة البشرية، فوجدوا فيه ديناً حياً متحركاً غير قابع في دور العبادة ولا بشكليات جامدة لا حياة فيها ولا حراك، من تاريخه الناصع أيقنوا مدى سماحته ولينه مع الآخرين، يمد يد الرحمة والعطف دون قسوة أو عنف، يفتح قلوب العباد قبل البلاد، يحرر العباد ويطلق قيود العقل من الجهل ويفتح لها الآفاق في التدبر والتفكر.

---

(١) واط، **أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا**، ص٩٧_٩٨. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص٨٣_٩٣. مرجع سابق.

هو الشرع الذي يرفع قيمة العلم والعلماء، ويجعل في احترام الحياة والسعي في العلم عبادة ترتقي بها الأمم، يعلم أتباعه أن الحكمة ضالة المؤمن يبحث عنها ويقبلها حيث وجدها فحفظ بذلك تراث الأمم الغابرة وأضاف عليها حتى بنى حضارة كانت الرائدة في كل المجالات، ومن خطابه وتعاليمه أدرك المنصفون بأنه خطاب موجه للناس كافة ممتد امتداد الزمان والمكان، الداعي له نبي مرسل ختم بشرعه شرائع سبقت، وأُقفلت من بعده باب النبوات، فما كان من البعض أول ما سبر غوره وأدرك صدق دعواه إلا أن يدين بشرعه ويلتزم نهجه وتعاليمه تاركاً ديناً درج عليه سنوات، فأنارت الحقيقة بذلك قلبه وعقله، وفريق آخر لم يمنعه البقاء على ملة قومه ودين آبائه من قول الحق وشهادة إنصاف أنصف بها الإسلام ديناً ونبياً وحضارة فشهد شهادة حق غير مبالٍ إن وافقت أهواء قومه أم لم توافق، فتصدى بذلك لشبهات ودحض مفتريات حاول آخرون قذف الإسلام بها ونعته بتهم هو بريء منها كل البراءة.

لم تأت شهادات الغرب في حق الحضارة الإسلامية وأثرها على أوروبا من فراغ، لقد وقفوا وقفة إنصاف من غير خجل أو وجل فشهدوا بأنّ الغرب ما زال يدين للمسلمين وحضارتهم وعلومهم التي كانت نوراً يشع على أوروبا في الوقت الذي كانت تغرق في ظلمات الجهل، فيأتي مفكرو أوروبا بمختلف اتجاهاتهم وجنسياتهم فيشيدون بهذه الحضارة بل ويصنفون المؤلفات في فضلها على بلادهم، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم وإعجابهم بالإسلام شرعة ومنهاجاً الذي يقف وقفة احترام وتبجيل للعلم والعلماء ويحث على استخدام العقل الذي جعله وسيلة من وسائل الإيمان والتعرف إلى عظمة الله، في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة تحارب كل ما يمت للعلم بصلة، فجعلت كل من يبحث في العلوم ويناقشها مبتدعاً ضالاً يستحق اللعنة والطرد من الكنيسة، بل من رحمة الله، إنّ الفرق شاسع بيّن فالدين كان وراء بعث العرب وبزوغ حضارتهم فاعتلوا قمة الهرم في الوقت الذي كان الغرب في أدنى درجات السلم، وعندما سار الغرب في ركب الحضارة والتقدم ما تمكنوا من ذلك إلا بعد تحررهم من سلطة الكنيسة فكان انطلاق العقل وتحرره من قيوده وتقدمهم في العلوم يستلزم الثورة على الكنيسة والخروج عن طاعتها، وفي ذلك دلالة كبيرة على الفرق بين الإسلام وموقفه من العلم والعقل وبين الكنيسة ودورها في التقهقر والتراجع في مجال العلم ودور العقل.

وهنا لا يسعنا إلا القول بأن العرب لم يذع لهم صيتٌ ولم يرتفع لهم شأنٌ إلا عندما اتبعوا الدين الإسلامي الحنيف دين الفطرة، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا غارقة في ظلمات الجهل؛ بسبب جهل رهبان الكنائس ولم تتقدم أوروبا إلا في بعدها عن الدين، فهذه إفادة واضحة أنّ الدين الإسلامي جاء لرفعة المسلمين وليس لانحطاطهم.

الفصل الثاني: الإنصاف في حقيقة التوحيد

توطئة

المبحث الأول: التوحيد في الشرائع السماوية السابقة

المطلب الأول: التوحيد في اليهودية

المطلب الثاني: دعوة بني إسرائيل للتوحيد وتنقية عقيدتهم من الوثنية

المطلب الثالث: التوحيد في المسيحية

المطلب الرابع: دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد

المبحث الثاني: التوحيد في الإسلام

المطلب الأول: دعوة الإسلام إلى التوحيد

المطلب الثاني: مفهوم الإله في الإسلام

المطلب الثالث: الدين عند الله الإسلام

تعقيب ونقد

توطئة

الأصل الذي تقوم عليه الشرائع السماوية إنما هو التوحيد الخالص لقوله تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [سورة النحل: آية رقم٣٦]، فقد تعددت دعوة الأنبياء وإرسال الرسل إلـى أقـوامهم ليخرجوهم من تعدد المعبودات إلى عبادة الواحد القهار، وأن الدين الذي جاءت به الرسل إنمـا هو عند الله الإسلام لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[سورة آل عمـران: آيـة١٩]، ومضمون اليهودية والنصرانية الدعوة إلى توحيد الله مع أحكام شرعية تلائم أقوامها وأزمانهـا، فتوقفت أحكامها بانتهاء أزمانها، فجاء الإسلام ليعيد الناس إلى الدين الحق المتمثـل بالتوحيـد الخالص مزيلاً ما علق به من شرك، نافياً عن الله كل ما لا يليق بربوبيته وألوهيته ووحدانيته، منزهاً له من كل صفات النقص والتشبيه الذي لا تليق بالواحد الأحد، قـال تعـالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [سـورة الإخلاص: ١-٤].

المبحث الأول: التوحيد في الشرائع السماوية السابقة

أنعم الله على هذه البشرية بإرسال الرسل والأنبياء ليبينوا للناس أمور دينهم، فهم كالنور يضيء للناس السبل، يخرجونهم من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فجاءوا البشرية بشرائع تنظم حياتهم، وبأحكام تسوس أمور دينهم ودنياهم، فما أن يمضي نبي حتى يخلفه نبي آخر كي لا تضل البشرية ولا تتيه في شعاب الكفر والضلال، فتبقى الأسباب بين العبد وربه متصلة، يعبده ويتقرب إليه عن هداية ورشاد، تأخذ بيده تعاليم رسل أرسلهم الله، فتقدم الغذاء اللازم لروحه وفطرته تماما كما يحرص المرء على تغذية جسده، وجاءت الشرائع مجتمعة على عقيدة واحدة لا ثاني لها وإن اختلفت الأزمان والأقوام، مبناها التوحيد وإن تعددت الرسالات إلا أنّ المضمون واحد وصلب الرسالة واحد؛ لأنّ المشرّع واحد، فما من نبي إلا يدعو قومه لعبادة الواحد الأحد الذي لا يشابهه ولا يشاركه أحد، رافضا كل ألوان الشرك، فهذا نوح عليه السلام يدعو إلى التوحيد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم٥٩]. وعلى لسان هود يقول تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم٦٥]. ودعوة صالح عليه السلام أساسها أيضاً التوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم٧٣]. وهذا نبي الله شعيب عليه السلام يدعو قومه للواحد الأحد قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم٨٥].

لقد تتابعت دعوات الرسل ومضمونها واحد لا لبس فيه، فكل نبي يحرص على تنقية عقيدة قومه من الوثنية وجمعهم على عقيدة التوحيد الصافية خالية من أي شائبة من شوائب الشرك، فيقول تعالى في بيان دعوات الرسل ومضمونها: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [سورة النحل: آية رقم٣٦].

وسوف أتحدث في هذا الفصل عن التوحيد في الشرائع السماوية الثلاث مستهلة الحديث عن التوحيد في اليهودية.

المطلب الأول: التوحيد في اليهودية

اليهودية شريعة من شرائع الله المنزلة أرسل الله الأنبياء بها إلى بني إسرائيل، وهي شريعة قائمة على عقيدة التوحيد، والدعوة لعبادة الله من غير إشراك وهي أقدم شريعة سماوية في الشرائع الرئيسة الثلاث، وهذا ما ذهب إليه أحمد سوسة –وهو يهودي الأصل والنشأة كما سبق بيان ذلك–: "... ومما لا يقبل الجدل أن الديانة الإسرائيلية هي أقدم ديانة توحيدية وقد تركت ميراثاً روحانياً له مكانة سامية في عالم الأدب والدين"[(١)].

وهذا كلام مردود عليه بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [سورة آل عمران: آية رقم١٩] والإسلام هو دين الأنبياء جميعاً منذ آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ وهو ما ستبينه الباحثة في الصفحات القادمة.

ويرى بعض المستشرقين أن اليهودية قائمة على التوحيد، بل تعدى التوحيد من اليهودية إلى بعض العرب، فأزالت غشاوة الوثنية عن أعينهم، ليكون ذلك أحد مجالات تأثير اليهودية على العرب، قال المستشرق روم لاندو[(٢)]: "بالإضافة إلى العناصر الوثنية في شبه الجزيرة العربية كان لليهودية والنصرانية أثر في الحياة الفكرية قبل الإسلام. وكان تأثير اليهود الديني على العرب كبيراً، وبخاصة على أولئك الذين سقطت الغشاوة عن أعينهم فهم بعد لا ينخدعون بالوثنية المتفشّية. وإلى جانب وحدانية اليهود كان لطقوسهم أيضاً بعض التأثير على العرب"[(٣)].

بل إن "روم لاندو" وهو يتحدث عن عقيدة التوحيد، لا يستبعد أن تكون هذه العقيدة قد استوحيت من اليهودية، إذ يرى: "... وليس من ريب في أنّ قوة العقيدة القرآنية التوحيدية، كما تتمثل في سلطان هذه الفكرة الهائل على المسلم، قد ضاهت قسيمها عند اليهود. وليس يعنينا هنا

---

(١) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص٥١. مرجع سابق.

(٢) روم لاندو: نحّات وناقد فني انكليزي، زار زعماء الدين في الشرق الأدنى، وحاضر في عدد من جامعات الولايات المتحدة، أستاذ الدراسات الإسلامية وشمالي إفريقيا في المجمع الأمريكي للدراسات الآسوية في سان فرنسيسكو. من آثاره: "الله ومغامراتي"، "بحث عن الغد"، "فرنسا والعرب". ".(خليل، **قالوا عن الإسلام**، ص٨٥).

(٣) لاندو، روم: **الإسلام والعرب**، ترجمة منير البعلبكي، ط٢، ص٣٩، دار العلم للملايين_بيروت،(١٩٧٧) كانون الأول_ديسمبر.

أن نقرر هل تلقى محمد ﷺ الفكرة من طريق الوحي الإلهي أم من طريق بعض اليهود العرب"[١].

لكنّ الجدير بالإشارة له أنّ اليهودية وإن كانت في الأصل ديانة توحيدية لا يعني ذلك اعتماد الرسول الكريم عليها واقتباس الوحدانية التي دعا إليها الإسلام من تلك الديانة، وإنما يرجع اشتراك كل من اليهودية والإسلام بعقيدة التوحيد، إلى أن كليهما مستمد من الوحي وصادر عن إله ومشرع واحد هو الله، فإنّ تصديق الإسلام للرسالات السابقة بل احتواءه لها هو الذي جعل البعض يظن أنّ النبي اقتبس من تلك الرسالات، وحقيقة الأمر أنّ الدين الذي جاء به محمد ﷺ نقض الكثير من الأمور التي تقوم عليها تلك الشرائع التي ما زال يظن أصحابها أنها من أسس ديانتهم، فجاء الإسلام بتنزيل جديد متميز بشموليته وتعاليمه وصلاحيته ولكنه غير معزول عن تلك النبوات والشرائع السابقة، فجاء مهيمناً عليها مصححاً ما طرأ على أسسها من تحريف وتغيير.

إلا أنّ اليهودية لم تسلم من أيادي العبث والتحريف، ما جعلها تخرج عن مسارها الأصيل الذي نزل به الوحي زمن موسى عليه السلام، فالأصل إذا في ديانة بني إسرائيل أنها ديانة قائمة على التوحيد، وقد جاءت في زمن كان يعج بالوثنية، فهذا نبيل نيقولا وقد كان نصرانياً من قبل اعتناقه للإسلام يتحدث عن ديانة اليهودية: "لا شك أنّ الديانة الأصلية لبني إسرائيل كانت تقوم على أساس مبدأ التوحيد والكمال لله تعالى، خالق البشرية والكون، مما يميز ديانة بني إسرائيل عن بقية الأديان الوضعية في الشرق القديم، والقرآن الكريم أخبرنا أن رسالة التوحيد نزلت على سلسلة طويلة من أنبياء الله ﷻ، التي هي أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه المسلك إلى الله ﷻ، فقام هؤلاء الأنبياء جميعهم على الدعوة إلى الله"[٢]. وقد أخبرنا وبين لنا المهمة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله بقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ

(١) لاندو، الاسلام والعرب، ص٤٢. مرجع سابق.

(٢) بو خاروف، نبيل نيقولا جورج: **الإسلام لماذا هو الحق**، ط١، ج١، ص٣٩، فلسطين_بيت لحم،(٢٠١١).

عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة النحل: آية رقم٣٦]. وقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: آية رقم٢٥].

والقرآن الكريم يبين أنّ العقيدة التي دُعي لها بنو إسرائيل وأقرها رسلهم وأنبياؤهم وعملوا على ترسيخها في عقول الناس وقلوبهم إنما هي عقيدة التوحيد لا غير، وعن عقيدة بني إسرائيل الأساسية والصافية يقول تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [سورة النساء: آية رقم١٦٣].

هذا وقد سبق الحديث عن دعوات الرسل السابقين بأنّ التوحيد كان محورها الأساسي، فما من نبي إلا كانت دعوته تقوم على توحيد الله ومحاربة الإشراك به.

بل إنّ هناك نصوصاً من العهد القديم تتحدث عن التوحيد، وعلى ما يبدو أنها من بقايا الوحي الذي لم يطرأ عليه تحريف، ومن آثار أنبياء بني إسرائيل التي جاءت موافقة للقرآن الكريم، ومن هذه النصوص: "ثمّ تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهةٌ أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ"[(١)].

"اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا ربٌ واحدٌ. فتحبُّ الربّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوّتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك"[(٢)].

"انظروا الآن. أنا أنا هو وليس إلهٌ معي"[(٣)].

"اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته. أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر[(٤)].

---

(١) الكتاب المقدس، **سفر الخروج**: ٢٠/١_٥.
(٢) الكتاب المقدس، **سفر التثنية**: ٦/٤_٦.
(٣) **سفر التثنية**: ٣٢/٣٩.
(٤) **سفر اشعيا**: ٤٨/١٢.

فهذه النصوص تدل على وحدانية الله تعالى التي دعت إليها أنبياء بني إسرائيل، وما تبقى من الوحي الذي جاءوا به وهو ما يوافق الوحدانية التي جاء بها القرآن مذكراً لهم بها.

والخلاصة في هذه النصوص؛ أنّ الوحدانية هي أساس عقيدة بني إسرائيل، وهي الصورة الأصلية للتوحيد الذي جاء به أنبياء بني إسرائيل، رافضين كل ما يناقضها من وثنية وشـرك، وأما تلك النصوص التي تعارض الوحدانية إنما هي من جراء العبث والتحريف اللذين كان لهما حضور في كتب تلك الشرائع المتقدمة على شريعة الإسلام.

المطلب الثاني: دعوة بني إسرائيل للتوحيد وتنقية عقيدتهم من الوثنية

تتابع الرسل المرسلون إلى بني إسرائيل الداعون إلى عبادة الله الواحد الأحد، محذرين من اتخاذ شركاء لله فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام – وهو من تدعي اليهودية نسبها إليه– يواجه قومـه ويستنكر عليهم اتخاذهم شركاء مع الله يقـول تعـالى:﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة الأنعام" ٧٩–٨٦].

فإبراهيم ﷺ كان حنيفاً أي موحداً ولم يكن وثنياً مشركاً، وانتقلت عقيدة التوحيد من إبراهيم ﷺ إلى ذريته، وهكذا تتابع الأمر من جيل إلى جيل[١].

فأنبياء بني إسرائيل كانوا امتداداً لمن سبقهم من الأنبياء، فقد كانت الوحدانية أصل دعوتهم وهذا

ما تظهره الوصية التى أوصى بها كل من إبراهيم ويعقوب ذريتهما: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم١٣٢].

ومرة أخرى يعيد يعقوب ﷺ الوصية لبنيه ويأخذ العهد منهم: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٣٣].

وفي تفسير هذه الآية الكريمة: "خلاصة هذه الوصية عقيدة الوحدانية في العبادة وإسلام القلب لله تعالى والإخلاص له. وتكرار لفظ (الإسلام) في هذه الآيات يراد به تقرير حقيقة الدين. ذلك أنّ العرب كانت تدعي أنّ لها ديناً خاصاً بها وأنّه الحق، وإن اختلفت فيه القبائل والشعوب، ومنهم من كان ينتمي إلى إبراهيم، وكذلك اليهود والنصارى كل يدعي ديناً خاصاً به وأنه الحق، فبينت هذه الآيات أنّ هذه الدعاوي من التعصب للتقاليد وأنّ دين الله تعالى واحد في حقيقته، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى والخضوع والإذعان لهداية الأنبياء، وبهذا كان يوصي أولئك النبيون أبناءهم وأممهم"[٢].

فما كانت الإجابة من الذرية للآباء إلا تقرير الوحدانية والالتزام بها: ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٣٣].

---

(١) بوسه، هيربرت: **أسس الحوار في القرآن الكريم دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية**، ترجمة أحمد محمود هويدي، ط١، ص٩١_٩٢، مراجعة عمر صابر عبد الجليل، تصدير محمد خليفة حسن،(٢٠٠٥). بتصرف.

(٢) رضا، محمد رشيد (١٨٦٥م_١٩٣٥م): **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، ط٢، ج١ص٣٨٦، خرّج آياته وأحاديثه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان،(٢٠٠٥م_١٤٢٦هـ).

وتفسير هذه الآية: "... عرفوا الإله بالإضافة إلى آبائهم لأنهم هم الذين انفردوا بعبادة رب العالمين خالق السماوات والأرض وحده، ودعوا الأمم إلى ذلك في وقت فشت فيه عبادة آلهة كثيرين من الكواكب والأصنام والحيوانات وغيرها،...﴿ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾أي نعبده حال كونه إلهاً واحداً، أو نخص بالعبادة إلهاً واحداً لا نشرك معه أحداً بدعاء، ولا توجه في قضاء حاجة ولا غير ذلك من العبادات

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ أي والحال أننا نحن منقادون مذعنون مستسلمون له وحده دون غيره"(١).

فكل نبي أرسله الله لبني إسرائيل أقرّ هذه العقيدة ودعا إليها، بل إنّ تتابع الأنبياء على بني إسرائيل إنما كان من أجل تقويم الاعوجاج وتصحيح الانحراف الذي كان يصيب عقيدتهم بين حين وآخر، فهذا يوسف عليه السلام يباشر دعوته إلى توحيد الله وهو في سجن مصر إذ يقول تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة يوسف: ٣٧-٤٠].

فيوسف عليه السلام إنما كان على عقيدة التوحيد التي هي عقيدة آبائه، ولهذه العقيدة كان يدعو من سجن معه(٢).

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، ج١ص٣٨٥_٣٨٦. مرجع سابق.

(٢) بوسه، **أسس الحوار في القرآن الكريم**، ص٩٢. بتصرف. مرجع سابق.

وموسى عليه السلام يلتزم نهج الدعوة ولا ينحرف بها عن مسارها ويقرر ما أتى به الأنبياء من قبل: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [سورة طه: آية رقم٩٨].

فالتوحيد بلغ ذروته في بني إسرائيل على يد الأنبياء والرسل: "توجد داخل اليهودية، من حيث هي تركيب جيولوجي تراكمي، طبقة توحيدية تدور حول الإيمان بالإله الواحد الذي لا جسد له ولا شبيه، الذي لا تدركه الأبصار، وتعتمد عليه المخلوقات كافة ولا يعتمد هو على أيٍّ منها إذ هو يتجاوزها جميعاً ويسمو عليها. وكل مظاهر الطبيعة والتاريخ ليست إلا تعبيراً عن قدرته، فهو روح الكون غير المنظورة، السارية فيه، والتي تمد الكون بالحياة؛ وتسمو عليه وتلازمه في آن واحد. وقد وصل التوحيد في اليهودية إلى ذروته على يد بعض الأنبياء الذين خلّصوا التصور اليهودي للإله من الشوائب الوثنية الحلولية التي علقت به،...وقد استمر التيار التوحيدي في مختلف فترات تاريخ اليهودية"(١).

هذه إذن هي دعوة أنبياء بني إسرائيل، وهذه العقيدة التي اجتمعت دعوة الأنبياء حولها، إنها الوحدانية الخالصة التي جهد الأنبياء والرسل بتخليصها مما علق بها من شوائب، لكنّ بني إسرائيل، كما هو معروف عنهم في مراحل حياتهم بكثرة الانحراف عن جادة التوحيد، قد نكثوا بوصية الآباء والأجداد وتنكروا للعهد الذي قطعوه على أنفسهم بعبادة الواحد الأحد، فتعددت معبوداتهم. وكثيرا ما كانوا يتقلبون بين التوحيد والوثنية، فما إن تستقيم حياتهم على التوحيد إلا يطرأ عليها انحراف يردها إلى الوثنية من جديد، ويقودها للإشراك بالله واتخاذ معبودات أخرى من دونه، وهذا ما أشار إليه أحمد سوسة: "أما اليهود فلم يبقوا على حالتهم الفطرية بل قد تفسخ جوهر ديانتهم وسلكوا سبل الضلال، فتغيرت طباعهم على مر الزمن وعلى الأخص بعد أن صاروا يسكنون المدن حتى رجعوا إلى الوثنية في فترات عديدة، فظهر الأنبياء الكثيرون من بينهم لإرشادهم إلى السبيل السوي وكان آخر من ظهر من الأنبياء المسيح عليه السلام (وهو المسيح الذي يصفه لنا القرآن الكريم لا مسيح الأناجيل)، فأوحى إليه أمر إرجاع اليهود إلى الدين المستقيم والمذهب القويم فإذا برسالته قد أخذت شكلاً آخر وتطورت إلى دين جديد عرف بعده بالدين المسيحي. وفي الحق أنّ المسيح عليه السلام لم يخطر بخلده إنشاء دين جديد وأنّ الدين المسيحي

---

(١) المسيري، عبد الوهاب محمد: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد**، ط١، مج ٥ص٦٥، دار الشروق،(١٩٩٩).

الأصلي لم يتغيّر شيئاً مما هو مدوّن في مصحف اليهود المقدس، بل بالعكس إنّه جاء مؤيداً له وداعياً إلى إتباعه محذراً من عرج عنه واتخذ مسلكاً منافياً له"(١).

فهذه رحمة الله تشملهم مرة أخرى فيرسل لهم نبيٌّ آخر يقودهم للتوحيد ويخلصهم من الشرك والوثنية، إنّه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فقد جاء مؤكداً على دعوة من سبقه من الأنبياء مقرراً للوحدانية منقياً لها من الشوائب التي علقت بها. وهو ما سيتم الحديث عنه في المبحث التالي.

المطلب الثالث: التوحيد في المسيحية

تخبط بنو إسرائيل كثيراً في حياتهم وقد تبين في المبحث السابق أنّ بني إسرائيل ما إن ساروا في طريق الصواب برهة من الزمن، حتى نراهم سرعان ما يعودون للانحراف من جديد عن شريعة الأنبياء الذين جاءوهم، وما كثرة الأنبياء في بني إسرائيل إلا رمزاً للتخبط والانحراف الذي عاشه القوم، فكان من جملة الأنبياء الذي أرسلهم الله لهم موسى عليه السلام، فقد جاءهم هذا النبي الكريم وأخرجهم من ذل العبودية، وصحح خطاهم على طريق التوحيد، وإذا بهم مرة أخرى والنبي بين ظهرانيهم يتركوا عبادة الواحد الأحد، ليتوجهوا بعبادتهم للعجل تقليداً لأقوام الوثنية وعبّاد تعدد الآلهة، وهكذا تسير مراحل حياتهم والأنبياء نبيا إثر نبي يحملون لواء التوحيد ويأخذون على عاتقهم إخراج القوم من الظلمات إلى النور ومن عبادة غير الله لعبادة الله، فجاءت نبوة عيسى عليه السلام لتوافق شريعة موسى عليه السلام فيكمل مهمته في تصحيح عقيدة القوم وسوقهم لجادة التوحيد نابذاً ما استحدثوه وابتدعوه في شرعهم.

ونصوص العهد الجديد من الكتاب المقدس تدل دلالة لا لبس فيها على أنّ عيسى عليه السلام إنما بعث لبني إسرائيل؛ ليهديه إلى الشريعة الصحيحة وهي الشريعة التي جاءهم بها نبي الله موسى عليه السلام، ومن هذه النصوص: "هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"(٢).

وقصة المرأة الكنعانية تؤكد ذلك: "ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن

---

(١) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص٥٢. مرجع سابق.

(٢) الكتاب المقدس: **إنجيل متى**، ١٠/٥_٦.

داود. ابنتي مجنونة جدّاً. فلم يجبها بكلمة. فتقدّم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب وقال: لم أُرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"(١).

وهناك نصوص تبين وتؤكد أنّ دعوته عليه السلام مكملة لشريعة موسى عليه السلام وليست ناقضة لها، ولا تحمل في تعاليمها ديانة جديدة: "لا تظنُّوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصّغرى وعلّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات"(٢).

وهذه الأناجيل تذكر قصة الأبرص، ووصية عيسى عليه السلام له: "...وللوقت طهر برصه. فقال له يسوع: انظر أن لا تقول لأحد. بل اذهب أرِ نفسك للكاهن وقَدّم القُربان الذي أمر به موسى شهادةً لهم"(٣).

وها هو عيسى عليه السلام يخاطب الناس وتلاميذه: "حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنّهم يقولون ولا يفعلون"(٤).

والفريسيون والكتبة كانوا على شريعة موسى، فهذا أمر مباشر منه عليه السلام لأتباعه بالتزام هذه الشريعة والعمل بها، وعدم الانحراف عنها.

وفي هذه النصوص السابقة ما يدل على أنّ عيسى عليه السلام ما جاء لينقض شريعة موسى عليه السلام وإنما جاء متمماً لها ليس إلا، وهذه النصوص توافق ما جاء في القرآن الكريم الذي يبين أن دعوة عيسى عليه السلام ونبوته إنما كانت في بني إسرائيل، ومصدقة لما جاء به موسى عليه السلام إذ يقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ

(١) **إنجيل متى**، ١٥/٢١_٢٤.
(٢) **إنجيل متى**، ٥/١٧_١٩.
(٣) **إنجيل متى**، ٨/٣_٤. **إنجيل مرقس**، ١/٤٠_٤٤. **إنجيل لوقا**، ٥/ ١٢_١٤.
(٤) **إنجيل متى**، ٢٣/١_٣.

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة المائدة: ٤٦-٤٧].

وحول دلالة وتفسير هذه الآية الكريمة: "أي وبعثنا عيسى بن مريم بعد أولئك النبيين الذين كانوا يحكمون بالتوراة متبعاً أثرهم جارياً على سننهم، مصدقاً للتوراة التي تقدمته بقوله وعمله أو بحاله. ولفظ قفّى مأخوذ من القفا وهو مؤخر العنق. يقال: قفاه وقفا إثره يقفوه واقتفاه، إذا تبعه وسار وراءه حساً أو معنى... وعيسى عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل وشريعته هي التوراة"[1].

فعيسى عليه السلام في القرآن الكريم هو نبي من أنبياء بني إسرائيل جاء مصدقاً للتوراة، لقوله تعالى:

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٩-٥٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الصف: آية رقم ٦].

ووجود تلك النصوص في الأناجيل التي توافق ما جاء به القرآن الكريم إنما هو دلالة على أنّ أساس دعوة كل من موسى وعيسى -عليهما السلام- إنما هو واحد، والآيات القرآنية الكريمة تؤكد قيام دعوة عيسى عليه السلام وتبين أنها جاءت تصديقاً للتوراة المتقدمة عليها ومبشرة برسالة جديدة نبيها محمد ﷺ.

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، ج٦ص٣٣٢. مرجع سابق.

المطلب الرابع: دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد

وبما أنّ نبوة عيسى عليه السلام جاءت متممة ومكملة لنبوة موسى عليه السلام فمن البدهي أن تكون دعوة قائمة على التوحيد، فالنصرانية لا تقول بوجود إله آخر غير الواحد الأحد، وما يناقض ذلك إنما هو حدث طارئ عليها لا دعوة أصيلة فيها، وهو ما يبينه أحمد سوسة: "ومن أُتيح له الإلمام بتاريخ النصرانية لا يخفى عليه أنّ هذه الديانة كانت قد اقتصرت في بدء نشأتها على الدعوة إلى الإله الواحد وكان التنزيه والتوحيد قوامها ولم تظهر آثار التشبيه والتجسد إلا بعد زمن طويل من نشأتها"(١).فها هو الكاثوليكي سابقاً نبيل نيقولا يرى أن المسيحية هي امتداد طبيعي للتوحيد: "إنّ رسالة المسيح عليه السلام هي امتداد طبيعي لرسالة إبراهيم وموسى وسائر الأنبياء–عليهم السلام– القائمة على التوحيد والتنزيه أولاً ومنذ الأزل، وأنّ التجسد والتعدد هما من عقائد الوثنية التي لا صلة لهم بها"(٢).

ويستنكر نبيل نيقولا وجود ثلاثة أقانيم إذ لو كان هناك حقاً أقانيم ثلاثة لذكرها المسيح عليه السلام بنفسه، لكنّ النصوص تدل على وجود إله واحد في صريح العبارة إذ لم يذكر على لسان المسيح عليه السلام أي وجود لتلك الأقانيم(٣) (٤). واستشهد على قوله بالنصوص الآتية التي تدل على الوحدانية وتنبذ الأقانيم وترفضها:

---

(١) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص٥٢.

(٢) بو خاروف، نبيل نيقولا جورج: **المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح ام هي ديانة بولس؟**، ط٢، ص١٠٦،(٢٠٠٧).

(٣) بو خاروف، **المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح ام هي ديانة بولس؟**، ص١٠٦. بتصرف. مرجع سابق.

(٤) الأقنوم: مفرد (أقانيم): وهو ما يعبر عن ثلاث شخصيات للإله كما في عقائد العديد من الأديان القديمة في اليونان والهند والصين ومصر القديمة وعند مشركي العرب قبل الإسلام، كما يشير إليه قوله تعالى: [ومناة الثالثة الأخرى]. وأما بحسب رأي النصارى فإن طبيعة الإله الواحد عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر، وهي شخصيات ثلاث كل منها يظهر خاصية من خواص الإله الواحد. وهي الله الآب والله والابن والله الروح القدس. فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن. وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس تطهير القلب والحياة، – وإلى الابن تشير عبارة: "الحكمة الإلهية" ويدعى أيضاً: "الكلمة"–. غير أن الأقانيم الثلاثة تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء. وتطلق الصفات الإلهية على كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة على حدته. لكن مسألة التثليث غير واضحة في العهد القديم كما في العهد الجديد. (انظر: بوست، جورج: **قاموس الكتاب المقدس**، ج١ص١٣٤، المطبعة= =الأمريكانية،(١٨٩٤). الكلام، يوسف: **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس**(دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي)، ص٢٨٨، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق– سورية،(٢٠٠٩م)).

قول المسيح عليه السلام لإبليس: "لأنه مكتوبٌ للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"[(١)].

"فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أيّة وصيّة هي أول الكل. فأجابه يسوع أنّ أوّل كلّ الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الربّ إلهنا ربٌ واحدٌ. وتحب الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك"[(٢)].

"وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"[(٣)].

فهذه النصوص ذكرت الإله الواحد ولم تذكر أياً من تلك الأقانيم المزعومة، بل وعلى لسان المسيح عليه السلام يبين إنما هو نبي مرسل فحسب، ولو كانت حقيقته غير ذلك لكان جدير به أن يبيّنها لا أن يكتمها.

وتتابع النصوص الدالة على وحدانية الله تعالى: "من يقدر أن يغفر خطايا إلاّ الله وحده"[(٤)].

"بالحق قلت لأنه الله واحدٌ وليس آخر سواه"[(٥)].

"كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض. والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه"[(٦)].

"لأنّ الله واحد"[(٧)]. "لأنّ رباً واحداً للجميع"[(٨)].

فهذه النصوص وعلى لسان المسيح عليه السلام تشير إلى وحدانية الله تعالى، فإذا كان هناك أقانيم ثلاثة أما كان من الجدير أن يشار إليها، أو أن تذكر من قبيل الذكر.

---

(١) **إنجيل متى:** ٤/١٠.
(٢) **إنجيل مرقس:** ١٢/٢٨_٣٠.
(٣) **إنجيل يوحنّا:** ١٧/٣.
(٤) **إنجيل مرقس:** ٢/٧.
(٥) **إنجيل مرقس:** ١٢/٣٢.
(٦) **إنجيل يوحنا:** ٥/٤٤.
(٧) **رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية:** ٣/٣٠.
(٨) **رومية:** ١٠/١٢.

والمسيح عيسى عليه السلام يعترف ببشريته وعجزه ويقر بحاجته لربه، فهو نبي كغيره من الأنبياء السابقين، يدعو إلى توحيد الله ويفرده بالعبودية، ولا يشرك مع الله أحداً[١]. وقد جاء هذا صريح في بعض المواضع من الأناجيل:

"في ذلك الوقت أجاب يسوع وقال أحمدك أيها الآب ربّ السماء والأرض"[٢].

وفي هذا دلالة على أنّ المسيح عليه السلام يتوجه بالحمد لرب السماء والأرض، إذ لو كان إلهاً لحمد نفسه وهذا ما لا يقبله عقل.

وقصة الأعمى دلالة واضحة على بشريته: "ولما اقترب من أريحا كان أعمى جالساً على الطريق يستعطي. فلمّا سمع الجمع مجتازاً سأل ما عسى أن يكون هذا. فأخبروه أنّ يسوع الناصري مجتاز. فصرخ قائلاً يا يسوع ابن داود ارحمني. فانتهره المتقدّمون ليسكت. أمّا هو فصرخ أكثر كثيراً يا ابن داود ارحمني. فوقف يسوع وأمر أن يُقدّم إليه. ولمّا اقترب سأله قائلاً ماذا تريد أن أفعل بك. فقال يا سيد أن أبصر. فقال له يسوع أبصِر. إيمانك قد شفاك. وفي الحال أبصر وتبعه وهو يمجّد الله. وجميع الشعب إذ رأوا سبّحوا الله"[٣].

أو ليست هذه القصة التي ينادي بها الأعمى المسيح عليه السلام يا ابن داود دلالة واضحة على بشريته، إذ لو كان إلهاً أو ابن إله لكن الأجدر والأنسب أن يناديه بهذا النسب تعظيماً ورفعاً لقدره، وعندما شفي من مرضه توجه بالشكر والتمجيد هو والجمع الذين حضروا لله عز وجل، فلو أنّ المسيح عليه السلام الذي أبرأه من مرضه إله أليس الجدير أن يتوجه الجمع بتمجيده وتسبيحه، لكنهم كانوا على يقين بأنّ الذي منح المسيح هذه الخاصية وهي الإبراء من المرض إنما هو الإله المستحق للعبادة والشكر والتمجيد، كما أنّ هناك نصوصاً تصرح بأنه إنسان ابن إنسان إذ لو كان إلهاً لماذا يزيل عن نفسه هذه الخاصية ويقول بأنه إنسان؟ ومن هذه النصوص:

"جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب"[٤].

"كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم...وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع. ابن الإنسان سوف يُسلّم إلى أيدي الناس"[٥].

---

(١) الشنطي، عماد الدين عبد الله: **اليهودية والمسيحية في الميزان**، ط١، ص١٤٤،(١٤٢٥_٢٠٠٤). بتصرف
(٢) **إنجيل متى:** ٢٥/١١. **إنجيل لوقا:** ٢١/١٠.
(٣) **إنجيل لوقا:** ٣٥/١٨_٤٣.
(٤) **إنجيل متى:** ١٩/١١.
(٥) **إنجيل متى:** ٢٢،١٢/١٧.

والقرآن الكريم يحسم الخلاف والجدل الذي حار به النصارى قديما وحديثاً حول طبيعة عيسى عليه السلام إن كان إلهاً أو ابن إله، فتأتي آياته الكريمة لتؤكد على بشرية ونبوة عيسى عليه السلام إذ يقول تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم: آية٣٠]، كما وينفي القرآن الكريم أن يكون عيسى عليه السلام قد جعل من نفسه وأمه الصديقة إلهين، فما بلغ قومه إلا ما أمره الله به إذ يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة المائدة: ١١٦– ١١٧].

بل إنّ هناك من النصارى من ينكر أي دعوة تنادي بغير التوحيد، والمذاهب التوحيدية في النصارى يذكرها التاريخ ويذكر ما لاقوه من تعذيب وتشريد، بل هناك من ذهب إلى أنّ التوحيد في النصرانية إنما هو مقدمة للإسلام ولرسوله: "أنكر (آريوس[١]) إلوهية عيسى فكان بذلك طليعة لنبي المسلمين إذ فتح الطريق إلى الإسلام، لأنّ الإسلام ما كان يقول عن المسيح إلا أنه آخر الرسل قبل محمدﷺ وبعد أن ظهر لم يقم أحد بطعن يذكر ضد مذهب التثليث بل جرى الناس عليه بالإجماع اثني عشر قرناً متتالية حتى صار عاماً ولم يعد الباحثون غير المتدينين يجرؤون على نبذه من بين الديانات القائلة بالتوحيد لما يلزمه من تعدد ذات الآلهة ولذلك كان من

---

(١) آريوس: (مات: ٣٣٦م) ولد في منطقة بطولوميوس التي كانت ميناء لمدينة قورينا في الجبل الأخضر في ليبيا، وتوفي في القسطنطينية. إليه ينسب مذهب الآريوسية في الديانة المسيحية، المشار إليه بكلمة: (الأريسيين) في كتاب النبي ﷺ إلى عظيم الروم. وقد عاش وتربى في الإسكندرية، وتعلم في مدرستها المعروفة، وتتلمذ على يد لوقيانوس زعيم المدرسة الأنطاكية الذي اتهم بالهرطقة وانتصر له تلامذته ومن بينهم آريوس، ولذلك يعد لوقيانوس الأب الروحي للآريوسيين، مع أن تسمية المذهب بالآريوسية نسبة إلى آريوس. وكان آريوس يقول: إنّ الكلمة ليس إلهاً، بل بما أنه مولود من الله الآب فهو لا يشاركه في طبيعته الإلهية، وإن بنوته عبارة عن الاصطفاء له من قبل الآب. ولا شك في أن آريوس لم يكن وحده القائل بإنكار ألوهية المسيح في القرون الأولى، بل كان ذلك هو الشائع حينها، ولكن الرجل كان له حماس قوي في الدفاع عن هذا المبدأ، وقد حكم عليه بالهرطقة بسببه. (انظر: سالمة، عبد الجبار: **الدين والسياسة**، ص٣١، منشورات المؤسسة العربية للنشر والإبداع – الدار البيضاء. خياطة، نهاد: **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**، ط١، ص٨١_٨٦، دار الأوائل – دمشق،(٢٠٠٢م). الكلام: **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس**، ص٢٩٤_٣٠٠).

خوارق العادات قيام أسقف الإسكندرية آريوس في وجه الدين المسيحي... وظهر الإسلام يخطو خطاه الواسعة فلم ير فيه أولئك المتنافسون ديناً جديداً بل قبلوه مذهباً مسيحياً"[(١)].

لا عجب أن ينكر (آريوس) وغيره ممن لم ينحرف عن المسيحية الصحيحة إلوهية المسيح، ولا عجب أن يرى الإسلام المسيح نبياً كباقي الأنبياء؛ لأنّ المسيحية والإسلام منبعهما واحد والمشرع فيهما واحد، ألا وهو الله لا شريك له، فمن البدهي أن يرى أولئك الذين ما تلوثت فطرتهم أو انحرفت عقائدهم ذاك التوافق بين الإسلام وسائر الشرائع السابقة، بل إنّ الكاتب يلمح إلا أنّ المضي قدما في مذهب التثليث وعدم نبذه قروناً متتالية إنما هو من باب الخشية، وهذا يظهر في عبارته: (ولم يعد الباحثون غير المتدينين يجرأون على نبذه من بين الديانات القائلة بالتوحيد)، فلا عجب بعد ذلك أن نجده يرى أنّ ما قام به آريوس ووقوفه في وجه الدين المسيحي من باب خرق العادات.

ويتحدث المستشرق إميل درمنغم عن توافق دعوة الإسلام مع النصرانية: "...ومما لا مراء فيه أنّ محمداً دعا قومه إلى التوحيد وجاءهم بكتاب عربي ملائم لما في التوراة والإنجيل مستشهداً في الغالب بما في هذه الكتب المنزّلة، كما لو كان نصرانياً، ذاكراً أنه واحد من الأنبياء"[(٢)].

وتوافق التوراة والإنجيل مع ما جاء به نبي الإسلام بمعجزته الخالدة القرآن الكريم إنما يرجع إلى كون هذه الرسالات أصلها واحد، واستشهاد النبي ﷺ ببعض ما أنزل بهذه الكتب كان من باب إلزام القوم وإقامة الحجة عليهم.

وعلى هذا فإنّ الدعوة إلى التوحيد هي أساس رسالة المسيح عليه السلام وما طرأ عليها من تحريف، وما أدخل عليها من مفاهيم وعقائد كالأقانيم الثلاث إنما فرض عليها ذلك في ظل الجبروت والإكراه، فقد أقر المجمع المسكوني الذي عقد في نيقيه[(٣)] بتعدد الآلهة على الرغم من أنّ الغالبية من النصارى وقتها كانت تعارض ذلك وتقول بالتوحيد، إلا أنّ رأي الأقلية هو الذي فرض في ظل السيف والسلطان المتمثلين برئاسة الإمبراطور قسطنطين.

---

(١) كاستري، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص٣٧_٣٨. مرجع سابق.

(٢) درمنغم، **حياة محمد**، ص١٠٠. مرجع سابق.

(٣) مجمع نيقية عقد سنة ٣٢٥، وكان سبب انعقاده الاختلاف بين الطوائف المسيحية حول طبيعة المسيح، وكان السبب الرئيس في عقد المجمع ما هو معروف في تاريخهم ببدعة أريوس الذي كان يقر بوحدانية المعبود ويقاوم كنيسة الإسكندرية فيما تبثه حول ألوهية المسيح، وقد تم في هذا المجمع تقرير عقيدة ألوهية المسيح وأنه من جوهر الله وقديم بقدمه، ولا يعتريه تغيير.(أبو زهرة، محمد: **محاضرات في النصرانية**، ص١١٤،١١٨، دار الفكر العربي_القاهرة،(١٤٢٧ه_٢٠٠٦م).

بل إنّ الموحدين من النصارى بعدما اضطهدوا في ظل المسيحية المعتقدة بالتثليث، قد وجدوا حريتهم في ظل المسلمين، ووجدوا في الدين الجديد القائم على التوحيد حريتهم ومتنفسهم، ويتحدث عن ذلك جارودي[(١)]: "في كل حالة وبعد هزيمة الطبقة المسيطرة والمكروهة لدى الشعب، كانت الشعوب تستقبل العرب والمسلمين كمحررين لهم من نير الظلم الاجتماعي أو السياسي أو الاضطهاد الديني. بالنسبة للمسيحيين الموحدين المضطهدين على أنهم ملحدون من قبل إمبراطورية الشرق، ومثل مسيحيّي بلاد فارس النسطوريين،...كان انتصار العرب على أسياد هؤلاء ومضطهديهم هو إنقاذاً وخلاصاً لهم. خصوصاً أنّ هرطقتهم التي تولدت في غالبيتها من تفسيراتها الهلنستية[(٢)] للثالوث، مما جعلهم يقتنعون بالمفهوم الإسلامي لله، ولتوحيده بسرعة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [سورة الإخلاص: ١-٤]"[(٣)].

فعقيدة التثليث إنما هي مستحدثة وطارئة وقد فرضت على النصارى قسراً وجبراً، ومن يخالف هذه العقيدة لقي ألواناً شتى من العذاب والهوان، وكل من كان يعمل على تخليص النصرانية من هذه الوثنية، ويحاول إعادة الناس للتوحيد الذي كان أساس الشريعة، تصدت له الكنيسة مدعومة بالسلطة الحاكمة، وبناء على ذلك أصبح الموحدون قلة تتوارى عن الأعين تجنباً لبطش الكنيسة ومطاردة الحكومة.

---

(١) هو رجاء جارودي عالم فرنسي مسلم تخصص في بحوث الحضارة والتاريخ والأدب وعلوم الإنسان. ولد بمدينة مرسيليا بفرنسا. حظي بالدراسة على نفقة الدولة لتفوقه في جميع مراحل التعليم حتى أتم الدراسة الجامعية، حصل على مرتبة أستاذ شرف بالفلسفة عام١٩٣٦، وحصل على درجة الدكتوراه في الأدب من جامعة السوربون بباريس. فاز بميدالية شرف لمقاومته الفاشية الهتلرية بين عامي ١٩٤١و١٩٤٤، كما كان عضواً في مجلس الشيوخ الفرنسي في الفترة من عام١٩٤٦حتى عام١٩٦٠، ورئيساً للجنة الثقافية الوطنية، أسس المعهد الدولي للحوار بين الحضارات في باريس، وهو عضو في أكاديمية المملكة المغربية، وفي المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن، اعتنق الإسلام في شهر رمضان عام ١٤٠٢ه، وأعلن ذلك بنفسه في المؤسسة الثقافية بجنيف، من مؤلفاته: وعود الإسلام، حوار بين الحضارات، الإسلام يسكن مستقبلنا، حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام(١٤٠٦ه، ١٩٨٦م).(**الموسوعة العربية العالمية**، ص١١١، مؤسسة أعمال الموسوعة_الرياض)

(٢) فترة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تزخر بالكثير من مظاهر الحضارة في ذلك الحين. وقد بدأت بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ق.م، واستمرت حوالي ٢٠٠سنة في اليونان وحوالي ٣٠٠سنة في الشرق الأوسط. ويستخدم اصطلاح هيلينستية لتمييز هذه الفترة عن الفترة الهلينية وهي فترة الإغريقيين القدماء التي اعتبرت أوج عبقرية وعظمة الفكر والعلوم والفلسفة الإغريقية في ظل الإمبراطورية الأثينية.http://ar.wikipedia.org

(٣) جارودي، روجيه: **الإسلام دين المستقبل**، ترجمة عبد المجيد بارودي، ص٤٢، دار الإيمان، بيروت_دمشق.

المبحث الثاني: التوحيد في الإسلام

لقد كان محمد ﷺ آخر الأنبياء لقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]، وقوله ﷺ: "وأنا خاتم النبيين"[(١)]، وقد جاء الإسلام الذي ارتضاه الله للعالمين آخر الرسالات السماوية، فكانت دعوته ﷺ متممة لدعوة الأنبياء من قبله، ومصححةً لمفاهيم وعقائد ما زادها طول الزمن إلا تحريفاً وتشويهاً، فجاءت رسالة الإسلام الحنيف لتبتدئ بما انتهت به دعوة الرسل السابقين؛ بأنّه لا إله إلا الله، والتي لقي الأنبياء في سبيل ترسيخ هذه العقيدة وحمل الناس عليها ما لاقوه من مشاق وصعاب، كما حرص الإسلام على تنقية مفهوم الإله مما علق به من شوائب ألصقت به نتيجة الانحراف الذي أصاب الشرائع السابقة، فكان لا بد بداية من توضيح لمفهوم الإله في الإسلام في مستهل هذا المبحث.

المطلب الأول: دعوة الإسلام إلى التوحيد

الأصل الذي قامت عليه دعوة الإسلام الحنيف إنما هو كلمة التوحيد؛ إذ هي الركن الأول من أركان الإسلام لقوله ﷺ: "بني الإسلام على خمس شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحجّ وصوم رمضان"[(٢)].

والتوحيد – كما ذكرنا– هو ما دعت إليه الأنبياء من قبل، بل لقد وجد في قريش من يدين بدين إبراهيم عليه السلام وهم الحنفاء، لكنّ الإسلام جاء بدين يشمل وينسخ ما سبقه من الشرائع، ويتممها ويكملها، ويقوم الانحراف الذي طرأ عليها وهو نفس الانحراف الذي أصاب الأقوام السابقة فبعث الله الأنبياء مصححين ومقومين، ليعيدوهم إلى الطريق القويم، فالرسول ﷺ لم يكن بدعوته مبتدعاً، إذ يقول تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ:﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [سورة الأحقاف:٩]، ولم يأت بدين تستغربه النفوس والعقول، وعن مضمون دعوة النبي_ﷺ_ يتحدث جارودي فيقول: "لم يدّع محمد أنّه أنشأ ديناً جديداً، لكنه قاد الناس حسب تعاليم الله إلى أن يتذكروا من جديد الإيمان الأولي، إيمان إبراهيم. لقد شذّب النبي في بادئ الأمر كل الخرافات

---

(١) سبق تخريجه، ص ٢٢.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب قول النبيﷺ: "بني الإسلام على خمس"، حديث رقم٨، ص١٢. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، حديث رقم٢١، ص١٨. واللفظ للبخاري.

الدخيلة والطقوس الفارغة من أية حياة. لا إله إلا الله، هذا هو الجزء الأول من الشهادة. فلم يكن هذا الإيمان قائماً فقط على نبذ كل أشكال الشرك وعبادة الأصنام وإنما جعل كل سلطة وكل ملكية وكل معرفة شيئاً نسبياً لتأكيده على هذا التسامي"(١). وكلام جارودي يؤكد معناه أرفنج(٢) إذ يرى في دعوة النبي محمد ﷺ نفس ما حملته دعوة الأنبياء السابقين إذ يقول: "يجب ألا يغيب عن الذهن أنّ محمداً لم يدّع أنه أتى بعقيدة جديدة. بل هو يردد ما أمر الله به منذ العصور الأولى"(٣).

هنا أقول: نعم إنّ رسالة الإسلام أكملت بناء الرسالات قبلها منذ آدم أبي البشر إلى رسولنا محمد ﷺ، وقد أيده الله سبحانه وتعالى بمعجزة خالدة وشريعة اكتملت، وإن كان الأصل الذي تقوم عليه الرسالات واحد، فقد جاء النبي ﷺ ليرد الناس إلى ذلك الأصل الذي ضلوا طريقه وانحرفوا عن مساره إلا أنّ ذلك لا يتنافى مع إتيانه برسالة تشتمل على تعاليم وشريعة جديدة تتناسب مع خلودها واستمراريتها، فبعد بعثة عيسى عليه السلام ودعوته لقومه التي سبق بيانها في المبحث السابق – كانت مشيئة الله تعالى ببعثة المصطفى محمد ﷺ التي كان فحواها حمل الناس على لا إله إلا الله لقوله ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إلا الله. فَمَنْ قال: لَا إِلَهَ إلا الله فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إلا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ على اللَّهِ؟"(٤).

---

(١) جارودي، **الإسلام دين المستقبل**، ص٣٠. مرجع سابق.

(٢) واشنجتون أرفنج (١٧٨٣_١٨٥٩) مؤلف وكاتب مقالات وسير ومؤرخ ودبلوماسي أمريكي برز في النصف الأول من القرن التاسع عشر. عمل سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية في إسبانيا بين عامين ١٨٤٢ و١٨٤٦، كان أول ظهور أدبي له في عام١٨٠٢ حيث كتب رسائل ملاحظة تحت اسم مستعار جونثان أولدستايل وعند انتقاله لإنجلترا في عام ١٨١٥ نال شهرة واسعة بعد اصداره دفاتر جيفري كرايون. من آثاره: من أشهر قصصه القصيرة "أسطورة الوادي الناعس" و"ريب فان وينكل" وقد نشرتا في كتابه " دفاتر جيفري كرايون"ومن مؤلفاته التاريخية "النبي محمد".http://ar.wikipedia.org

(٣) أرفنج، واشنجتون: **حياة محمد**، ط٢، ص٧١، ترجمة وتعليق علي حسني الخربوطلي، دار المعارف_مصر.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم١٣٩٩، ص١٦٠. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم٢٠،٢١، ص٢٠. واللفظ لمسلم.

ويأتي النبي بأمر من الله تعالى لتبليغ عقيدة التوحيد، يصرح بذلك هيربرت بوسه بقولـــه: "وبما أنّ تقليد تبليغ عقيدة التوحيد من جيل إلى جيل قد توقف، فأُمر محمد ﷺ أن ينصح مجـــدداً عن طريق الوحي للاعتراف بالإله الواحد"(١).

والقضية التي يجب أن يشار إليها أنّ دعوات الأنبياء لم تكن يوما من باب التقليد وإنما هي رسالات وشرائع سماوية يتبع بعضها بعضاً، ينزّلها الله بحسب ما يتناسب مع الأقوام والأزمان.

وهذا ما أدركته المستشرقة لورا فيشا: "ولقد دعا الرسول العربي، بصوت ملهم باتـــصال عميق بربّه، دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محرّفتين إلى أصفى عقيـــدة توحيديـــة. وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوفاً مع بعض نزعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى...بل لقد دعاهم ببساطة، ومن غير أن يكلّفهم الابتعـــاد عـــن عـــالم الحقيقة، إلى التفكير في الكون وسُننه. وإذ كان واثقاً من أنّ كل عاقل لا بدّ أن يؤمن آخر الأمر بالإله الواحد الواجب الوجود، فقد اكتفى بدعوة الناس إلى أن يقرأوا كتاب الحياة، وهناك غيـــر مقطع في القرآن يدعو القارئ إلى التأمل في البرهان الذي تقدمه الطبيعة إليه..."(٢).

فمهمة النبي ﷺ التي لم تكن من مجهوده الشخصي أو من بنات أفكاره وإنما بإلهام ووحي من الله؛ هي دعوة عبدة الأوثان واليهود والنصارى الذين انحرفت عقائدهم عن النهج القويم إلى عقيدة التوحيد، والإله الذي دعا إليه الإسلام إله واحد متفرد بصفاته لا يشبهه ولا يماثله أحـــد، فهو الغني عن العالمين والخلائق كافة في فقر متناهٍ له، وتتحدث المستشرقة لورا عن صـــفات الإله العظيم في الإسلام وتفرده به عمن سواه: "إنّ إله الإسلام، الواحد في جوهره، وفي صفاته، وفي أفعاله، هو إله كليّ القدرة، سيد الكون وسيد يوم الحساب...إنه هو الذي يعرف كل شـــيء، ويرى كل شيء. إنه خالق السماء والأرض، والحياة والموت، إنه رب العرش. وإنّ علمه كامل. إنّ إرادته مطلقة وإنّ قوته لا سبيل لمقاومتها. وكل هذه الصفات إنما تتجلى في ما صنع. إنّ كل شيء فقير إليه، أما هو فغنيّ عما أبدع. إنّه لا يشبهه أياً من مخلوقاته. والصلة الوحيـــدة التـــي تجمعه بها هي أنه خلقها. إنّها له، وإليه مرجعها"(٣).

---

(١) بوسه، **أسس الحوار في القرآن الكريم**، ص٩٣. مرجع سابق.
(٢) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٤٣_٤٥. مرجع سابق.
(٣) المرجع السابق، ص٤٩_٥٠. مرجع سابق.

ودعوته ﷺ غاية في الوضوح والجلاء، لا تعقيد فيها، تهدف إلى إقامة التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وطالب الناس به، وفي معرض حديثه عن دعوة الإسلام يتحدث المستشرق فيليب حتى: "...وكانت دعوته من أول أمره واضحة بسيطة: ليس ثمة سوى إله واحد، هو الله. إنه على كل شيء قدير. وهو خالق الأشياء، وهو الباقي لا شيء بعده"(١).

فقد أدرك هؤلاء المستشرقون متجردين منصفين مع اختلاف هوياتهم وجنسياتهم وتنوع مدارسهم الفكرية أنّ الله تعالى بصفاته العظيمة واحد لا يضاهيه شيء ولا يشاركه أحد.

ويتحدث أحمد سوسة عن صورة الله العظيم في نظر الإسلام وصفاته بعدما أدرك نظرة ديانته السابقة وصفات الله فيها التي لم تسلم أيضا من عبث التحريف، فيجد في الإسلام الذي اعتنقه ما يناسب الفطرة النقية في نظرتها للخالق المعبود، وتفرده بصفات لا تليق إلا به: "إنّ الله بنظر الإسلام هو الإله الخالق الواحد الأحد لا يفوقه ولا يضاهيه أحد ولا يشاركه أحد، فهو قدير على كل شيء وموجود في كل زمان ومكان"(٢).

وإقامة التوحيد وهدم الوثنية والإشراك بالله هو الغاية من رسالة الإسلام الحنيف كما يشير إلى ذلك صاحب كتاب "الإسلام خواطر وسوانح": "أما الغرض من تلك الرسالة في الأصل فهو إقامة إله واحد مقام عبادة الأوثان التي كانت عليها قبيلته مدة ظهوره"(٣).

لقد جاء الإسلام محارباً الوثنية في جميع صورها وأشكالها، جاء ليقر أنّ لا إله إلا إله واحد لا شريك ولا ند ولا شبيه له.

ويتحدث المستشرق توماس أرنولد عن غاية الإسلام ونبيه الكريم: "... وكانت رغبته في بادئ الأمر مقصورة على توجيه بني وطنه إلى الاعتقاد بوحدانية الله"(٤).

والحقيقة، وإن صدق توماس بأنّ دعوة النبي كانت مقصورة بادئ الأمر على الوحدانية، إلا أنّ ذلك لم يكن من رغبة النبي، وإن كان النبي في فطرته يتنكر للوثنية والإشراك، لكنّ دعوته كانت من الوحي الذي مصدره الله تعالى؛ إذ ليس رغبات الأنبياء هي منبع العقائد على الرغم من توافق رغباتهم وانسجامها مع رسالاتهم، إلا أنّ الوحي المتصل بالله تعالى هو الأصل

---

(١) فيليب، **الإسلام منهج حياة**، ص٢٤. مرجع سابق.

(٢) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص١٠٦. مرجع سابق.

(٣) كاستري، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص١٤. مرجع سابق.

(٤) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص٥٢. مرجع سابق.

في منبع العقائد، وهو الموجه للأنبياء في حركاتهم وسكناتهم وهذا ما تؤكده الآية الكريمة حيث يقول تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [سورة النجم: ٣-٤].

والتوحيد هو ما يميز أتباع الإسلام الحنيف عن غيرهم في وقت يشهد انحراف من سبقه من أتباع اليهودية والنصرانية، وفي زمن لم تسلم عقائد الأقوام من الضلال، والتوحيد هو أصل الرسالات السماوية المُوحى بها إلى الأنبياء والرسل لتبليغها إلى الناس، وفي ذلك يقول الكونت هنري كاستري: "...ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد ورب صمد منزه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب أولئك حقاً هم المؤمنون كما يسمون أنفسهم بألسنتهم. ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي_ﷺ_ من مطالعة التوراة والإنجيل إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته"(١).

لقد كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في أن يجعل رسوله الكريم أمي على مرأى ومسمع من الناس حتى لا يتهم أنه ابتدع الدين من خلال اطلاعه على التوراة والإنجيل وهذه الخصيصة التي اختص الله به نبيه الكريم ليست نقيصة كما يظنها البعض ولكنها في الواقع هي عصمة له من الله حتى لا يتقول عليه قومه الأقاويل لأنهم على علم بجهله للقراءة والكتابة.

فالنبي _ﷺ_ كان يقوم بدعوته بناء على وحي إلهي، ورسالته على الإطلاق لم تكن نابعة من التوراة أو الإنجيل التي لم يسلم أي منها من العبث والتحريف، فهل يعقل أن يكون الإسلام الذي يهدم الشرك بكل صوره وألوانه نابعاً من مطالعة النبي الكريم لهذه الكتب، فإنّ العقل والمنطق لا يقبلان أن يقوم دين على ما جاء لنقضه ورده بل اجتثاثه.

والتوحيد نفسه الذي يجعل المرء يركن ويلوذ بإرادته للواحد الأحد، وهو منبع روحانية الإسلام: "...أما العقيدة بالإله الواحد التي توجب الاستسلام المطلق إلى إرادته فهي منبع الروحانية الإسلامية"(٢).

---

(١) كاستري، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص١٧_١٨. مرجع سابق.

(٢) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص١٠٦. مرجع سابق.

فقد جاء الإسلام ناسخاً لما سبقه من الشرائع ومهيمناً عليها، مقراً بالتوحيد الذي دعا إليه كل من موسى وعيسى_عليهما السلام_ وسائر الأنبياء، مبيناً انحراف أتباع تلك الشرائع عن نهج وسبيل أنبيائهم، ليعيد التوحيد لحياة الأمم من جديد ويجعلها العقيدة التي لا يقبل ولا يرضى الله غيرها، ولا تستقيم الحياة إلا بها.

المطلب الثاني: مفهوم الإله في الإسلام

تختلف صورة الإله في الإسلام عنها في الشرائع السابقة، وجاء الإسلام مصححاً لما طرأ على مفهوم الإله من تحريف، إذ حاول كل قوم أن يسقطوا تخيلاتهم على الإله الذي يعبدوه، فعقولهم لم تحتمل عبادة إله لا تتصور له شكلاً، فنسبوا إليه من الصفات ما يتصف بها بنو البشر من العجز والضعف وسائر النقائص، فجاء القرآن لينقي هذا المفهوم من كل شائبة، ويدحض شبهة من ادعى أنّ له ولداً، وفي حديثه عن ذلك يتحدث نظمي لوقا قائلاً: "لا يدع القرآن شائبة من ريب في مسالة وحدانية الله، فجاء في (سورة الإخلاص): ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ ولا في تنزيهه عن الشرك والتعدد: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ وفي ذلك نقض لعقائد الشرك، وتصحيح لعقائد أهل الكتاب أيضاً... فقد صار أتباع المسيح إلى القول بألوهيته. وإنه ابن الله. وإنّ الإله الواحد، جوهر واحد، له ثلاثة أقانيم هي الله الأب، والله الابن _وهو المسيح_ والروح القدس... ولم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في بشارات حوارييه (الأناجيل) إشارة إلى شيء من ذلك. بل كان يدعو نفسه على الدوام ب "ابن الإنسان". وأما البنوة لله ﷻ، فما ورد لها ذكر إلا على سبيل المجاز المطلق، وبمعنى يشمل البشر كافة، حين أوصى أن تكون صلاة الناس إلى الله بادئة بقولهم "يا أبانا الذي في السماء".. وحين طالب أتباعه وجميع الناس أن يسلكوا طريق البر، كي يكونوا جديرين بنسبتهم إلى الله"(١).

لقد جاء الإسلام نافياً أن يكون لله صاحبة أو ولدٌ، أو أن يكون له شبه، وأما البنوة فلا حاجة لله بها وهو الغني جل شأنه عن سائر المخلوقات وهو ما فهمه نظمي لوقا من باب المجاز.

---

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ص٦٥_٦٦. مرجع سابق.

فالتوحيد في الإسلام هي من الأمور التي تشد الإنسان وتلامس فطرته الأصيلة الصافية، فالإنسان عندما يتوجه بالعبادة لله ويلجأ إليه إنما يلجأ لقوة تفوق قوته، ويعبد إلهاً يطمئن إليه في ضعفه، ولن يجد الإنسان قوة تفوق قوته وعظمة لا يضاهيها عظمة إلا في إله ليس كمثله أحد ولا يكافئه بصفاته أحد، ولن يجد ذلك إلا في مفهوم الإله الذي جاء به الإسلام، وهو مما جذب انتباه الكثير وفي ذلك يقول أستاذ اللاهوت إبراهيم خليل: "استوقفني كثيراً نظام التوحيد في الإسلام وهو من أبرز معالم الإسلام: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى:١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾... نعم التوحيد يجعلني عبداً لله وحده، ولست عبداً لأي إنسان..التوحيد هنا يحرر الإنسان ويجعله غير خاضع لأي إنسان، وتلك هي الحرية الحقيقية، فلا عبودية إلا لله وحده.. عظيم جداً نظام الغفران في الإسلام، فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم على الصلة المباشرة بين العبد وربه، فالإنسان في الإسلام يتوب إلى الله وحده، لا وجود لوسطاء، ولا لصكوك الغفران أو كراسي الاعتراف؛ لأنّ العلاقة مباشرة بين الإنسان وربه"(١).

لقد استوقف نظام التوحيد في الإسلام وتوجه العبد فيه إلى الله وحده دون اللجوء لوسطاء أستاذ اللاهوت وهو المطلع على الكتاب المقدس والعالم في تفاصيله، فوجد في الإسلام ما يقره العقل والقلب، وجد في الإسلام التوحيد الذي يتناسب والعظمة الإلهية دون نقص أو تشبيه، وجده خالياً من أي صفة تتنافى مع تنزيه الإله الذي لن تستطيع عقول البشر إدراك كنهه لكي تعبر عنه بصورة أو لوحة كما يحاول البعض اختزاله بلوحة فنية – والعياذ بالله– فالإسلام هو الدين الوحيد الذي تنزه الإله فيه عن كل صفات البشر وهو ما يشير إليه ناصر الدين دينيه قائلاً: "الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلاً بشرياً، أو ما إلى ذلك من الأشكال. أما في المسيحية فإنّ لفظ "الله" تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال– فمن تجاعيد بالوجه غائرة إلى لحية بيضاء مرسلة مهملة تثير في النفس ذكرى الموت والفناء. ونسمع القوم يصيحون "يحيى الله" فلا نرى للغرابة محلاً ولا نعجب لصيحتهم وهم ينظرون إلى رمز الأبدية الدائمة وقد تمثل أمامهم شيخاً هرماً بلغ أرذل العمر. فكيف لا يخشون عليه من الهلاك والفناء، وكيف لا يطلبون له

(١) لوبلا: **الإنجيل قادني إلى الإسلام ربحت محمداً ولم أخسر المسيح**، الحسيني الحسيني معدِّى، ط١، ص١٣٦_١٣٧، دار الكتاب العربي،(٢٠١٠). وطبع معه كتاب الإنجيل قادني إلى الإسلام تأليف م.ج. لوبلا، كتاب الخلاص من المسيحية. تأليف فادي كاباتيلو.

الحياة؟ كذلك (ياهو) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهالكة. وكذلك تراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة. أما (الله) في دين الإسلام الذي حدّث عنه القرآن فلم يجرؤ مصور أو نحات أن تجري به ريشته أو ينحته إزميل. ذلك لأنّ (الله) لم يخلق الخلق على صورته، وتعالى سبحانه فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يكن له كفواً أحد"(١).

وإن كان العقل البشري لا يستطيع الإحاطة بذات الله وكنهه إلا أنه يستطيع أن يدرك عظمته ويتقرب إليه من خلال صفاته الدالة عليه، وتتحدث لورا فيشيا عن صفات الله فتقول: "إنّ إله الإسلام،...إله كليّ القدرة، سيد الكون وسيد يوم الحساب...إنه هو الذي يعرف كل شيء، ويرى كل شيء، ويسمع كل شيء. إنه خالق السماء والأرض، والحياة والموت، إنه رب العرش. وإنّ علمه كامل. إنّ إرادته مطلقة وإنّ قوته لا سبيل إلى مقاومتها. وكل هذه الصفات إنما تتجلى في ما صنع. إنّ كل شيء فقيرٌ إليه، أما هو فغنيّ عما أبدع. إنه لا يشبه أياً من مخلوقاته. والصلة الوحيدة التي تجمعه بها هي أنه خلقها. إنها له، وإليه مرجعها"(٢).

لقد أدركت لورا فيشيا حقيقة الإله في الإسلام ووجدته مختلفاً عما تصوره الشرائع السابقة، فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى:١١]، وهو الخالق الغني عن المخلوقات وهي الفقيرة إليه في كل شيء، فمثلما كانت البداية من عنده إذ خلقها، فستكون نهاية المطاف والمرجع إليه أيضاً، أدركت بفطرتها أنّ الإله يجب أن يتصف بصفات تليق بجلاله فلا تشبهه الحوادث وتميزه عن صفات النقص، وسليم الفطرة يدرك أن المتصف بهذه الصفات وحده من يستحق أن تخضع له سائر المخلوقات فتخصه بالعبادة.

وكان لا بد للشريعة الخاتمة والمتممة لما سبقها من شرائع أن تأتي بالصورة الصحيحة حول مفهوم الإله، فتصحح المسار الذي انحرفت عنه الشرائع السابقة، وترد الناس إلى سلامة الاعتقاد، وتنقي أفكارهم وتصوراتهم مما علق بها حول الإله وحقيقته، وفي ذلك يقول نظمي لوقا: "لا بد من رد الناس إلى بساطة الاعتقاد، ولا بد من نفي اللبس وشوائب الريب عن جوهر هذه العقيدة، وهو التوحيد مطلق التوحيد. إذن تعين أن يأتي الدين الجديد بحسم هذا الاختلاف

(١) دينيه، **أشعة خاصة بنور الإسلام**، ص٢٥. مرجع سابق.

(٢) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٤٩_٥٠. مرجع سابق.

الوبيــــل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [سورة الإخلاص: ١-٤]... وهكذا بدت العقيدة الإلهية في الإسلام ناصعة الصفاء في تجردها من الشرك وشبهاته، ومن النقص وشوائبه على نحو حاسم كانت البشرية قد باتــت في حاجة ماسة إليه بعد الذي انتاب المؤمنين بالأديان من اختلاف وبلبلة"(١).

فنظمي لوقا ولورا فيشيا يتفقان في مفهوم الإله على الرغم من اختلاف كل منهمـــا فـــي المنشأ والفكر.

لقد جاء الإسلام بشريعة وعقيدة في غاية الوضوح، بعيداً عن التعقيدات جاء يطرح مبادئه بغاية البساطة والوضوح فيفهمها العامي والمثقف سواء، جاء الإسلام وقد حسم الخلاف القـــائم حول مفهوم الإله، إذ هو الله الواحد الأحد لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة النساء: ١٧١]، فالإسلام يدعو إلى الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له ولا شبيه، وإن كان العقل البشري يعجز عن إدراكه لقوله تعـــالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]، فإن كانـــت الأبصار والعقول لا تدرك كنهه لا يعني ذلك أنّ الإيمان به عبارة عن عقيدة عمياء، إنما الإيمان به قائم على التفكر والنظر، وهو ما صرح به مؤلف كتاب **المحمديات** قائلاً: "وليس هذا الإيمان مجرد عقيدة عمياء، بل هو عقيدة يدعمها العقل والنظر، إذ لا يمكن تصور وجــود مـــن دون موجد، ولا يمكن أن يكون هذا النظام الدقيق الذي يجري على سنته الكون وهذه الحركة الدائمة المستمرة نتيجة الصدف ودواعي الحال، بل هي من صنع منظم خالق قادر ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾ [سورة الغاشـــية] ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

---

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ص٦٧،٦٩. مرجع سابق.

ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام:١٢] وفي هذا كله دليل على خلق الله لكل شيء"(١).

إنّ هذه الكلمات؛ إنما هي كلمات نابعة من فطرة تفكرت في هذا الخلق فأيقنت أنه لابد من خالق له، وهي شهادة حق تدعو للتفكر بكل ما يحيط بالإنسان إذ هو كتاب مفتوح يستطيع أن يستدل من خلاله على خالق لهذا الكون، والتناسق والدقة فيه دلالة على وحدانية الخالق؛ إذ لو كان هناك إله آخر ما كان هذا الكون بكل هذه الدقة والتناسق وصدق الله إذ يقول: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:٢٢].

المطلب الثالث: الدين عند الله الإسلام

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وبعث به الرسل والأنبياء جميعاً، فهذا نوح عليه السلام يخاطب قومه ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [سورة يونس: آية رقم ٧٢].

وعلى لسان إبراهيم عليه السلام يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠-١٣٢]. فدين إبراهيم عليه السلام هو الإسلام وهو ما وصى بإتباعه ذريته إبراهيم ويعقوب- عليهما السلام -، ويحمل الوصية ويقوم بتنفيذها نبي الله إسماعيل عليه السلام ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧-١٢٨].

---

(١) دبسون: **المحمّديات: ماذا يجب أن تعرف؟ عن محمد والإسلام**، ص١١٧، ترجمة عمر أبو النصر، المكتبة الأهلية_بيروت.

وهذا نبي الله يوسف عليه السلام يسير على خطى الآباء والأجداد﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة يوسف: آية رقم١٠١].

وعلى لسان موسى عليه السلام مخاطباً قومه بني إسرائيل يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس: آية رقم٨٤]، ومن بعده يأتي نبي الله عيسى عليه السلام ويوحي الله إلى الحواريين على لسانه:﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[سورة المائدة: آية رقم١١١].

فالمتتبع للأنبياء ودعواتهم يجد أنها ما كانت لتحمل ديناً آخر غير دين الإسلام، وأنّ أي ملة أو دين غير الإسلام ما كان يقبل أو سيقبل، ويأتي التأكيد الإلهي على أنّ الدين عند الله هو الإسلام لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [سورة آل عمران: آية رقم١٩]. ونبذ أي دين غيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: آية رقم٨٥].

وهو الدين نفسه الذي أرسل الله الأنبياء كافة للدعوة إليه لقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [سورة الشورى: آية رقم١٣]. وقد تبين من خلال الآيات السابقة أنّ دين الأنبياء واحد، وأنهم ما أرسلوا إلا لإقامة هذا الدين والدعوة إليه، وهذا ما يؤكد عليه ﷺ: "أنا أَوْلَى الناس بِعِيسَى بن مَرْيَمَ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"(١)، ثم بعد مجيء النبي

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [مريم:١٦]، حديث رقم٣٤٤٣، ص٤٠٨.

ﷺصار الإسلام علما على رسالة محمد خاصة، فقبل اليهودية والنصرانية والإسلام كان الأصل في الدين أنه واحد وإن كان هناك ثمة اختلافات نابعة من اختلاف الأقوام والأزمان، وهي اختلافات لا تتعدى إلى أصل الدعوة وجوهرها، وقد أقرت بهذه الحقيقة المستشرقة لورا فيشا قائلةً: "...إنّ محمد نفسه لم يزعم أنّه جاء بفكرات جديدة، ولكنه أعلن في جلاء أنّ الله أرسله ليعيد ملة إبراهيم_التي حرّفت من بعده_ إلى أصلها وليؤكد ما كان الله قد أوحى به إلى أنبيائه السابقين مثل موسى، وأشعيا، ويسوع المسيح؟ لقد كان هو آخر الأنبياء حملة التشريع ليس غير...جاء الإسلام وأعلن أنّ الدين كان في جميع العصور، وعلى أفواه الأنبياء جميعاً، ديناً واحداً، وأنّه في جوهره كان يدعو إلى التعاليم نفسها، فهو يدعو إلى الإيمان بوحدانية الله، وبالخضوع لإرادته، وبطاعة وصاياه؛ وبالأخذ بأسباب الخير واجتناب الشرّ. وفوق هذا، أصرّ الإسلام على أنّ مختلف الأشكال والطقوس التي قدّمتها الأديان المتباينة انبثقت كلها من رحمة الله الذي أعطى كل شعب في كل وقت بعينه ديناً يلائم حاجاته ويساعد على التطور مع تقدّم العقل الإنساني. ولكنّه أصرّ على أنه، عندما نضج الجنس البشري آخر الأمر وأصبح، بفضل الأحداث، مستعداً لفهم رسالة دينية لا تخاطب عواطفه فحسب بل تخاطب عقله أيضاً، ظهر محمد ﷺ ليوفق بين هذه التعاليم كلها لمصلحة الإنسانية، وليسوّي الخلافات بين "أهل الكتاب"، يعني النصارى واليهود، وليقود الناس نحو تحقيق السعادة، في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة على حدّ سواء"[١].

فمحمد ﷺ لم يأت بدين جديد لا يمت بصلة للشرائع السابقة، كلا، بل جاء بما هو امتداد لتلك الشرائع ومصححاً لما طرأ عليها من تحريف، مكملاً لما اعتراها من نقص لاسيما وقد جاءت تلك الشرائع في أزمان محدودة ولفئات من الناس خاصة تتناسب وحاجاتهم، فجاءت دعوة محمد ﷺ لتحمل في أساسها وصميم جوهرها ما حملته تلك الشرائع وأي اختلاف بين الإسلام وسائر الشرائع السماوية المنزلة على الأنبياء والرسل إنما هو اختلاف لا يتعدى الفروع التي كانت تختص بوقت معين ولفئة خاصة وقد باتت لا تتناسب مع غير هذه الأقوام وغير عصورها، هذا لأنّ الإسلام جاء للناس كافة، وكذلك جاءت الرسالة المحمدية هي الخاتمة، ومن تمام الخلود الصلاح لكل زمان ومكان وتناسب جميع الأحوال والأقوام.

---

(١) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٥٤_٥٥. مرجع سابق.

وهذا ما ذهبت إليه موسوعة موجز دائرة المعارف الإسلامية: "ومن الواضح تماماً أنّ محمداً لم يفكر خلال الفترة المكية في تأسيس ديانة جديدة فمهمته كانت مجرد الإنذار والتذكرة ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة الذاريات: آية٥٠] فهو ينذر بقرب يوم الحساب قومه الذين لم يرسل إليه رسول من قبل ﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ ﴾[سورة الأنعام: آية١٥٧] وقد أنزل عليه الوحي ليبلغهم إياه في صورة قرآن عربي مبين، وحتى يقيهم غضب الله. وعلى اليهود والنصارى أيضاً أن يشهدوا بصدق ما جاء به حيث أنّ نفس الوحي كان قد أرسل إليهم من قبل ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة النحل: آية٤٣] "[١].

والنبي ﷺ إن هو إلا نبيٌّ يتلقى من الله ويبلغ ما يتلقاه، وقد جاءت رسالته مؤكدة على دعوة الأنبياء من قبله، إلا أنها تحمل تشريعات تناسب خلودها وعالميتها، وقد استمر في تصحيح مسار الأمة على التوحيد الذي دعت إليه الرسالات السابقة، وتقول موسوعة موجز دائرة المعرف الإسلامية: "ومع ذلك فقد ظل محمد ﷺ كما كان في الماضي لا يفكر في تأسيس دين جديد وإنما كان سعيه منصباً على إعادة الديانة الحقة التي نادى بها الأنبياء – عليهم السلام – منذ البداية"[٢].

إنّ جوهر الرسالة السماوية التي تتابع الرسل والأنبياء في حملها وتبليغها لبني البشر واحد وأصلها واحد، والدعوة إلى الإيمان بالله الواحد هو الأساس الذي قامت عليه هذه الرسالات، وإلى هذا يشير المطران كيرلّس[٣] قائلاً: "...الإيمان بالله الواحد الذي دعا إلى عبادته جميع

---

(١) أ. جي. بريل: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج٢٨ص٨٥٥٧، تحرير م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان. مراجعة حسن حبشي، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، تحرير خلف عبد العظيم الميرى، مركز الشارقة للإبداع.

(٢) أ. جي. بريل: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج٢٨ص٨٥٧٠. مرجع سابق.

(٣) كيرلّس: رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الملكيّين الكاثوليك. بسترس، المطران كيرلّس سليم: **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك(١)**، سلسلة المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون مركز أبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي(حريصا_لبنان)(١٠)، ص٥ من تصدير المؤلف، إشراف عادل تيودور خوري، ومشير باسيل عون، المكتبة البولسية، جونيه_لبنان،(١٩٩٩).

الأنبياء على مدى التاريخ. النبوة متعدّدة والأنبياء كثر، ولكن جوهر الرسالة النبوية هو واحد، وهو مشترك بين الأنبياء وجميع الرسالات"(١).

فتعدد الأنبياء واختلاف ظروف عصورهم وأقوامهم لا يتعارض مع حقيقة الأصل الذي تقوم عليه رسالتهم، وهو الوحدانية التي انطلقت منها كل الرسالات على حد سواء.

وفي حديث مونتغمري وات عن طبيعة العلاقة بين الإسلام وسائر الرسالات السماوية اتخذ من قصة نوح وعاد مثالاً على ذلك: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٩-٦٢]، يقول: "التشابه الوحيد في الرسالة هنا هو التأكيد على وجود الله بالرغم من وجود تشابه في موقف قوم النبي منه وفي مصيرهم وفي الدفاع عنه. هذه هي النظرة الموجودة في القرآن عن علاقة القرآن بالرسالات السماوية السابقة وبالتحديد وجود تطابق في الأساسيات وليس في التفاصيل. ويمكن التعبير عن هذه العلاقة بطريقة أخرى بالقول إنّ القرآن تصديق للرسالات السابقة ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة يونس]، ومن ثم يعتبر القرآن دفعاً جديداً وفي نفس الوقت تكراراً لأساسيات رسالات سابقة"(٢).

وعلاقة الإسلام بالرسالات السابقة أمر لا غرابة فيه؛ فهي صادرة من أصل واحد فجاء الإسلام مؤكداً على أصولها، لكنّ شريعته جاءت لتتناسب تطور المجتمعات واختلاف الأزمنة والأمكنة.

---

(١) بسترس، **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك(١)**، ص١٤٥. مرجع سابق.

(٢) وات، **ما هو الإسلام؟**، ص٤١. مرجع سابق.

ويتحدث هيربرت بوسه[(١)] عن تطابق الدين الفطري مع الإسلام وكون إبراهيم عليه السلام من المسلمين: "فقد عرف إبراهيم الإله الواحد من خلال تأمله النجوم. وعقيدة الحنفاء"أسلوب الفطرة الذي خلق الله الناس عليها" ولا يمكن للمرء تغيير النمط والأسلوب الذي خلق الرب عليه الإنسان. ويمثل ذلك الدين الصحيح﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم: آية رقم٣٠]. وهذا الدين الفطري يتطابق مع الإسلام وكان إبراهيم أول المسلمين. وينحصر الوحي في أنّ إبراهيم تلقى أمراً من الرب أن يُسلم، هذا يعني الاعتراف بالإسلام﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم١٣١]. وانتقلت العقيدة منه إلى ذريته حيث أعطى كل جيل، الجيل الآخر الإرشاد المطابق﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم١٣٢]. وعرف يوسف بن يعقوب وهو في السجن دين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ووعظ المسجونين معه لعقيدة الإله الواحد ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٣٨-٣٩]"[(٢)].

لم يكن تأمل سيدنا إبراهيم في النجوم دليلاً على توصله للوحدانية؛ لأنه كان موحداً ودعوته قائمة على التوحيد ولكنّ تأمله للنجوم كانت حجة على قومه، فالدين عند الله واحد وهو

---

(١) هيربرت بوسة مستشرق ألماني معاصر ولد عام ١٩٢٦م، درس الدراسات الإسلامية في كل من ماينس ولندن، عمل بالتدريس والبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية في كل من هامبورج وبوخم وبيروت والقدس، عمل منذ عام ١٩٧٣م وحتى تقاعده مديراً لمعهد الدراسات الشرقية في "كيل"، وله العديد من الدراسات حول التاريخ والحضارة الإسلامية.(بوسه، **أسس الحوار في القرآن الكريم**، ص١١). مرجع سابق.

(٢) بوسه، **أسس الحوار في القرآن الكريم**، ص٩٢. مرجع سابق.

ما جاءت دعوة الأنبياء منهجاً عملياً لتأكيده، وكل نبي يأتي يؤكد على دعوة من قبله ويسير على خطاه، ويصحح الانحراف الذي طال الأقوام بعد رحيل ذاك النبي وغياب تلك الرسالة، وتنوع الشرائع في الرسالات السماوية مع توحدها في العقائد الأساسية إن هو إلا رحمة بالعباد، فقد كان لكل قوم شريعتهم الخاصة بهم بما يناسب البيئة والعصر في ذلك الوقت، وهو ما يشير إليه المطران كيرلّس قائلاً: "أمّا تنوع الأديان فهو ناتج عن تنوّع الظروف التاريخيّة والثقافيّة التي عاش فيها الأنبياء ودُوّنت فيها الكتب المقدسة. فالله يكلّم كل شعب بحسب لغته وبحسب تطوّر ذهنيّته لكي يتاح لهذا الشعب أن يفهم كلام الله، ويعطيه شرائع مناسبة لبيئته وعصره، لكي يتمكن هذا الشعب من أن يسير نحو الله. فالطرق تتنوّع والشرائع تتعدّد، ولكن الهدف واحد وهو الله، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [سورة المائدة:٤٨][(١)].

فقد جاء هذا التنوع رحمة بالعباد، ومراعاة في حاجات الناس الناتج عن اختلاف عصورهم وظروفهم إلى أن جاء الإسلام برسوله الكريم ليؤكد على دعوة الأنبياء السابقين ويدعو لعقيدة واحدة تتابعت دعوات الأنبياء إليها وهي عقيدة التوحيد، فهو الصورة النهائية لشرع الله الذي يناسب جميع الأزمان والأقوام.

تعقيب ونقد

مما سبق يتبين أنّ الأصل الذي تقوم عليه كل من اليهودية والنصرانية قبل تحريفهما هو التوحيد، وإرسال الرسل والأنبياء كان لإرساء هذه العقيدة السامية، فالشرائع السماوية، وإن تعددت أشكالها وأزمانها وأنبيائها، إلا أنّ هدفها واحد وحقيقتها واحدة، وهو ما عبر عنه

---

(١) بسترس، **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك(١)**، ص١٤٧. مرجع سابق.

توماس كارليل[١]: "وهذا الشيء هو روح جميع الأديان، روح تلبس أثواباً مختلفة، وأثواباً متعددة. وهي في الحقيقة شيء واحد"[٢].

والمسيحية واليهودية توأم الإسلام في التوحيد، و لا تناقض بين أصول كل من هذه الشرائع، وإنّ التباعد إنما يرجع لأسباب لا تنبثق عن العقيدة وهو ما تحدث المستشرق فيليب حتي عنه بوضوح لا مراء فيه: "إنّ المسيحي الذي يستعرض العقائد والعبادات الإسلامية المبسوطة آنفاً لا يجد ما يناقض دينه في ما عدا رسالة محمد وإعجاز القرآن. حتى في هذه الحال فإنّه يمكن أن يُسلّم بأنّ محمداً رسول الله وبأنّ القرآن وحي إلى حدٍ هو أنهما كليهما يعبران عن إرادة الله. وبالمقابلة فإنّ المسلم إذا نظر في عقيدة الحواريين(تلاميذ المسيح والرسل الذين أرسلهم المسيح للتبشير بالنصرانية) فربما قبلها بعد شيء من التعديل. إنّ ما ينكره حينئذ يكون أقل مما يثبته...وهكذا نرى بوضوح أنّ سبب التباعد بين الأختين الموحّدتين ليس كله راجعاً إلى النظر في العقيدة.، إنه تاريخ ينطوي على تنازع سياسي وعسكري في سبيل السلطة والتفوق الاقتصادي"[٣].

الأصل إذن هو التوحيد وما يتعدى ذلك إنما هو طارئ على الفطرة وعلى الحياة برمتها، واليهودية عندما انحرفت عن هذه العقيدة عقيدة التوحيد لم يكن الأمر بجديد عليها، فقد توجهوا من قبل لعبادة العجل وكل من موسى وهارون– عليهما السلام – بين ظهرانيهم، فأنزل الله بهم العقاب الشديد حتى تابوا وعادوا منيبين إليه، وجاء عيسى عليه السلام على إثر موسى عليه السلام يقود القوم لعبادة الواحد الأحد ويردهم إلى دين التوحيد دين الآباء والأجداد، فتآمر القوم على النبي الكريم

---

(١) توماس كارليل كاتب اسكتلندي وناقد ساخر ومؤرخ ولد عام ١٧٩٥م، وكان لأعماله تأثير كبير بالعصر الفكتوري، وهو من عائلة كالفينية صارمة أملت أن يصبح واعظاً إلا أنه فقد إيمانه بالمسيحية أثناء دراسته بجامعة إدنبرة، وفي عام ١٨١٩م عاد إلى جامعة إدنبرة لدراسة القانون، ثم شرع بدراسة الأدب الألماني، من مؤلفاته: "الثورة الفرنسية" و"الأبطال وعبادتهم" ويعد هذا الكتاب دراسة أدبية وتاريخية للبطولة اختار كارليل لعرضها وتحليلها أرقى النماذج الإنسانية، ومن ضمن هذه النماذج اختار البطل نبياً محمد ﷺ، لكنه في كتابه هذا لم يستطع أن يختار بطلاً واحداً في مجال واحد، فقسم البطولة بين شخصين أو أكثر، باستثناء البطل إلهاً أسطوريا أودن، والبطل نبياً محمدﷺ. http://ar.wikipedia.org

(٢) كارليل، توماس: **محمد المثل الأعلى**، ترجمة محمد السباعي، تقديم محمود النجيرى، ط١، ص١٠٠، مكتبة النافذة،(٢٠٠٨).

(٣) فيليب، **الإسلام منهج حياة**، ص٩٣. مرجع سابق.

وانحرفوا مرة أخرى كسابق عهدهم، ولا يخفى على أحد ما استحدثه بـولس[١] فـي الـشريعة النصرانية فقد أدخل عقيدة التثليث على الشريعة النصرانية والتي تخلو منها الأناجيل ولم يطـرأ له ذكر في الكتاب المقدس، وإنما المتتبع لنصوصه يدرك أنّ المسيح إن هو إلا نبيُ مرسل مـن عند الله وهو ما عبر عنه المسيح عليه السلام بصريح العبارة:

"من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني"[٢].

"ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله...لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني"[٣].

فهذه النصوص وغيرها الواردة في هذا المبحث تدل دلالة واضحة على أنّ المسيح نبـي مرسل لا إله يعبد، وتعليقاً على هذه النصوص يقول الشنطي: "والتفريق البديهي بـين المرسـل والرسول كاف في رد القول بالاتحاد، لأنّ من وقع عليه الإرسال لا يكون قديماً فكيف يتحد مع مرسله القديم، وعليه يبطل أن يكون إلهاً مع كونه رسولاً، فالذي كان يكلم الناس إما أن يكـون هو الله أو هو رسول الله، فإن كان هو الله بطل كونه رسول الله، وإن كان هو رسول الله بطـل كونه هو الله"[٤].

وعلى الرغم من جلاء الحقيقة إلا أنّ القائلين بالتثليث اتخذوا سبيل السيف لدفع النـاس للاعتقاد به ومحاربة وملاحقة كل من يرفض ذلك، بل إلحاق اللعنة بكل من يـرفض التثليـث ويعتقد بالوحدانية، وما المجامع المسكونية التي انتهت الاجتماعات فيها بتغليب آراء القلة القليلة القائلة بالتثليث المستمدة من الوثنية، على الآراء القائلة بالتوحيد رغم الغالبية التي كانت تتمتـع بها، ومجمع نيقية وغيره من المجامع إن هو إلا مثال صارخ سجله التاريخ يشهد علـى ذلـك، ووصمة عار في جبين أولئك الذين ارتضوا وقبلوا بشريعة الوثنية الوضعية تاركين شريعة رب البرية.

---

(١) هو شاول ولد في طرسوس وكان يغلب على هذه المدينة الطابع الروماني، وكانت طرسوس تعج بكثير من المعتقدات والأساطير اليونانية، وتربى في أورشليم، وكان ينتمي لفرقة الفريسيين اليهودية مثـل والـده، وتربى على عقائد هذه الفرقة اليهودية المتشددة.(الخطيب، عبد الكريم: **المسيح فـي القـرآن والتـوراة والإنجيل**، ص٣٠٨. أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص٦٨. الخطيب، محمـد أحمـد: **مقارنـة الأديان**، ط٢، ص٢٤٠، دار المسيرة_عمان، (٢٠٠٩م_١٤٣٠هـ).

(٢) **إنجيل متى**، ١٠/٤٠.

(٣) **إنجيل يوحنا**، ٨/٤٠،٤٢.

(٤) الشنطي، **اليهودية والمسيحية في الميزان**، ص٢٢٥. مرجع سابق.

وبعد صراع مرير بين التيار النصراني الموحد والتيار البولسي الوثني، انتصر التيار الوثني، ليتم ملاحقة وقتل كل من يعتقد ببشرية المسيح، بل حرق جميع الكتب التي لا تقول بألوهيته، وبهذه المجامع تم تحريف العقيدة النصرانية وتأسيس عقيدة دخيلة وهي عقيدة التثليث(١).

وجاء الإسلام يحمل في تعاليمه وعقيدته نور التوحيد الذي يبدد ظلام الوثنية، فيحمل تعاليم اليهودية والنصرانية ولكن بشكل يتناسب مع كلّ العصور على اختلاف أزمانها وأشخاصها، فكان النبي ﷺ مكملاً لبناء الأنبياء من قبله مقراً للتوحيد نافياً لكل ما يخالفه أو يعارضه، يحمل على عاتقه جوهر دعوته وصميمها، وحول ذلك يتحدث كارليل: "نظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة، ومن وراء مذاهب اليونان واليهود، ورواياتهم، وبراهينهم، ومزاعمهم، وقضاياهم. نظر ابن القفار والصحاري بقلبه البصير الصادق، وعينه المتوّقدة الجلية، إلى لُباب الأمر وصميمه، فقال في نفسه: الوثنية باطل، وهذه الأصنام– التي تصقلونها بالزيت والدهن، فيقع عليه الذباب – أخشاب، لا تضر، ولا تنفع. وهي منكر فظيع، وكفر لو تعلمون. إنما الحق: أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. خلقنا. وبيده حياتكم وموتكم"(٢).

فكان الإسلام بذلك النور الذي بدد ظلمات العقل والقلب، فبين زيغ أولئك الذين حرفوا دعوات ورسالات أنبيائهم، وأنصف الأنبياء مما أُلصق بهم بهتاناً وزوراً؛ إذ إنّ صميم دعوتهم واحد، والمُوحي إليهم واحد﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ [سورة النحل: آية٣٦]. وينفي الله تعالى في معجزة الإسلام – القرآن الكريم– أن يكون ثمة إله آخر غير الله ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [سورة النحل: آية٥١].

ويعيب القرآن على من يتخذ إلهاً غير الله، ويقر بالوحدانية التي كانت صميم الرسالات السماوية، وصميم الرسالة الخالدة الناسخة لما قبلها، ويعلن البراءة من كل ما اتخذوه شريكاً لله، إذ يقول تعالى:﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ

---

(١) بو خاروف، **المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح ام هي ديانة بولس؟**، ص٧٩_٨١. بتصرف. مرجع سابق.

(٢) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص١٠٠. مرجع سابق.

لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[سورة الأنعام: آية١٩].

فكان الإسلام بذلك الحق الذي قضى على الباطل، والنور الذي أخمد الظلام، وتحت عنوان "**الإسلام هو الحق الذي قضى على الباطل**" يتحدث كارليل: "لقد جاء الإسلام على تلك الملل الكاذبة، والنحل الباطلة، فابتلعها. وحُقّ له أن يبتلعها؛ لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة. وما كاد يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب، وجدليات النصرانية، وكل ما لم يكن بحق؛ فإنه حطب ميت، أكلته نار الإسلام، فذهبَ. والنار لم تذهب"(١).

كان الإسلام بذلك الصورة النهائية، والخلاصة الشاملة لتلك الرسالات السابقة، جاء بوضوح يقوم على مبدأ لم يألُ الأنبياء جهداً في سبيل تقريره وحمل الناس عليه وهو مبدأ التوحيد لا غير.

---

(١) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص١٠١. مرجع سابق.

الفصل الثالث: الإنصاف في نبوة سيدنا رسول الله محمد ﷺ

توطئة

المبحث الأول: الإنصاف في حقيقة الوحي والإلهام

المطلب الأول: مفهوم الوحي والإلهام

أولاً: مفهوم الوحي لغة واصطلاحاً

ثانياً: مفهوم الإلهام لغةً واصطلاحاً

رابعاً: الفرق بين الوحي والإلهام

المطلب الثاني: الوحي في الإسلام

المبحث الثاني: نبوة سيدنا محمدﷺ

المطلب الأول: محمد ﷺ قبل البعثة

المطلب الثاني: بعثة النبي ﷺ

المبحث الثالث: القرآن الكريم معجزة النبي الخالدة

المطلب الأول: أمية الرسول ﷺ

المطلب الثاني: القرآن الكريم كلام الله

المبحث الرابع: زواج الرسول ﷺ

المطلب الأول: تعدد الزوجات قبل الإسلام

أولاً: تعدد الزوجات عند اليهودية

ثانياً: تعدد الزوجات عند المسيحية

المطلب الثاني: تعدد زوجات الرسول ﷺ

تعقيب ونقد

توطئة

اتصف النبي ﷺ منذ نشأته بالصادق الأمين، فعُرف بين قومه بشرف النسب وكرم الطباع نقي السريرة والفطرة، وقد جعل من وقته كل عام فترة يتحنث فيها في غار حراء إلى أن جـاء وعد ربه ليخبره باصطفائه واختياره نبياً مرسلاً، وما أن علم القوم بذلك اتهموه بغير ما يليق به من صفات هم بأنفسهم يعلمون أنه أبعد الخلق عنها، فأيده الله تعالى بمعجزة هي آية في البلاغة والبيان رغم ما عرف به من عدم تمكنه من القراءة والكتابة، وينصر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ويظهر صدقه بشهادة الخصوم على اختلاف الجنسيات والأزمان، فشخصية الرسـول ﷺأخذت من اهتمام الباحثين والدارسين مأخذها، فأولئك الذين لم يسمحوا لمعتقداتهم واتجاهـاتهم وجنسياتهم بالتأثير على قولهم الحق في حقيقة الإسلام ودعوته، فجردوا أقلامهم وعقولهم مـن الشبهات والعصبيات فأنصفوا الإسلام غير آبهين بما يترتب على ذلك من نتائج، كذلك تجـردوا في دراستهم لشخصية الرسول الكريم ولم يمنعهم بقاؤهم على ملتهم من قول الحـق فـي هـذه الشخصية العظيمة التي أثرت على مجرى التاريخ وأحداثه، فتتوالى شهادات الإنصاف في نبوته حتى عصرنا هذا.وهو ما ستتناوله الباحثة في هذا الفصل.

المبحث الأول: الإنصاف في حقيقة الوحي والإلهام

المطلب الأول: مفهوم الوحي والإلهام

أولاً: مفهوم الوحي لغة واصطلاحاً:

الوحي لغةً: "الكتاب وجمعه وحي مثل حَلْي وحُلِيّ وهو أيضا الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك يقال وحى إليه الكلام يحيه وحيا و أوحى أيضا وهو أن يكلمه بكلام يخفيه و وحى و أوحى أيضا أي كتب وأوحى الله إلى أنبيائه وأوحى أشار قال الله تعالى:﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ ﴾ [سورة مريم: آية١١] [(١)].

ونستدل من المعنى اللغوي للوحي بأنه إعلام بخفاء لمن وُجه إليه، بحيث لا يطلع عليه غيره.

وجاء في لسان العرب أيضاً: "سمي وحيا لأن الملك أسره على الخلق وخص به النبي ﷺ المبعوث إليه، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [سورة المائدة: آية١١١]. قال بعضهم: ألهمتهم، كما قال عز وجل:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [سورة النحل: آية٦٨]، وقال بعضهم: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ أمرتهم ومثله: وحى لها القرار فاستقرت أي أمرها، وقال بعضهم في قوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ أتيتهم في الوحي إليك بالبراهين والآيات التي استدلوا بها على الإيمان فآمنوا بي وبك. وقال الله عز وجل:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [سورة القصص: آية٧] الوحي ههنا إلقاء الله في قلبها، وما بعد هذا يدل على أنه وحي من الله على جهة الإعلام للضمان لها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة القصص: آية٧]. وقيل: إن معنى الوحي ههنا الإلهام، وجائز أن يلقي الله في قلبها أنه مردود

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط١، ج١٥ص٣٧٩، دار صادر_بيروت. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**، ج١ص٢٩٧، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت،(١٤١٥هـ_١٩٩٥م).

إليها وأنه يكون مرسلا، ولكن الإعلام أبين في معنى الوحي ههنا: وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا. وقال الله عز وجل:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [سورة الشورى: آية٥١] معناه إلا أن يوحي إليه وحيا فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه، إما إلهاما أو رؤيا، وإما أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على موسى، أو قرآنا يتلى عليه كما أنزله على سيدنا محمد ﷺ، وكل هذا إعلام، وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها"(١).

نخلص مما سبق إلى أنّ الوحي جاء بمعنى الأمر والإعلام من الله عز وجل لمن اختص من عباده بحمل رسالته، ويكون هذا الإعلام في خفاء وهو موافق قول المولى عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [سورة الشورى:٥١]، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر يلقى في روع الإنسان.

الوحي اصطلاحاً: "هو إعلام الله تعالى نبيه بحكم شرعي ونحوه، بواسطة أو بغير واسطة"(٢).

وهذا الحكم الشرعي أو العلم الذي يعلمه الله لنبيه سواء كان بواسطة أو بغير واسطة لا يمكن أن يحصله الإنسان لا بعقله ولا بحسه(٣).

ثانياً: مفهوم الإلهام لغةً واصطلاحاً

الإلهام لغةً: " ما يلقى في الروع. ويستلهم الله الرشاد، وألهم الله فلانا. الإلهام أن يلقي الله في النفس أمرا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده(٤).

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٥ص٣٨٠_٣٨١. مرجع سابق.

(٢) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط٥، ج٢ص١١٦٩، إشراف وتخطيط مانع بن حمّاد الجهني، الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(٣) الكردي، راجح عبد الحميد: **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، ط٢، الكتاب الثالث: أصل المعرفة طرقها وأنواعها،ص٢٢٩، دار الفرقان_عمان،(٢٠٠٣).

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢ص٥٥٥. مرجع سابق.

الإلهام اصطلاحاً: "ما يُلقى في الرّوع بطريق الفيض(١)، وقيل ما وقع في القلب من علم"(٢).

يتبين مما سبق أنّ الإلهام شعور يجده الشخص في نفسه ولا يترتب عليه حكم، فتنساق النفس إليه إما بتركه أو بفعله.

ثالثاً: الفرق بين الوحي والإلهام

ومن خلال ما تقدم تخلص الباحثة إلى أنّ هناك فرقاً بين الوحي والإلهام فالوحي: هو إعلام من الله تعالى بواسطة جبريل ﷺ لمن اختاره رسولاً ونبيا لتبليغ رسالته وأمور شريعته لأقوامهم، وبالتالي فهو أمر حقيقي خارج عن النفس لا صلة له بالإرادة البشرية.

أما الإلهام فهو أمر نفسي، وقد يحدث لغير نبي أو رسول من البشر ولا يترتب عليه أمر شرعي، إذ هو عمل نفسي محض.

وقد ذهب إميل درمنغم إلى التفريق بين الوحي والإلهام قائلاً: "إنّ هنالك فرقاً بين وحي الأنبياء الذي يُسْفر عن تبليغ رسالة أو نصوص شريعة أو أوامر قاطعة وإلهام الأولياء النفسي الذي تفيض عنه الحياة الباطنية المتحولة"(٣).

المطلب الثاني: الوحي في الإسلام

بعد توضيح مفهوم كل من الوحي والإلهام وبيان الفرق بينهما من المعاجم اللغوية، وهذا ما أدركه المنصفون للإسلام ولوحيه، فالوحي في الإسلام له مكانته ودلالته وأنواعه فهو الروح الأمين والوسيط بين رب العزة والنبي المرسل المكلف بإيصال الرسالة للنبي الذي اختاره الله للناس مبشراً ونذيرا، وفي ذلك يقول ناصر الدين دينيه: "إنّ الملك جبريل الذي رآه الرسول ﷺ

---

(١) الفيض لغة: فاض يفيض: يقال فاض الماء فيضاً، وفيوضاً، وفيضاناً: كثر حتى سال، فهو فائض وفياض. ويقال: فاض النهر، وفاض السيل والإناء: امتلأ حتى طفح.(**المعجم الوسيط**، ج٢ص٧١٩، مادة فاض). (ويطلق الفيض في اصطلاح الفلاسفة على فعل فاعل يفعل دائماً لا لِعِوض، ولا لغرض، وذلك الفاعل لا يكون إلا دائم الوجود، لأنّ دوام صدور الفعل عنه تابع لدوام وجوده، وهو المبدأ الفياض والواجب الوجود، الذي يفيض عنه كل شيء فيضاً ضرورياً معقولاً. وهو كما قال ابن سينا: "فاعل الكل، بمعنى أنه الموجود الذي يفيض عنه كل وجود فيضاً مبايناً لذاته" النجاة، ص٤٥٠). جميل،صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج٢ص١٧٢، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت_لبنان،(١٩٨٢).

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي(٧٤٠_٨١٦ه): **التعريفات**، ط١، ج١ص٥١، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي_ بيروت،(١٤٠٥).

(٣) إميل درمنغم، **حياة محمد**، ص٢٤٨. مرجع سابق.

في غار حراء إنما هو الملك جبريل الذي ظهر للنبي دانيال، ولمريم أم عيسى عليه السلام ولكنه عند المسلمين لا يمت بصلة من شبه إلى الملاك الذي تصوره لنا رسوم الكنيسة الأوربية في شكل غلام بأجنحة مختلف ألوانها، ذي خدود وردية، وشعر ذهبي مموج. إنّ جبريل في نظر المسلمين هو الروح أو الناموس،... أما الوحي – وهذا الملك هو الوسيط الرمزي له – فإنما هو التجلي الإلهي له، ويجب أن نعتبره أسمى درجة تصل إليها تلك القوة الخفية التي نسميها الإلهام، وهي بالبداهة خارجة عن محيط الفرد، لأنها مستقلة عن إرادته تمام الاستقلال"(١).

فالملك جبريل عليه السلام الذي نزل على النبي ﷺ هو الروح أو الناموس الذي تنزل على الأنبياء من قبل، ووكل إليه أمر تبليغهم أوامر وحكم الله تعالى التي أخفيت عمن سواهم من الناس، وهو أعلى درجة في الوحي من الإلهام إذ يترتب عليه حكم شرعي لأنه لا يكون إلا لنبي مرسل.

وفي حديثه عن الوحي في الإسلام يقول فيليب حتي: "الإسلام يَشْرَكُ اليهودية والنصرانية في مدرك الوحي، ولكن على وجه آخر. إنّ الحافز على مدرك الحاجة إلى الوحي إنما هو شعور الإنسان بفقد الاطمئنان في نفسه ثمّ بالعجز عن أن يصارع مشكلات الحياة المحيطة به مع الرغبة في طلب الهداية والعون من مصدر سامٍ"(٢).

والحقيقة أن فيليب قد أصاب بقوله إنّ الإسلام يشرك اليهودية والنصرانية في مدرك الوحي، لأنّها جميعاً شرائع سماوية من عند الله منزلة على من اصطفاهم الله من بني البشر رسلاً وأنبياء، فكان لا بد من وجود الوحي الذي ينقل الرسالة من السماوات العلا التي هي مصدر الوحي ويهبط بها لمتلقيها وهو النبي أو الرسول، أما قوله بأن مدرك الحاجة إلى الوحي إنما هو شعور الإنسان بفقد الاطمئنان في نفسه فهو قول قد جانب فيه الصواب؛ فلو سلمنا بقوله هذا لأصبح هناك وحي في كل مجتمع وكل زمان يفقد الإنسان فيه الاطمئنان، وقد سبق الذكر بأنّ الوحي أمر خارج عن إرادة الإنسان والظروف الناشئة من حوله، على عكس الإلهام الذي هو شعور نفسي.

ويتابع فيليب حديثه عن الوحي قائلاً: "...الوحي في الإسلام إلقاء أو إملاء. إنّ الكلمات التي يتألف منها الوحي(في الإسلام) هي كلام الله. والوحي (في الإسلام) يقال له "التنزيل"_أي

---

(١) دينيه، **محمد رسول الله**، ص١١١_١١٢. مرجع سابق.

(٢) فيليب حتي، **الإسلام منهج حياة**، ص١٨. مرجع سابق.

أنّ الوحي الذي هو كلام الله يُنَزّلُ من السماء حيث كان منذ الأزل في اللوح المحفوظ. والوحي في الإسلام يقتضي متلقياً له في الأرض يختاره الله ليلقي إليه الله بما يشاء من الحكمة والأحكام. وحينما يُلقي الله بهذا الوحي إلى المتلقي فقد أصبح هذا المتلقي "رسولاً" لتبليغ رسالات ربه، فإذا هو رسول الله. وعلى هذا فإنّ الله قد بعث على رأس فترة من هذه الفترات محمداً"(١).

وعلى هذا فقد توصل فيليب إلى أنّ الوحي إلقاء وإملاء وهو ما أشرت إليه في مفهوم الوحي لغةً، الذي هو كلام الله الموجود منذ الأزل في اللوح المحفوظ، الذي يستدعي أن يكون هناك متلقٍ في الأرض يصطفيه الله ليكون المبلغ للناس رسالة ربهم بما فيها من أحكام وتشريعات، الذي تمثل في شخص محمد ﷺ رسول الإسلام، كما تمثل في الأنبياء من قبله رسل أقوامهم في ذاك الزمان من عهد آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام.

وبانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى انقطع الوحي بكلّ أشكاله بما فيها الإلقاء والإملاء لأنه ﷺ كان آخر الرسل وخاتم الأنبياء، ورسالته آخر الرسالات السماوية وبذلك انقطع الوحي إذ اكتملت الشرائع، وهو ما توصل إليه فيليب قائلاً: "ولكن لما لحقّ محمد [رسول الله] بالرفيق الأعلى سدّ ذلك الباب الذي كان محمد ﷺ يتلقى منه التشريع الإلهي سداً إلى الأبد. ثمّ ما كان ينبغي لنبي أن يأتي بعده"(٢).

فبمحمد ﷺ ختمت سلسلة النبوة الشريفة وكمل البناء الذي شرعت به الأنبياء ليكون النبي هو الذي يضع آخر لبنة في البناء الشريف وبذلك أغلق باب النبوات وانقطع الوحي إلى الأبد.

---

(١) فيليب حتي، **الإسلام منهج حياة**، ص١٨_١٩. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص٩٦. مرجع سابق.

المبحث الثاني: نبوة سيدنا محمدﷺ

المطلب الأول: محمد ﷺ قبل البعثة

لم يذكر التاريخ رجلاً اجتمعت فيه الفضائل وأشاد بأخلاقه الناس، ومدحه الأعــداء قبــل الأصدقاء مثل محمدﷺ ، فقد نشأ الرسول ﷺ بعيدا عن عبث الجاهلية وعاداتها وتقاليدها، فكــان حسن الخلق شديد الحياء، وكان أصدق الناس حديثا، وقد عرف بأمانته وصدقه حتى أطلق عليه الصادق الأمين، وقد شارك في حلف الفضول(١) وحرب الفجار (٢) لأنهما كانا قائمين على نصرة المظلوم ورد الظالم، الامر الذي يجعلهما منسجمين مع أخلاقه الكريمة.

وقد أمنه العرب على أثمن ما يملكونه وأقدس ما عندهم في الوجود "الحجــر الأســود" عندما أعادوا بناء الكعبة، ولم يبق إلا موضع الحجر الأسود حيث احتدم الخــلاف حــول مــن يشرّف بوضعه، إلى أن تعلقت أبصارهم واشرأبت أعناقهم على أول وافد عليهم فيحكمونه بينهم، وما هي إلا لحظات قليلة وإذ تعلو الأصوات جاء الأمين جاء الأمين فهاهو أبو القاسم يشير فتقبل مشورته، فيحقن الدماء ويحسم الخلاف ويداه الشريفتان لا غير تضعان الحجر في ركنه(٣).

ويتحدث توماس كارليل عن صفات النبي وسجاياه قائلاً: "أنه كان شاباً مفكّراً، وقد ســمّاه رفقاؤه الأمين. رجل الصدق والوفاء. الصدق في أفعاله، وأقواله، وأفكاره. وقد لحظوا أنه مــا [مِكلمة](٤) تخرج من فِيْهِ، إلا وفيها حكمة بليغة. وإني لأعرف عنه أنه كثير الــصمت، يــسكت حيث لا موجب للكلام. فإذا نطق، فما شئت من لُبّ وفضل، وإخلاص وحكمة. لا يتناول غرضاً

---

(١) "تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبــد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً مــن أهلهــا وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك حلف الفضول".(ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: **السيرة النبوية**، ط٢، ج١ص٩١، دار الفجر للتراث_القاهرة،(١٤٢٥هــ_٢٠٠٤م).

(٢) "وكان النبي ﷺ قد بلغ من العمر أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة عندما هاجت حــرب الفجــار بــين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان، وكان الذي هاجها أنّ عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن، أجار لطيمة للنعمان بن المنذر، فقال لــه البراض بن قيس أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم، وعلــى الخلق، فخرج فيها عروة الرحال، وخرج البراض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعاليــة، غفل عروة، فوثب عليه البراض، فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سمي: الفجار، وكان الرسول فيها ينبــل على أعمامه".(ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١ص١٢٣). مرجع سابق.

(٣) انظر تفاصيل القصة: ابن هشام، **السيرة النبوية**،ج١ص١٢٩_١٣٠. مرجع سابق.

(٤) هكذا وردت في النص.

فيتركه إلا وقد أنار شبهته، وكشف ظلمته، وأبان حجته، واستثار دفينته. وهكذا يكون الكـــلام، وإلا فلا! وقد رأيناه طول حياته، رجلا راسخ المبدأ، صارم العزم، بعيد الهمّ، كريماً براً، رءوفاً تقيّاً، فاضلاً حراً. رجلا شديد الجدّ مخلصاً"(١).

هكذا عُرف ﷺ بالصدق والأمانة والإخلاص، لم يعرف الهزل واللهو والعبث، فقــد نــشأ يتيما، وعانى إضافة لليتم شظف العيش فأخذ يكسب قوته بيده، لم يذكر أنه تلقى القراءة والكتابة أو أي علم من العلوم على يد أحد، وإن برع في التجارة وعمل فيها لا سيما في تجارة الــسيدة خديجة قبل زواجه منها، ولم يعرف عنه أنه ﷺ شايع مذهبا أو نحلة من المذاهب والنحل التـــي شاعت في عصره، أو أنه تردد على دور من دور العبادة اللهم إلا ذاك الوقت الذي كان يجتزئه من العام ليخلو بروحه مفكرا متدبراً في غار حراء، فلم تتلوث فطرته ولم يتعكر نقاء ســريرته بعبادة ما كان يعبد قومه، فكان يأخذ نفسه بعيداً عما يعبد القوم وفي ذلك دلالة على أنـــه ﷺ لـــم يكن على دين قومه.

وينفي توماس كارليل عن محمد ﷺ أي صلة بينه وبين أحد يمكن أن يتلقى منه أي وجـــه من وجوه العلوم حتى وإن كانت مبادئ القراءة والكتابة، فيقول في ذلك: "ثم لا ننسى شيئا آخر، وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ قط، وكانت صناعة الخط حديثة العهــد إذ ذاك فـــي بـــلاد العرب. ويظهر لي أن الحقيقة: هي أنّ محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلمه هـــو عيشة الصحراء وأحوالها، وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينيه، ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية...ولم يقتبس محمد من نور أي إنسان آخر، ولم يغترف من مناهـــل غيره. ولم يكُ في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء- أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهاديـــة في ظلمات الدهور- من كان بين محمد وبينه أدنى صلة، وإنما نشأ وعاش وحده فـــي أحـــشاء الصحراء، ونما هناك وحده بين الطبيعة، وبين أفكاره"(٢).

ولحكمة جليلة نشأ ﷺ هذه النشأة ليعنى به عناية تليـــق بمهمـــة تنـــوء بحملهـــا الجبـــال الراسخات، لكنّ تلك المهمة ما كانت في فكره ولا بخاطره، وما كان يدرك أو يتنبأ أنه وهو في سنه هذه سيختاره الله ويصطفيه ليصبح نبياً ورسولا، وهو ما يشير إليه ناصر الدين دينيه قائلاً:

---

(١) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص٦٥_٦٦. مرجع سابق.

(٢) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص٦٥_٦٦. مرجع سابق.

"حقيقة إنّه، في خلوته، كان يتأمل، ولكنه لم يكن يقدّر؛ ولقد استمر كذلك إلى أن حـــان الموعـــد الذي حددته العناية الإلهية لتتجلى، عن طريق من اختارته رسولاً"(١).

إذ لو كانت نبوة النبي ﷺ من تقديره وتدبيره ما الذي جعله يتأخر في الإعلان عنها كـــل هذا الوقت؟!

المطلب الثاني: بعثة النبي ﷺ

بعد أن أتم سيدنا إبراهيم بناء الكعبة مع ولده إسماعيل ما كان منه إلا أن دعا الله عز وجل أن يبعث لهذه الأمة رسولا منهم يخرجهم من الظلمات إلى النور حيث قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة: آية١٢٩].

وروي عنه ﷺ عندما سئل عن بدء أمر نبوته أنه قال: "دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام"(٢).

لقد هيأ الله عز وجل الناس عند قرب بعثة سيد الخلق أجمعين وإمام المهتدين حيث قال في كتابه الحكيم على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [ســــــورة الصف: آية٦].

من البداية قدم محمد ﷺ نفسه على أنه مبلغ عن ربه يوحى إليه فهو نبي الله لهذه الأمـــة، ورسول الإسلام الحنيف مثله مثل إبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء _عليهم السلام_، وما

---

(١) دينيه، **محمد رسول الله**، ص١٠٨. مرجع سابق.

(٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني توفي(٢٤١ه): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط١، ج٢٨ ص١٧١٥٠، تحقيق شعيب الأرنؤوط،عادل مرشد وآخرون، إشراف عبد الله بـــن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،(١٤٢١هــ_٢٠٠١م). قال الألباني صحيح: ابن حجر، أحمد بـــن علي العسقلاني: **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة ومعه تخريج الألباني للمـــشكاة**، ط١، ج٥، ص٢٦١، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن القيم_الدمام،(١٤٢٢ه). وقال عنه الإمام الهيثمي: إسناده حسن وله شواهد تقوية: الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائـــد ومنبـــع الفوائد**، ج٨،ص٢٢٥، مؤسسة المعارف،(١٤٠٦هــ).

سيأتي به ما هو إلا من عند الله، وما كان يطلب جاهاً ولا مالاً ولا مُلكاً أو سلطة، إن هو إلا نبيّ كلف بتبليغ الرسالة، وتأدية الأمانة للبشرية جمعاء، ويتحدث الدكتور نظمي لوقا المسيحي المخلص لمسيحيته عن نبوة النبي بتجرد وعقلانية، وينصف نبوته وكأنه يذر الرماد في عيون أولئك الذين يسعون جاهدين للتشكيك والقدح في شخصية الرسول الكريم كنبي مرسل فيقول: "وهنا وقف الفتى الذي درج إلى الشباب وقفة لم يكن منها مناص: إن تكن هذه الأديان صحيحة، فبأي حجة وبأي مقياس يمكن الطعن في صدق رسالة محمد؟ ما من نبيّ حمل إلينا توكيلاً موثقاً بأنه ينطق بلسان الوحي. وإنما كانت آيته صدق ما أتانا به.. وأما المعجزات فلا حجية لها إلا لمن شهد شهود العيان.. وبيننا وبين ذلك أجيال وأجيال. فتتبقى بعد هذه الآيات المغايرة الآية الكبرى التي لا يثبت بغيرها صدق، ولا يغني عن غيابها ألف دليل مغاير، مهما بلغت درجته من الإعجاز. وهذه الآية الكبرى هي صدق الكلمة من حيث هي. فإنّ الحقيقة آية نفسها، تحمل برهانها في مضمونها، فيطمئن إليها العقل ويبدو ما يباينها هزيلاً واضح البطلان. إنّ موقف الناس من الوحي واحد أيّاً كانت الرسالة الموحى بها والرسول المخبر عنها: لم يطلب أحد من رسول قبل محمد برهاناً عيانياً على وحيه كي يطالب به محمد. فمن اعترف بوحي السماء إلى رسول من البشر، لزمته الحجة ألا ينكر نزول الوحي على محمد من حيث المبدأ. فوجه الامتناع هنا غير قائم بمبرر نزيه"(١).

فهذا دليل عقلي لمن يطالب بدليل على نبوة سيدنا محمد ﷺ، ومن يعترف بدين موسى وعيسى_عليهما السلام_ ويقر نبوتهما وغيرهما من الأنبياء والرسل، لزمته الحجة على تقديم الدليل الدامغ على نكران دعوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته، ويقيم دعواه في اتهام شخص النبي بالكذب والادعاء.

فهذا نظمي لوقا يقدم دليلاً عقلياً على نبوة سيدنا محمد ﷺ، إلا أنّ أستاذ اللاهوت إبراهيم خليل يقدم لنا الأدلة من الكتاب المقدس على نبوة سيدنا محمد ﷺ فيقول: "جاء في (سفر التثنية) وهو الكتاب الخامس من كتب التوراة(أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) توقفت أولاً عند كلمة (إخوتهم). وتساءلت:هل المقصود هنا من بني إسرائيل؟ لو كان كذلك لقال"من أنفسهم" أما وقد قال (من وسط إخوتهم) فالمراد بها أبناء

---

(١) لوقا، نظمي: **محمد الرسالة والرسول**، ط٢، ص٤٧_٤٨، الموسوعة الإسلامية الكبرى، تقديم كمال الدين حسين، دار الكتب الحديثة، القاهرة(١٩٥٩أغسطس).

العمومة، ففي سفر التثنية إصحاح ٢ عدد ٤ يقول الله لسيدنا موسى ﷺ: (أنتم مـــارون بـــنجم إخوتكم بني عيسو...) و (عيسو) هذا الذي نقول عنه في الإسلام (العيس) هو شقيق يعقوب ﷺ، فأبناؤه أبناء عمومة لبني إسرائيل، ومع ذلك قال (إخوتكم) وكـــذلك أبنـــاء (إســـحاق) وأبنـــاء (إسماعيل) هم أبناء عمومة، لأنّ إسحاق، (شقيق) (إسماعيل) عليهما السلام ومن (إسحاق) سلالة بني إسرائيل، ومن (إسماعيل) كان (قيدار) ومن سلالته كان سيدنا محمد ﷺ، وهذا الفرع الـــذي أراد بنو إسرائيل إسقاطه وهو الذي أكدته التوراة حين قالت(مـــن وســـط إخـــوتهم) أي أبنـــاء عمومتهم. وتوقفت بعد ذلك عند لفظة (مثلك) ووضعت الأنبياء الثلاثة: موسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام للمقابلة فوجدت أنّ عيسى ﷺ مختلف تمام الاختلاف عن موسى وعـــن محمد عليهما الصلاة والسلام،... أما موسى ﷺ فكان عبد الله، وموسى كان رجلاً، وكان نبيّاً، ومات ميتة طبيعية ودفن في قبر كباقي الناس وكذلك سيدنا محمدﷺ، وإذاً فالتماثل إنما ينطبـــق على محمدﷺ، بينما تتأكد المغايرة بين المسيح وموسى، – عليهما الـــسلام–، ووفقـــاً للعقيـــدة النصرانية ذاتها! فإذا مضينا إلى بقية العبارة: (وأجعل كلامي في فمه..) ثم بحثنا في حياة محمد ﷺ فوجدناه أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، ثم لم يلبث أن نطق بالقرآن الكريم المعجزة فجأة يوم أن بلغ الأربعين.."(١).

فهذا الدليل قدمه إبراهيم خليل من التوراة، ويقدم لنا دليلاً آخر من الإنجيـــل قـــائلاً: "إذا استثنينا نبوءات برنابا الواضحة والصريحة ببعثة محمد ﷺ بالاسم، وذلك لعدم اعتراف الكنيسة بهذا الإنجيل أصلاً، فإنّ المسيح ﷺ تنبأ في إنجيل يوحنا تسع نبوءات، و (البرقليط) الذي بشر به يوحنا مرات عديدة...هذه الكلمة لها خمسة معانٍ: المُعَزّي، والشفيع، والمحامي، والمحمـــد، والمحمود، وأي من هذه المعاني ينطبق على سيدنا رسول الله ﷺ تمام الانطباق فهـــو المعـــزّي المواسي للجماعة التي على الإيمان وعلى الحق من بعد الـــضياع والهبـــوط، وهـــو المحـــامي والمدافع عن عيسى ابن مريم ﷺ وعن كل الأنبياء والرسل بعدما شـــوه اليهـــود والنـــصارى صورتهم وحرفوا ما أتوا به وهو الإسلام..."(٢).

فما سبق دليل من أدلة، يضعها قس سابق، وجدها في الكتاب المقدس الذي طالما درســـه ودرسه للناس ودعا للإيمان به، نصوص من الكتاب الذي كان يتلوه في صلاته كشفت له وجـــه

---

(١) لوبلا، **الإنجيل قادني إلى الإسلام**، ص١٣٠. مرجع سابق.

(٢) لوبلا، **الإنجيل قادني إلى الإسلام**، ص١٣١. مرجع سابق.

الحقيقة وقادته للنبي الذي بشر به من سبقه من الأنبياء فما كان من الرجل إلا أن يقبل على هذا الدين فيقر به وبنبيه ويدرك أنه نبي ولا كذب فيقدم هذا الدليل لعله يكون سبباً في هداية غيره كما كان سبباً في هدايته، وقد صدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾ [سورة الصف: آية٦].

هذان دليلان من رؤوس النصرانية وقسيسيها أحدهما عقلي لمن لا يرضى إلا بالعقل محكماً وقاضياً والآخر من الكتاب المقدس لمن يدعي أنّ الكتاب المقدس لم يأت على ذكر نبوة سيدنا محمد ﷺ، وسواء أُخذ بهذا الدليل أو ذاك فكلاهما موجه لمن يطعن في صدق نبوة أشرف الخلق أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين.

يستدل الدكتور عبد الأحد داود: "فإنّ النبوءة الأخرى المنسوبة إلى موسى هي، وعلى أية حال، تساعد كثيراً عندما تتحدث عن "نور الله، القادم من فاران" وهو قفار مكة"(١).

وهنا يدلل الدكتور عبد الأحد داود على أنّه ليست نبوءة واحدة تتحدث عن النبي محمد ﷺ والمكان الذي سيخرج منه، بل تعددت النبوءات في ذلك، ويتابع عبد الأحد القول: "ولكنه تلألأ بالمجد من فاران حيث وجب أن يظهر مع عشرة آلاف قديس. ويحمل بيده اليمنى شريعة لهم. ولم تكن لأي واحد من الإسرائيليين. بما فيهم المسيح. أي علاقة بفاران. فإنّ هاجر مع ولدها إسماعيل تجولا في متاهات بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك في قفار فاران"(٢).

وبهذا يؤكد عبد الأحد داود على أن النبي القادم ليس له علاقة بالإسرائيليين لأنه خرج من بلاد فاران و (فاران) كما ترجمها تعني مكة، وأن الله ﷻ سيُظهر نور ملكه من هذه القفار ليملأ الأرض نورا ورحمة.

ثم يقول: " فمحمد هو من نسل إسماعيل وبنيه من قيدار(عدنان) الذي استقر في قفار (فاران)، (فمحمد) هو النبي الوحيد الذي تقبل العرب عن طريقه (الوحي الإلهي) عندما كان الظلام يلف الأرض، ومن خلاله شعشع النور الإلهي في (فاران). ومكة هي البلد الوحيد التي تمجد الرب في بيته"(٣).

(١) داود، **محمد في الكتاب المقدس**،ص٣١. مرجع سابق.

(٢) داود، **محمد في الكتاب المقدس**، ص٣٢. مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص٣٣. مرجع سابق.

ويقدم لنا الكتاب المقدس دليلاً آخراً ليس فقط عن نبوءة سيدنا محمد ﷺ وحسب، ولكنه يؤكد على المكان الذي سيخرج منه هذا النبي العظيم، وكذلك السلالة التي سيخرج منها، كما أشار إلى أن البلد الوحيد التي كانت تقام فيها الشعائر في بيت الله هي مكة، وإن كانت هذه الشعائر فيها ضرب من الوثنية والإشراك لاعتقادهم بأن الأصنام التي يتوجهون إليه بالعبادة تقربهم من الله ﷻ، فمكة لها من المكانة والرفعة في نفوس القوم ومعتقداتهم ما جعلهم يطمئنون إلى أنّ لها رباً سيدفع عنها هجوم أبرهة الأشرم.

وأتباع الإسلام مع شدة تعظيمهم وتوقيرهم لنبيهم؛ إلا إنهم لا يخرجونه عن إطار النبوة، فلم يرتفعوا به إلى مصاف الإلوهية كما فعلت النصارى بعيسى ﷺ، ولم ينزلوا به إلى مستوى الانحراف والشذوذ كما فعل بنو إسرائيل بأنبيائهم، وعن نظرة المسلمين لنبيهم يتحدث توماس كارليل قائلا: "ننتقل الآن من تلك العصور الخشنة – عصور الوثنية الشمالية – إلى دين آخر في أمة أخرى – دين الإسلام، في أمة العرب. وما هي إلا نقلة بعيدة، وبوْنٌ شاسع. بل أي رفعة وارتقاء نراه هنا، في أحوال العالم العامة وأفكاره؟! في هذا الطور الجديد، لم يرَ الناس في بطلهم إلهاً، بل رسولا بوحي من الإله"[(١)].

وعلى هذا الأساس قدم النبي نفسه على أنه نبي الإسلام ورسوله من الله كما أقر بذلك الأديب الروسي تولستوي[(٢)] إذ يقول: "إنّ محمداً هو مؤسس الإسلامية ورسولها"[(٣)].

---

(١) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص٣٥. مرجع سابق.

(٢) ولد ليو تولستوي عام ١٨٢٨ في مقاطعة تولا جنوب موسكو وكان ذا نسب رفيع اذ كان ابناً للكونت نيكولاس تولستوي والأميرة ماريا فولكوستي، أهمل تحصيله العلمي بسبب انغماسه في الحياة الإجتماعية، وانخرط في الجيش حيث انضم إلى الفرقة الروسية القوقازية في القتال ضد قبائل السهول التتارية، انصب اهتمامه على المدارس واعتنى بشكل خاص بمشكلة تعليم أولئك الذين فاتتهم فرصة التعليم، كانت الثلاثون سنة الأخيرة من حياته مليئة بالقلق المتزايد، فقد كان يبحث عن أجوبة لمشاكل البشرية فقد كان يرغب في مساعدة الفقير والضعيف، كما أعلن الثورة على العنف والحرب، وعلى رياء الرجال المحيطين به، ولم تقبل الكنيسة آراء تولستوي التي انتشرت في سرعة كبيرة، فكفرته وأبعدته عنها وأعلنت حرمانه من رعايتها. وأعجب بآرائه عدد كبير من الناس وكانوا يزورونه في مقره بعد أن عاش حياة المزارعين البسطاء تاركًا عائلته الثرية المترفة. وهو كفيلسوف أخلاقي اعتنق أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف وتبلور ذلك في كتاب " مملكة الرب بداخلك " وهو العمل الذي أثر على مشاهير القرن العشرين مثل المهاتما غاندي ومارتن لوثر في جهادهما الذي اتسم بسياسة المقاومة السلمية النابذة للعنف، من آثاره: "الحرب والسلم" و "أنّا كارنينا" و "البعث". (الموسوعة، مج١٩ ص٣٤٥٠. (http://ar.wikipedia.org

(٣) ليو تولستوي: **حِكم النبي محمد**، نافذة على الغرب(١)، ط١، ص٤١، دراسة وتقديم محمود النجيري، مكتبة النافذة،(٢٠٠٨).

وتجلت مهمة هذا النبي الكريم بالدعوة للإله الواحد حسب ما أوحي إليه واصطفاه الله لذلك، في وقت انتشرت به عبادة الأرباب الكثيرة كما تحدث عن ذلك تولستوي قائلاً: "إنّ العرب المعاصرين لمحمد عبدوا أرباباً كثيرة، وبالغوا في التقرب إليها واسترضائها، فأقاموا لها أنواع التعبد، وقدّموا لها الضحايا المختلفة، ومنها الضحايا البشرية. ومع تقدم محمد في السن كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب، وأنّ ديانة قومه ديانة كاذبة، وأنّ هناك إلهاً واحداً حقيقياً لجميع الشعوب. وقد ازداد هذا الاعتقاد في نفس محمد حتى قام في نفسه أن يدعو أمته ومواطنيه إلى الاعتقاد باعتقاده الراسخ في فؤاده. وقد دفعه عامل داخلي إلى أنّ الله اصطفاه لإرشاد أمته، وعهد إليه هدم ديانتهم الكاذبة، وإنارة أبصارهم بنور الحق. فأخذ من ذلك ينادي باسم الواحد الأحد بحسب ما أوحي إليه، ومقتضى اعتقاده الراسخ"(١).

والحقيقة أنّ نهوض النبي ﷺ بمهمة دعوة قومه وتكليفه بتبليغ الرسالة لم تكن عاملاً داخلياً من تلقاء نفسه، لا سيما أنه ﷺ منذ نشأته وهو يستنكر عبادة قومه ويعتزلها، إلا أنه لم يطالبهم بتغييرها والتوجه بدلا عن ذلك لعبادة الواحد الأحد إلا عندما كُلف بذلك من الله عن طريق الوحي الذي تراءى له في الغار، فاختياره كنبي مرسل ليس مجرد شعور خالجه أو تبادر لذهنه وإنما كان ذلك واقعاً ملموساً شهده مما جعله يرجع لزوجه مرتجفاً يقص عليها ما رأى وسمع وقد أخذ الخوف منه كل مأخذ.

وما حدث له ﷺ في غار حراء والحالة التي رجع فيها إلى زوجه من خوف وذعر ينفي أنه كان شعورا داخليا يخالجه أو دعوى يدعيه بأنه نبي مرسل، وهو الذي عرف بصدقه وأمانته فهل يعقل أن يكذب بمثل هذا؟!.

فكانت نبوته مصداقا لصدقه السابق، والكاذب تفصح عن كذبه أفعاله، وإن دلس وكذب بأقواله، ويستنكر توماس كارليل اتهام النبي بالكذب فتحت عنوان من أكبر العار القول بأنّ محمداً ﷺ كذاب يقول: "لقد أصبح من أكبر العار، على أي فردٍ متمدن من أبناء هذا العصر، أن يُصغي إلى ما يُظن من أنّ دين الإسلام كذب، وأنّ محمداً خدّاع مزور. وآن لنا أن نحارب ما يُشاع مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإنّ الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير، مدة اثني عشر قرناً، لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا. أفكان أحدكم يظن: أنّ هذه الرسالة التي عاش بها، ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر

---

(١) تولستوي: **حِكم النبي محمد**، ص٤١_٤٢. مرجع سابق.

والإحصار. أكذوبة وخُدعة؟!...وهل رأيتم قط_معشر الإخوان_ أنّ رجلاً كاذباً، يستطيع أن يُوجِد دينا وينشره؟! إنّ الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتا من الطوب! فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير، والجصّ، والتراب، وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه ببيت. وإنما هو تلٌّ من الأنقاض، وكثيب من أخلاط المواد. نعم! وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً. يسكنه مائتا مليون من الأنفس. ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم؛ فكأنه لم يكن!"[١].

إنّ أحوال الأفاكين والكذابين سرعان ما تنكشف للناس، وتفضح أفعالهم حقائقهم ولا يسترها الزمن، وإن طال، فيعريهم التاريخ وينفر منهم الناس، لا أن يلتفوا حولهم ويخلدوا ذكراهم، ومحمد ﷺ الذي عرف حتى من قبل بعثته بالصادق الأمين أيعقل أن يصبح بين عشية وضحاها كذاباً ومزوراً؟ _حاشا لله_ وهو الذي يحارب الكذب والخداع بكل ما أوتي من قوة، وهل خلد التاريخ أفاكا وكذابا تبعه الملايين من البشر، وانتشر نور رسالته ليعم الأرض، فتستمر دعوته حتى من بعد موته وتصبح أقواله وأفعاله شرعة ومنهاجا، إنّ من يقف لحظة واحدة أمام هذا كله بتجرد ويصغي لنداء العقل يدرك ما أدركه المستشرق مارسيل ويتوصل للنتيجة التي مفادها: "استطعنا أن نستخلص أنه لا بد أن يكون محمد الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنساناً فوق مستوى البشر حقاً، وأنه لا بد أن يكون نبياً حقيقياً من أنبياء الله"[٢].

وهي النتيجة ذاتها التي استنتجها المستشرق روم لاندو ويدحض فكرة أن يكون محمد ﷺ يمت للخداع والكذب والتلفيق بصلة، لأنّ ما حققه من انجازات يتنافى عقلياً مع أفعال الكذابين والدجالين فيقول في ذلك: "إنّ الإخلاص الذي تكشّف عنه محمد ﷺ في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل في ما أنزل عليه من وحي، واختيار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد ﷺ بأيما ضرب من الخداع المتعمّد. ولم يعرف التاريخ قط أيّ تلفيق"ديني" متعمد – حتى ولو كان صاحبه دجالاً عبقرياً – استطاع أن يعمّر طويلاً. والإسلام لم يعمّر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمئة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب، في كل عام، أتباعاً جدداً. وصفحات التاريخ لا تقدّم إلينا مثلاً واحداً على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطورات العالم، وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً"[٣].

---

(١) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص٣٥. مرجع سابق.

(٢) مارسيل، **إنسانية الإسلام**، ص٤٦. مرجع سابق.

(٣) لاندو، **الإسلام والعرب**، ص٣٣_٣٤. مرجع سابق.

شخصيات مختلفة العلوم والمناهج والأساليب، إلا أنهم يتوصلون لنتيجة واحدة مفادها أنّ محمداً ﷺ نبي لا كذب ولا خداع، يجري الله الحق على ألسنتهم فيسطرون هذه الشهادة فيكونوا بذلك حجة على أبناء جلدتهم وغيرهم ممن يتنكر لهذه النبوة، غير أنه من الجدير الانتباه إليه هو أنّ الخداع المتعمد وغير المتعمد أبعد ما يكون عن شخص الرسول الكريم حتى في أموره الشخصية الدنيوية فضلاً عن أمور الرسالة، والخداع صفة ذميمة يرفضها كريم الطباع، فكيف بنبي مرسل؟!

هذا بالإضافة أنّ ربه قد توعده في محكم تنزيله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الحاقة: ٤٤-٤٧]، فلو _حاشاه_ تقوّل أو كذب أو أخفى أو زاد عما أوحى إليه ربه، لأخذه بالقوة والقدرة.

ويتحدث هانس كونج[(١)] بكلمات معبرة عن شخصية الرسول ﷺ وعن أثره في التاريخ ودوره كنبي ورسول، وأنّ الدين الذي جاء به ﷺ إنما منبعه هو ذاته منبع الديانات الأخرى، فيقول في ذلك: "لا شك أنّ محمداً ﷺ شخصية تاريخية عظيمة أثرت على مجرى الأمور في العالم تأثيراً جذرياً فقد استطاع أن يعطي العرب ديناً غير دينهم القديم ويجعل هذا الدين الجديد متحداً مع الدين اليهودي والمسيحي في أمور كثيرة بدءاً من فكرة الإيمان بالله (التوحيد) وانتهاءً ببعض العبادات المتشابهة. إنّ ظهور محمد ﷺ يثبت استمرارية في عدم استمرارية، أي أنّ هناك ديانات مختلفة متوالية (عدم الاستمرارية) ولكنها تأخذ من نفس المنبع (استمرارية) ولا

---

(١) هانس كونج مدير معهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية التابعة لجامعة توبنجن بجنوب غرب ألمانيا الاتحادية. ولد في عام ١٩٢٨ في بلدة سورزيه بسويسرا. والتحق بالجامعه البابوية جريجوريانا بروما ودرس فيها الفلسفة والعلوم اللاهوتية، نصي قسّاً في سنة ١٩٥٤م بالكنيسة الكاثوليكية. التحق بجامعة السوربون بباريس ودرس بالمعهد الكاثوليكي حتى حصل على درجة الدكتوراه وعمل بعد ذلك أباً روحياً بالكنيسة المركزية في بلدة لوزان بسويسرا، ثم عين أستاذاً بجامعة توبنجن لمادة أصول الدين المسيحي. وفي عام ١٩٦٢م عينه البابا يوحنا الثالث والعشرون مستشاراً رسمياً بمجلس الكنيسة الأعلى. وقع خلافاً بينه وبين البابا بروما انتهى بسحب اعتراف الكنيسة بصلاحية الأستاذ لتمثيل الكنيسة والإشراف على الطلاب لتخريجهم قساوسة كاثوليك. وكذلك إلغاء كرسي الأستاذية الخاص به. وقد جاء هذا القرار الكنسي نتيجة لتصريحات من الأستاذ كونج رفض فيها الاعتراف بما يسمى عصمة البابا من الخطأ، وقرر أنه لا يتميز عن سائر البشر حتى بعد اختياره من مجلس الكنيسة الأعلى وتنصيبه باباً للكنيسة، تبنت حكومة (بادن فرتنبرج)التي تتبعها جامعة توبنجن الإنفاق على كرسي الأستاذية الخاص به وكذلك على المعهد الذي يديره بالجامعة. من مؤلفاته: "الكنيسة" صدر سنة ١٩٦٧ و "أن تكون مسيحياً" صدر سنة ١٩٤٧و "هل الله موجود" صدر سنة ١٩٧٨. هانس كونج، جوزيف فان إس: **التوحيد والنبوة والقرآن حوار المسيحية والإسلام**، ط١، ص١٣_١٤، محمد الشاهد، دراسة تحليلية نقدية، المؤسسة الجامعية للدراسات،(١٤١٤هـ_١٩٩٤م).

تأتي بشيء جديد خلقته من العدم... من المعروف أن هناك العديد من الديانات التي لا تعــرف الأنبياء مثل الهندوسية والديانات الصينية والبوذية على خلاف اليهودية والمــسيحية والإســلام. وإذا كان هناك نبي يسمى "النبي" (معرفاً بالألف واللام) فإنه هو محمد ﷺ كما قال هو ذلك عن نفسه"[(١)].

فقد جاءت نبوة النبي ﷺ مجددةً ومتممة للشرائع السماوية السابقة كما قال ﷺ: "إنّ مثلــي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاويــة فجعــل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللّبنــة وأنــا خــاتم النبيين"[(٢)].، جاءت في استمرارية لأنها آخر الرسالات وخاتمة النبوات في الوقت الذي كانت به الشرائع السابقة وقتية غير استمرارية لأنها مخصوصة بجيل وزمان معينين، ومنذ البدء أعلــن محمد بن عبد الله أنه نبي هذه الأمة وخاتم الأنبياء والمرسلين، ويتساءل هانس كونج: ولكن هل هو كذلك فعلاً؟ ويجيب قائلاً: "سأعبر عن رأيي باختصار وأذكر أنّ كل مــسيحي أو يهــودي حقيقي يتقصى هذا الأمر لا بد له أن يسلم بصحة بعض النقاط (أو الأدلة) الآتية:

– مثل أنبياء بني إسرائيل لم يستمد محمد ﷺ قوته من جماعة أو سلطة حكومية ولكن كان يستمدها عن طريق علاقة شخصية بالله.

– مثل أنبياء إسرائيل كان محمد ﷺ شخصية ذات إرادة قوية، رأى فــي نفــسه رســولاً مختاراً مكلفاً برسالة من الله يبلغها للناس.

– مثل أنبياء إسرائيل جاء محمد ﷺ برسالته أثناء محنة (فوضى) دينية واجتماعية وكــان يقف وحده بكل قوة وصلاح وإصرار على تبليغ رسالته (دعوته) ضد قوة معارضة مسيطرة لها تقاليد تتمسك بها ولا تريد تركها...كل من ينظر في التوراة والكتاب المقدس والقرآن، يجد أنهم جاءوا من منبع واحد، وخاصة التوراة والقرآن ففيهما أمور كثيرة متطابقــة تمامــاً ألــيس إذن الاعتراف بأنبياء إسرائيل وإنكار نبوة محمد حكماً جدلياً خاطئاً؟"[(٣)].

---

(١) هانس كونج، جوزيف فان إس: **التوحيد والنبوة والقرآن حوار المسيحية والإسلام**، ص٣٠. مرجع سابق.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، ص٤١٨، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، حديث رقم٣٥٣٥. مسلم، **صحيح مسلم**، ص٥٩٢، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، حديث رقم٢٢٨٦.

(٣) هانس كونج، جوزيف فان إس: **التوحيد والنبوة والقرآن حوار المسيحية والإسلام**، ص٣٠_٣١. مرجــع سابق.

يحاول هانس كونج في دليله الأول توضيح أن النبي الكريم مثله مثل أنبياء بني إسرائيل، لكن تراه ماذا قصد بعلاقة شخصية، إنّ القوة التي استمدها النبي ﷺ إنما هي قوة النبوة عن طريق الوحي، لأنّ العلاقة الشخصية قد تفسر بتفاسير عدة على فهم اليهود والمسيحية، فصلة النبي بالله إنما هي صلة أي نبي مكلف أن يبلغ رسالة ربه.

وأما دليله الثاني فيبين فيه أنّ محمداً صاحب إرادة قوية، رأى نفسه رسولاً مختاراً مكلفاً بأداء رسالة من الله، والحقيقة في ذلك أنّ النبي ﷺ عند أول نزول الوحي عليه في الغار إنما هرع إلى أهله فزعاً خائفاً مرتجفاً، وما عرف بأنه نبي مكلف بأداء رسالة من الله إلا بعد إخبار الوحي له بذلك، إذ لو كانت الإرادة القوية هي المحور في ذلك لكان كل صاحب شخصية فذة وإرادة قوية مؤهلاً لذلك، لكنها إرادة الله في اختيار الأنبياء والرسل إذ يقول تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة الزخرف: آية٣٢].

وأما حديثه بأنّ النبي ﷺ جاء برسالته أثناء فوضى ومحنة دينية، وأنّ تبليغ رسالته كان ضد قوة معارضة مسيطرة، فيرد على هذا القول أنّ الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ إنما جاءت متممة لشرائع سابقة ومصححة لما طال هذه الشرائع من التحريف والتبديل، وأن هذه الشرائع قد بشرت بقدوم هذا النبي الكريم، وأنّ دعوته ﷺ لم تكن ضد قوة معارضة، وإنما جاءت لرد الناس للاعتقاد الصحيح.

نعم، لقد استمدّ محمد ﷺ قوته في إصراره على تبليغ رسالته ودعوته للناس من صدقها. فهذه الرسالة هي وحي السماء إليه، وثقته ويقينه بأنّ الله الذي أرسله ما كان له أن يخذله، وهو ما يفسر تحمله ﷺ لكلّ الصعاب والمشاق بل التهديدات حول شخصه الكريم، وهو ما أشار إليه

اللورد هيدلي[١] قائلاً: "فكل صفات الصبر والثبات في عصره كانت تُرى أثناء الثلاث عشرة سنة التي تألمها في مجاهداته الأولى بمكة، ولم يشعر في كل زمن هذا الجهاد بأي تزعزع في الثقة بالله، وأتم كل واجباته بشمم وحمية. كان ﷺ مثابراً، ولا يخشى أعداءه لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله، ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه"[٢].

وأنى له ﷺ أن يخشى أحداً وهو يعلم أنّ هذه الرسالة هي الخاتمة وإن هلك هلكت، كيف له أن يخشى على نفسه ودعوته وقد طمأنه الله تعالى بأنه سيعصمه من الناس حيث قال في محكم تنزيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة المائدة: آية ٦٧]. كما أمره أن يصدع بدعوته غير مبالٍ بما سيلقاه من إعراض وتكذيب فقد قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الحجر: آية٩٤].

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: "أي بلّغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك"[٣].

وقبول وتصديق الأنبياء من قبله والإقرار برسالاتهم وبكتبهم، يفرض علينا من قبيل العقل والمنطق تصديق نبوته ورسالته، والجدل فيها بعد كل البينات التي جاء بها إنما هو من قبيل الجدل العقيم المذموم، لا من قبل البحث عن الحقيقة والتحري عنها.

---

(١) رولاند ألانسون_وين، خامس بارون هيدلي، ولد في لندن عام١٨٥٥ وتوفي فيها عام١٩٣٥، درس في جامعة كامبريدج وتخرج منها مهندساً وعمل في بناء الطرقات في الهند، كانت تراوده شكوك كثيرة منذ شبابه حول ديانته، إذ كان يرى المسيح ليس إلهاً لكنه رسول بشري، وعندما التحق بالجيش البريطاني أهداه صديق له نسخة مترجمة لمعاني القرآن الكريم، فأحس بأنه وجد مبتغاه ففكرة الإلوهية كما يصورها القرآن الكريم تتوافق مع فطرته السليمة، وفي عام١٩١٣ أعلن إسلامه على الملأ في حفل للجمعية الإسلامية في لندن، وتسمى بعد إسلامه رحمة الله فاروق وقد أسس في عام ١٩١٤م الجمعية الإسلامية البريطانية وظل لسنوات يدافع عن الإسلام ويدعو إليه عبر مقالات كثيرة، من مؤلفاته: "إيقاظ الغرب للإسلام" و"رجل غربي يصحو فيعتنق الإسلام". http://ar.wikipedia.org

(٢) محمود، عبد الحليم: **أوروبا والإسلام**، ص٥٢، المكتبة العصرية، صيدا_بيروت.

(٣) القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج١٠ص٥١. مرجع سابق.

المبحث الثالث: القرآن الكريم معجزة النبي الخالدة

نشأ رسول الله ﷺ في بيئة عربية تتقن اللغة العربية وفنونها إلا أنه لم يكن على اطــلاع بمبادئ القراءة والكتابة ولحكمة جليلة وغاية شريفة ينشأ النبي ﷺ أميّاً غير قــارئ ولا كاتــب، وهو في زمن لا يخفى فيه أصحاب القراءة والكتابة على أحد، وأمية النبي ﷺ تبلغ من الأهمية ما تبلغ لرجل أخذ بألباب الفصحاء بمعجزة كانت وما زالت آية في البلاغة والبيان وهــو مــا ستتناوله الباحثة في هذا المبحث.

المطلب الأول: أمية الرسول ﷺ

منذ اللحظة الأولى يؤكد القرآن الكريم على أمية النبي ﷺ وينفي عنه أي صلة بــالقراءة والكتابة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: آية٤٨].

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: "وأنت أميّ ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط لو كان شيء من ذلك، أي، من التلاوة والخط ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به. أو لارتاب مشركو مكة وقالوا: لعله تعلمه أو كتبه بيده. فإن قلت: لم سماهم مبطلين، ولو لم يكن أمّياً وقالوا: ليس بالذي نجده فــي كتبنــا لكانوا صادقين محقين ؟ ولكان أهل مكة أيضاً على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب ؟ قلت: سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أميّ بعيد من الريب، فكأنه قال: هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أمّياً لارتابوا أشدّ الريب،... فإن قلت: ما فائدة قولــه: ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط: زيادة تصوير لما نفــى عنه من كونه كاتباً"(١).

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ت٥٣٨: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويــل في وجوه التأويل**، تحقيق عبد الــرزاق المهــدي، ج٣ص٤٦٢_٤٦٣، دار إحيــاء التــراث العربــي، بيروت_لبنان.

ويقـــول تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٥٧].

﴿ٱلْأُمِّيَّ ﴾ إما نسبة إلى الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب وهم العرب، أو نسبة إلى الأم والمعنى أنه باق على حالته التي ولد عليها لا يكتب ولا يقرأ المكتوب(١).

ووصف الأمّيّ إنما هو وصف خاص بالرسول محمد ﷺ حيث لم يرد أنّ الله ﷻ بعث أو وصف نبياً أمياً آخر غير نبينا ﷺ (٢).

بل إنّ الرسول ﷺ يعلن عدم صلته بالقراءة والكتابة وينفي عن نفسه علمه بهما بقوله في صريح العبارة: "إنّا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسب. الشهر هكذا وهكذا"(٣).

وحديثه المشهور عندما جاءه الملك في غار حراء فقال له: "اقرأ فقال له النّبيّ ﷺ: "فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: مـا أنـا بقـارئ فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجَهد ثمّ أرسلني فقال: اقرأ فقلتُ: ما أنا بقـارئ فأخـذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجَهد ثم أرسلني..."(٤).

فأي فائدة قد يجنيها شخص ينكر معرفته بالقراءة والكتابة أو أن يخفي ذلك لا سيما فـي مجتمع كمجتمع مكة في ذاك الزمان، فهل كان من الممكن للنبي ﷺ أن يخفي ذلك عمن حوله؟! ولو كان النبي قارئاً أو كاتباً أما كان من الأولى أن تكون هذه حجة المشركين الأوائل في الطعن بدعوته ورسالته؟! لكن ذلك لم يحدث بل إنّ المشركين لعلمهم بأميته كان ردهم كما جـاء فـي كتاب الله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [سورة الفرقـان: آية رقم٥].

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرايـة مـن علـم التفسير**، ج٢ص٢٥٢، دار الفكر، بيروت. القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٧ص٢٤٠. مرجع سابق.

(٢) رضا، **تفسير المنار**، ج٩ص١٩١. بتصرف. مرجع سابق.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: "لا نكتب ولا نحسب"، حـديث رقـم١٩١٣، ص٢١٦.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التعبير، باب أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيّا الـصّالحة، حديث رقم٦٩٨٢، ص٨١٣.

فقد زعم المشركون أنّ هذا القرآن ما هو إلا قصص وخرافات الأمم السابقة، طلب محمد ﷺ أن تُكتب له وتُقرأ عليه في الصباح والمساء ليحفظها، ولأنهم يعلمون أميته ﷺ وحتى لا يعرف الناس كذبهم قالوا: ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أي طلب أن تُكتب له[١].

وعدم دراية الرسول ﷺ بالقراءة والكتابة ما زالت قضية يتباحثها ويناقشها الكثيرون ولا سيما المستشرقون، فهي قضية من القضايا التي لفتت انتباههم وتناولوها بالبحث والدراسة، فإن كان هناك من بينهم من شكك في أمية الرسول ﷺ، وأرادوا إثبات القراءة والكتابة لشخصه الكريم ليطعنوا ويشككوا في كون القرآن الكريم من عند الله، فينسبوه تأليفاً وترتيباً للرسول ﷺ، فإنّ قوماً أنار الله عقولهم وأنطق ألسنتهم وأقلامهم لتنطق بالحق فيشهدوا شهادة يتحقق فيها القول: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾[سورة يوسف: آية ٢٦].

يقول توماس كارليل تحت عنوان "محمد ﷺ لم يعلمه بشر": "ثم لا ننسى شيئاً آخر، وهو أنه لم يتلقَ دروساً على أستاذ قط، وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب. ويظهر لي أنّ الحقيقة: هي أنّ محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلمه هو عيشة الصحراء وأحوالها، وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينيه، ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية"[٢].

نعم، فالنبي ﷺ شهد له أهل الجزيرة العربية ضمنيا بعدم القراءة والكتابة فلم نسمع أو نشهد أحداً منهم يحاججه بذلك، فمن كان على معرفة بالكتابة والقراءة كان يشار له بالبنان، ولا يخفى علمه على أحد.

وهذا أيضاً ما ذهب إليه الكونت هنري: "لأن محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مراراً نبياً أمياً وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس لأنّ حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان على أنّ القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار"[٣].

---

(١) الصابوني، **التفسير الواضح الميسّر**، ص٨٨٨. قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ط٧، ج٦ ص١٤٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان،(١٣٩١هـ_١٩٧١م). بتصرف.

(٢) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص٦٣. مرجع سابق.

(٣) كاستري، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص١٥_١٦. مرجع سابق.

وهو ما ذهب إليه علي بن ربّن الطبري[١] وأنّ ما جاء به النبي ﷺ من البلاغة والفصاحة على الرغم من أميته لهو آية من الله، إذ يقول في ذلك: "فأما النبي ﷺ، فلم يكن كذلك، بل أمّـــي أبطحيٌّ لم يسمع مصريّ ولا رومي ولا هنديّ ولا فارسيّ، ولا اختلف إلى مجالس الأدب لطلب أدب وقراءة كتاب، وجاء بكلام بهر أهل اللغة وغمر أهل الفصاحة والسلاطة، وخــضعت لـــه رقاب الأمة،...يحتجُّ علماء أهل الذمة بأنّ النبيّ ﷺ كان أمّياً وأنّ الله لا يبخل على أنبيائه برسم الكتابة إذ كان أحسن ما اختصّهم به وأقلّ ما علّمهم غيبه وآياته، والجواب فيـــه أنّ الله تعـــالى خصّ كلاً منهم بما رأى جل وعزّ"[٢].

وأمية النبيّ ﷺ ليست من باب النقص والعيب ولا تقدح في صفاته ﷺ وإنما هي في حقـــه ميزة، وقد أرادها الله لحكمة جليلة وغاية عظيمة وآية من آيات الله وحجة على من كفر وعاند، وفي ذلك يقول علي بن ربّن: "وكذلك النبيّ ﷺ لم يشنْه أنه أميّ...، بل جعل الله ذلك آية بـــاهرة وحجة على من كفر به من قومه إذ كان قد صحّ عند الأمم وأهل الذمّة أنه لم يجيء بهذا القرآن بفضل بيان أو حكمة أرضية... فالأمّية التي عابه بها أهل الذمة غير مزرية به ولا عاتبة بـــل حجةٌ وبرهانٌ منير. فلو جاء بمثل هذا الكتاب الذي قد وصفته رجل أديب خطيب لكان كذلك آية من الآيات، فكيف إذا جاء به رجل بدوي أميٌّ. فإنّ ذلك يشهد له أنّ الله أنطقـــه وروح القـــدس سدّده له وأعانه عليه"[٣].

---

(١) هو العالم المسلم أبو الحسن علي بن ربّن الطبري، ولد في مرو من أعمال طبرستان سنة(٧٨٠م_١٦٤هـ) أو سنة(٧٧٠م_١٥٣هـ) وهو ينحدر من أسرة فارسية مسيحية، لكنه اعتنق الإسلام على يد المعتـــصم، ولقب ربّن يعني الأستاذ الجليل، وربان، كان مستعملاً عند المسيحيين مطابقاً للفظ أستاذ عندنا، كان والده عالماً بارعاً في الطب والهندسة، والتنجيم، والرياضيات، والفلسفة، ويقال أنه أول مـــن تـــرجم كتـــاب المجسطي لبطليموس. وقد تلقى أبو الحسن دراسته الأولى على والده الذي علمـــه الطـــب والهندســـة، والفلسفة، إلى جانب اللغتين العربية والسريانية. وبعد وفاة والده تعمق في دراسة الطب وأصـــبح طبيبـــاً مشهوراً. وقد مارس الطب في مدينة الري، ثم ذهب إلى العراق وحيث صار كاتباً للخلفـــاء المعتـــصم والواثق والمتوكل. من مؤلفاته: "فردوس الحكمة" وهي موسوعة طبية تطرق فيها لجميع فروع الطـــب إضافة إلى بحوث في الفلسفة وعلم النفس والحيوان، والفلك، والظواهر الجوية. طبع هذا الكتاب في الهند عام ١٩٢٨، ثم طبع في عام ١٩٩٦م ونشر في اطار جامعة فرانكفورت الألمانية. ولـــه كتـــاب"تحفـــة الملوك" وكتاب "الدين والدولة" الذي يدافع فيه عن الإسلام، وله أيضاً "الرد على أنـــصاف النـــصارى". http://ar.wikipedia.org

(٢) الطبري، علي بن ربّن: **الدّين والدّولة في إثبات نبوّة النبي محمدﷺ**، حققه وقـــدّم لـــه عـــادل نـــويَهض، ص١٠٤، دار الآفاق الجديدة_بيروت.

(٣) الطبري، **الدّين والدّولة في إثبات نبوّة النبي محمدﷺ**، ص١٠٦_١٠٧. مرجع سابق.

وهذا النبي ﷺ لم يمنعه عدم تمكنه من القراءة والكتابة من أن يهدي للإنسانية أعظم معجزة وأبلغ آية، لتأتي شهادة رجل نصراني معاصر منضمة لتلك الشهادات السابقة حول أمية النبي الكريم فتدفع افتراء المفترين وتعزز المسلم بدينه ونبيه، إذ يقول في ذلك نصري سلهب: "إنّ محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. فإذا بهذا الأمي يهدي الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية منذ كانت الإنسانية ذاك القرآن الكريم، الكتاب الذي أنزله الله على رسوله هدى للمتقين"(١).

إنها شهادة حق أجراها الله على لسان رجل نصراني، نطق بها لينصف بها نبياً طالما نالت من شخصه الكريم أقلام الطاعنين وشبهات القادحين لتكون حجة عليهم إذ هي أدعى لردهم ولا سيما أنها تخرج من أفواه أبناء جلدتهم وديانتهم.

المطلب الثاني: القرآن الكريم كلام الله

ما من نبي أرسله الله ﷻ إلا أمده بآية من آياته العظام، وسدد خطاه وثبته بمعجزة تكون له حجة على قومه، معجزة ينظرها القوم حقيقة واقعة يدركونها ويتحسسونها فيعجزوا أن يأتوا بمثلها أو أن يحاكوا ولو جزءاً من حقيقتها وبرهانها مهما احتشدوا وجاهدوا لذلك.

إلا أنّ معجزات الأنبياء الذين سبقوا النبي الكريم كانت معجزات حسية؛ اختصت بالقوم الذين أرسل لهم ذلك النبي أو ذاك الرسول وزمانهم، إلا معجزة الرسول ﷺ التي استمدت خلودها واستمراريتها من استمرار الدين الذي جاءت حجة له وآية لنبيه، فكما سبق الذكر في الفصل الأول، بأنّ دين الإسلام الحنيف دين عالمي صالح لكل زمان ومكان، فكان لا بد إذن من أن تكون معجزته أيضاً عالمية وصالحة لكل وقت وحين.

وجاء القرآن الكريم ليكون المعجزة الخالدة، وآية من آيات التحدي التي تحدى الله ﷻ بها الجن والأنس على أن يأتوا بمثله ولكنهم عجزوا وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[سورة الإسراء:٨٨]، ثم جاء التحدي الآخر على أن يأتوا بعشر سور من مثله قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟

(١) سلهب، **لقاء المسيحية والإسلام**، ص٩٤.مرجع سابق.

بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة هود: آية١٣]، وبعد أن عجزوا عن الإتيان بعشر سورٍ تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثل هذا الكتاب الكريم فيقول تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣]، لكنه كلام الله فأنى لبشر، ناهيك عن شخص أمـي لا يقرأ ولا يكتب، أن يأتي بمثل هذا القرآن وقد عجز عن ذلك أصحاب البلاغة والفصاحة، وهـل يعقل أن يأتي به النبي الكريم وبه من الإعجاز وترتيب الأحداث والأخبار عن كثير من الأمور ما كان المؤرخون على معرفة ودراية بها، وهذا ما نفاه قطعاً ناصر الدين دينيه وهو أن يكـون القرآن من عند غير الله إذ يقول: "كلا... إنّ هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد، وإنـه لا مناص من الاعتراف بأنّ الله العلي القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات. إنّ الرسول لم يكن مخادعاً، حين قال: "إنّ الله هو الذي أنزل القرآن". لقد كان يؤمن كل الإيمان بمصدره الإلهـي فالنوبات الهائلة التي كانت تنتابه عند مجيء الوحي حاملاً إليه ما لم يكن يعلمه، في لغة جديـدة كل الجدة بالنسبة له تختلف كثيراً عن لغته المألوفة...هذا الوحي الذي يعاتبه إن أخطأ، ويلزمـه بحفظ تلك الآيات دون أن يقدر على المقاومة... هذا الوحي، خلال تلك النوبات، لم يكن ليتـرك لديه أدنى شك في المصدر الإلهي في القرآن"(١).

فغياب الرسول ﷺ في تلك اللحظة التي يتجلى فيها الوحي على قلبه عمـن حولـه فـي الوجود، ليفيق وقد انبثق لسانه بآيات تحمل من الأحكام والأخبار، وقد طبعت في قلبـه وكأنهـا جزء لا يتجزأ منه فلا يخطئ أو يتلعثم بها لسانه لدلالة واضحة على عدم علمه المـسبق فيهـا وأنها من لدن حكيم خبير، ووجود أنباء تتصف باليقين ما بين دفتي القرآن الكريم هو مـا دفـع المستشرقة لورا فيشا نفي أن يكون القرآن من عمل أو تأليف محمد ﷺ إذ تقول فـي ذلـك: "إنّ معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة، من خلالـه، أنباء تتصف بيقين مطلق. إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته. إنّ كلاً من تعبيراته شامل جامع،...

---

(١) دينيه، **محمد رسول الله**، ص١٣٨. مرجع سابق.

فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد، وهو العربي الأميّ الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين أو ثلاث أبيات، لا ينمّ أيّ منها عن أدنى موهبة شعرية؟"(١).

إنّ وجود الحقائق العلمية بين دفتي القرآن الكريم هي التي أثارت دهشة واهتمام موريس بوكاي، قبل اعتناق الإسلام، فكيف لكتاب ينسبه البعض لمحمد ﷺ الأميّ أن يأتي بمثل هذه الحقائق العلمية، فها هو بوكاي ينفي كون هذا القرآن من تأليف محمد ﷺ قائلاً: "كيف يمكن لإنسان – كان في بداية أمره أمياً – ثم أصبح عن ذلك سيد الأدب العربي على الإطلاق، أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه على أقل خطأ من هذه الوجهة"(٢).

إنّ هذه الحقائق العلمية التي توصل إليها العلم الحديث لهي أكبر برهان على أنّ هذا القرآن إن هو إلا كلام العليم الخبير، وهو معجزة النبي الكريم الذي عجز أرباب البلاغة والفصاحة عن مجاراته، ليكون بذلك شهادة صدق وإنصاف يقر بها من جانب التحيز والمغالاة في أحكامه وآرائه، بل تقوده للإذعان والتسليم لهذا الدين تماما كما حصل مع موريس بوكاي.

ويعترف مونتغمري وات بصريح العبارة قائلاً: "إنّ القرآن الكريم ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإنّ محمداً ليس أكثر من "رسول" اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولاً ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين، وهناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة. وقد تأكد ذلك عملياً بانتشار الإسلام في العالم كله، وقَبِله بشر من كل الأجناس تقريباً"(٣).

إنّ دخول الإسلام من قبل أناس مختلفين في المذهب والمنشأ لدليل على عالمية الدعوة وأنها للناس كافة ولم تكن مقتصرة على العرب بل إنها لم تكن مقتصرة على الجنس البشري فحسب بل توجهت في خطابه أيضاً للجن، إذ هناك ما يدل على عرض النبي ﷺ القرآن على نفر

---

(١) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص٥٦_٥٧. مرجع سابق.

(٢) بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، ص٢٠٧. مرجع سابق.

(٣) وات، مونتغمري: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر. نقلاً عن: عمارة، محمد: **الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العقلاء**، ط١، ص١٦٢، دار الشروق_القاهرة،(١٤٢٥هـ_٢٠٠٥م).

من الجن أثناء عودته من الطائف فآمن هؤلاء به إذ يقول تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجن١-٢].

وإذا كان القرآن الكريم من كلام البشر ألفه النبي ﷺ مدعياً أنه من عند الله، لكان بإمكان رجل واحد أن يدحض الدعوة ويقيم الحجة على النبي ﷺ ويثبت أنّ هذا القرآن ليس وحياً من عند الله، وهذا الرجل هو أبو لهب، إذ إنّ سورة المسد من المعجزات التي تدل على أنّ القرآن الكريم وحي من عند الله وليس كلام بشر وهو ما استدل به الدكتور جاري ميلر[(١)]: "وقبل ١٠سنوات من وفاة أبي لهب نزلت سورة في القرآن اسمها سورة المسد، هذه السورة تقرر أنّ أبا لهب سوف يذهب إلى النار، أي بمعنى آخر أنّ أبا لهب لن يدخل الإسلام. وخلال عشر سنوات كاملة كل ما كان على أبي لهب أن يفعله هو أن يأتي أمام الناس ويقول "محمد يقول إني لن أسلم وسوف أدخل النار ولكني أعلن الآن أني أريد أن أدخل في الإسلام وأصبح مسلماً!! الآن ما رأيكم هل محمد صادق فيما يقول أم لا؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي إلهي؟... لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات كاملة!! لم يسلم ولم يتظاهر حتى بالإسلام!! عشر سنوات كانت لديه الفرصة أن يهدم الإسلام بدقيقة واحدة! ولكن لأنّ الكلام هذا ليس كلام محمد ﷺ ولكنه وحي ممن يعلم الغيب ويعلم أنّ أبا لهب لن يسلم"[(٢)].

فهل هناك أدل وأوضح من هذا المثال على أنّ القرآن الكريم إن هو إلا وحي من عند الله، إذ لو كان غير ذلك لنطق أبو لهب بالشهادتين ونقض دعوى أنه من عند الله من اللحظة الأولى لسماعه هذه الآيات الكريمة، لكن تلك القرون الخالية التي مضت على نزول القرآن لم يستطع إنسان في الوجود أن يسجل خطأ واحداً في القرآن، فما أكثر الأخطاء التي تكشف في الكتب التي يقوم بتأليفها البشر على الرغم من المرات العديدة التي تعاد فيها المراجعات والتدقيقات لهذه الكتب!.

وهل كان بإمكان النبي ﷺ أن يؤلف القرآن الكريم ويرتبه متوقعاً ما سيحدث من أحداث في المستقبل القريب منه والبعيد ويتنبأ أسئلة وأمور سيسأله ويستفسر عنها القوم فيعد الإجابة

---

(١) جاري ميلر عالم رياضيات ومنصر سابق. (عبد الفتاح، محمد عبد الحليم: **إظهار الحق قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم**، ص١٦، دار الكتاب العربي، دمشق_القاهرة).

(٢) لوبلا، **الإنجيل قادني إلى الإسلام**، ص١٧٨_١٧٩. مصدر سابق.

مسبقاً، إنّ هذا ما لا يقبله عقل أو منطق، وتحت عنوان محمد لم يؤلف القرآن يرد ناصر الدين دينيه على من يرى من المستشرقين بأنّ محمد ﷺ هو الذي قام بتأليف القرآن أثناء خلوته قائلاً: "حقاً إنه ليدهشني أن يرى بعض المستشرقين: أنّ محمداً قد انتهز فرصة الخلوة هـذه فـروى ورتب عمله المستقبل. بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فوسوس بأنّ محمداً ألف في تلك الفترة القرآن كله. أحقاً لم يلاحظوا أنّ هذا الكتاب الإلهي خال من أية خطة سابقة على وجوده، مرسومة على نسق المناهج الإنسانية، وأنّ كل سورة من سوره منفصلة عن غيرها، وخاصـة بحادثة وقعت، بعد الرسالة، طيلة فترة تزيد على عشرين عاماً، وأنه كان من المـستحيل علـى محمد أن يتوقع ذلك ويتنبأ به؟"(١).

أو ليس انقطاع نزول الوحي أحياناً على النبي الكريم ليجيب عن بعض الاستفسارات مما كان يثير قلق النبي ﷺ دلالة واضحة على مصدره الإلهي، إذ لو كان هو مؤلف القرآن الكـريم ومرتبه أما كان من الأولى أن يدفع التهمة عن زوجه في حادثة الإفك حين تناقلها الناس دون أن يستطيع الرد ولو بكلمة واحدة ليضع حدا لهذه الاتهامات منتظراً أن ينزل الله ﷻ براءتها إلى أن نزل قوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [سورة النور: آية١١].

ويشير إليه المستشرق إميل درمنغم في نفيه أن يكون هذا القرآن من تأليف النبـي ﷺ إذ يقول: "وكان محمد، وهو البعيد من إنشاء القرآن وتأليفه، ينتظر نزول الوحي إليه أحياناً علـى غير جدوى، وهذا ما كان يؤلمه... فكان يودُّ لو يأتيه جبريل متواتراً"(٢).

ثم إذا كان القرآن الكريم من كلام النبي ﷺ لماذا تأخر كل هذه الفترة من الزمن ليجهر به ويعلنه على الملأ؟! أما كان الأولى به أن يظهره في مقتبل شبابه؟، ثم لماذا لم يعلنه إلا في هذه المرحلة من حياته بالذات؟! بل إنّ البداية كانت أيضاً سرية بين أعداد قليلة ممن يتمتـع بالثقـة والمقدرة على كتمان الأمر.

أليس بقاء القرآن على الحالة التي أنزل بها منذ البداية رغم تتابع السنين، وعدم تغيير أي نص أو حرف فيه، إذ لم تطله يد التحريف والتبديل أو ليس دليلاً آخراً وبرهاناً ساطعاً على أنه ليس بقول بشر؟!، وهو ما تعلنه لورا فيشا فتقول: "ولا يزال لدينا برهان آخـر علـى مـصدر

---

(١) دينيه، **محمد رسول الله**، ص١٠٨. مرجع سابق.

(٢) درمنغم، **حياة محمد**، ص٢٤٨. مرجع سابق.

القرآن الإلهي في هذه الحقيقة، وهي أنّ نصّه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا"[(١)].

فإذا كنا نسلّم بأن تلك الرسالات السماوية السابقة لها كتبها الخاصة بها مثل التوراة والإنجيل، ومع وجود الأخطاء البينة فيها ومع ذلك نعتقد بأصلها الإلهي، ويصر أصحاب تلك الكتب رغم ما بها من تناقض وغموض بل وتحريف بأنها وحي من الله، فكان لزاماً أن نقر أيضاً بأنّ القرآن وحي من الله نقل إلينا بطريقة التواتر، غير أنّ ما يميزه عن تلك الكتب أنه المعجزة الخالدة وخاتم الكتب السماوية وهو ما أقر به أرفنج قائلاً: "نزل القرآن، وهو أساس عقيدة الإسلام، من وقت إلى آخر تبعاً لمقتضيات الظروف والأحوال. ولم ينسب محمد القرآن إلى نفسه، بل هو تنزيل من الله، وكلماته هي كلمات الله. فقد كان الله يبعث رسله وكتبه دائماً كما جاء في القرآن: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[سورة المائدة: آية٤٨]، كانت التوراة يوماً ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه. حتى إذا ظهر المسيح اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حلّ القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل. حوى القرآن كل شيء، وحوى جميع القوانين، إذ أنه خاتم الكتب السماوية، كما كان محمد خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعوا الناس إلى عبادة الله"[(٢)].

وبما أنّ القرآن خاتم الكتب السماوية ومعجزة خالدة لنبي هو آخر سلسلة النبوة، فقد تكفل الله بحفظ هذا الكتاب، إذ لا وحي بعد نبوة محمد ﷺ يصحح أي تحريف أو تبديل، فكان لزاماً أن يكون هذا القرآن خالياً من أي نقص أو عيب وذلك لا يكون إلا بقدرة عظيمة وهي قدرة الله الذي كفلته وحفظته إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[سورة الحجر: آية٩].

---

(١) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص٥٨. مرجع سابق.

(٢) أرفنج، **حياة محمد**، ص٧٢. مرجع سابق.

المبحث الرابع: زواج الرسول ﷺ

القضية التي دائما ما تثار حول شخصية الرسول ﷺ هي تعدد زوجاته، فإذا ما ذكر هذا الموضوع ترى المتعصبين غرباً وشرقاً يدلون بدلائهم من غير تروٍ ولا عقلانية، فيهيئ الله لهذا النبي الكريم من يذود عنه، ويشهد شهادة حق يسجلها التاريخ، فتُلجم أقلاماً وأفواهاً ما نطقت إلا باطلاً، تلجمها الحقيقة الساطعة، وكان لا بد قبل الحديث عن زواج الرسول وتعدد زوجاته وشهادة المستشرقين ومسلمة أهل الكتاب في هذه القضية من إلقاء الضوء على تعدد الزوجات قبل الإسلام في عجالة، وهو ما ستتناوله الباحثة في المطلب التالي.

المطلب الأول: تعدد الزوجات قبل الإسلام

أولاً: تعدد الزوجات عند اليهودية

لم تكن شريعة الإسلام هي الشريعة الأولى التي تبيح تعدد الزوجات، بل كان للشرائع السابقة السبق في إباحة تعدد الزوجات، فهناك نصوص في أسفار العهد القديم تصرح بأنّ سليمان عليه السلام قد جمع بين ألف امرأة، ولا يوجد في العهد القديم نص يمنع من تعدد الزوجات، أو حتى يوجب الاكتفاء بزوجة واحدة(١).

فأنبياء بني إسرائيل تزوجوا بأكثر من زوجة واحدة وهو ما أشار إليه هانس كونج قائلاً: "إنّ أنبياء إسرائيل مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب كانوا متزوجين بأكثر من امرأة واحدة"(٢).

وهذا ما يقر به أحمد سوسة صراحة إذ يقول: "ينبغي أن لا ننسى أنّ اليهودية تحلل تعدد الزوجات بدون الاحتياط والتحديد اللذين يضعهما الإسلام، كما أنها تتيح الزواج من الأقرباء من الخالة والعمة وبنت الأخ وبنت الأخت الأمر الذي يحرّمه الإسلام تحريماً باتاً"(٣).

فاليهودية سابقة على الإسلام ولم يرد نص في كتابها يحرم التعدد، بل إنّ أنبياء بني إسرائيل مارسوا التعدد وهو ما يقر به إبراهيم خليل أحمد قائلاً: "أما تعدد الزوجات من الناحية

---

(١) بلتاجي، محمد: **مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنّة الصحيحة الحقوق السياسية والاجتماعية والشخصية للمرأة في المجتمع الإسلامي**، ص١٥٧_١٥٨، ط١، دار السلام،(١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م). عبد الوهّاب، أحمد: **تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام**، ص١١٥، ط١، مكتبة وهبة، دار التوفيق النموذجية،(١٤٠٩هـ_١٩٨٩م). بتصرف.

(٢) هانس كونج، جوزيف فان إس: **التوحيد والنبوة والقرآن حوار المسيحية والإسلام**، ص٥١. مرجع سابق.

(٣) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص١١٤. مرجع سابق.

الموضوعية فإنّ الإسلام لم يبتكره. كما أنّه لم يستعره، فتعدد الزوجات من حيث هو نظام اجتماعي، وكان مألوفاً في أزمنة طويلة قبل بزوغ فجر الإسلام على شبه الجزيرة العربية والكتاب المقدس مليء بقصص عن زوجات إبراهيم وسليمان"(١).

ثانياً: تعدد الزوجات عند المسيحية

على الرغم مما هو معروف ومألوف عن المسيحية بعدم شيوع تعدد الزوجات عندهم، إلا أنّ ذلك لم ينبثق عن تعاليم ديانتهم ورسلهم.

"من المعروف أنّ المسيحيين لا يمارسون تعدد الزوجات، والفكرة السائدة أن تعاليم الديانة المسيحية تحرمه. ومع ذلك فإن فريقاً من الباحثين يرى أن تعاليم المسيحية الأولى لم تكن تتضمن مثل هذا التحريم، ويدلل على رأيه بحجج قوية، منها: أن الإنجيل لا يتضمن نصاً واحدا يحرم تعدد الزوجات، ومعروف أن السيد المسيح ـــ عليه السلام ـــ ولد وبشر بتعاليمه في بيئة يهودية، واليهود في ذاك الوقت كانوا يعرفون تعدد الزوجات ويمارسونه، لا سيّما الأغنياء والرؤساء منهم. ويبدو غريباً والحال كذلك أن يقصد السيد المسيح ـــ عليه السلام ـــ إلى تحريم تعدد الزوجات ولا ينص على هذا التحريم صراحة. وفضلا عن ذلك فإن الأغنياء بصورة خاصة هم الذين كانوا يمارسون تعدد الزوجات، وقد هاجم السيد المسيح عليه السلام أغنياء اليهود ورؤساءهم، وندد برذائلهم، فلو قصد حقيقة إلى تحريم تعدد الزوجات لما سكت عليه، بل لهاجمه بوصفه أحد هذه الرذائل"(٢).

والكتاب المقدس عند المسيحية يضم العهد القديم إلى العهد الجديد فهي تعتقد وتؤمن بما جاء به العهد القديم، والعهد القديم – كما سبق الذكر– لم يرد فيه نص يحرم تعدد الزوجات، فالمسيحية لم تستنكر على اليهودية ذلك، وهو ما جعل أحمد سوسة يستنكر موقف من يهاجم تعدد الزوجات في الإسلام مع إقراره للشرائع السابقة في ذلك فيقول: "وهذه اليهودية يعترف بها

(١) أحمد، **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن**، ص٢١٣. مرجع سابق.

(٢) زناتي، محمود سلام: **تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية**. ص٦٩ـــ٧٠. دار المعارف. شلبي، عبد الودود: **قضايا إسلامية معاصرة حوار مع طالبات جامعة سان دي فنسنت عن مكانة المرأة في شريعة الإسلام وفي حضارة الغرب**. ص٩٨_٩٩. سيدني: استراليا. مركز الراية.

المسيحيون كجزء من ديانتهم وهم يغضون النظر عما جاءت به من تعاليم ولكنهم يعيبون على الإسلام تعدد الزوجات وذلك ليس لأي سبب سوى سبب كونه الإسلام وأنهم متعصبون ضده"[(١)].

إذا كان الاقتصار على زوجة واحدة هو المألوف والمعروف بين الناس إلا أنه لم يفرض عليهم فرضاً من الشرائع السماوية، وهذا ما يعلنه المستشرق إميل درمنغم قائلاً: "وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك، ولم يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا المبدأ قد أصبح سنّةً في النصرانية فذلك لانتشاره في بلاد الغرب التي كانت تقول به"[(٢)].

كما أنّ هناك فرقاً مسيحية طالبت بشدة بتعدد الزوجات وممارسته، بل هناك فرق في ألمانيا في منتصف القرن السادس عشر طالبت بتعدد الزوجات جهراً، وهناك فرق مارسته واعتبرته نظاماً إلهياً[(٣)].

لم ينكر أهل الشرائع السابقة تعدد الزوجات على أنبيائهم ولم يطعنوا في النصوص الواردة بهذا الصدد في التوراة والإنجيل، ولكن حقدهم الدفين على الإسلام ونبي الإسلام جعلهم يختلقون مثل هذه الشبهات من أجل تصوير الرسول الكريم بأنه رجل شهواني – حاشا لله – أن يكون كذلك.

ومن يقر ويعترف بأمر جاءت به شريعة سابقة، لا مبرر لإنكاره ولا يحق له أن يستنكر ذلك الأمر في شريعة أخرى.

وما كان لنبي أن يأتي بشريعة تنهى عن أمر ويأتيه، وهو القدوة لقومه، وقد مارس الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام – التعدد من قبل الرسول ﷺ كإبراهيم وداوود وسليمان عليهم السلام[(٤)].

فتعدد الزوجات لم يكن يوماً خاصاً بالإسلام فقد عرفته أيضاً الشعوب التي سبقت ظهور الإسلام وهو ما يشير إليه المستشرق لوبون: "إنّ مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصّاً بالإسلام، فقد

---

(١) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص١١٤. مرجع سابق.

(٢) درمنغم، **حياة محمد**، ص٢٩١. مرجع سابق.

(٣) زناتي: **تعدد الزوجات**. ص٧١. مرجع سابق. شلبي، **قضايا إسلامية معاصرة**. ص٩٩. بتصرف. مرجع سابق.

(٤) شلتوت، محمود: **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص١٨٠، ط١٧، دار الشروق،(١٤١٧هـ_١٩٩٧م). عبد الوهّاب، **تعدد نساء الأنبياء**، ص١١٥. بتصرف. مرجع سابق.

عرفه اليهود والفرس والعرب وغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد، ولم تَرَ الأمم التي انتحلت الإسلام فيه غُنْماً جديداً إذن، ولا تعتقد مع ذلك وجود ديانة قوية تستطيع أن تُحوّل الطبائع فتبتدع أو تمنع مثل ذلك المبدأ الذي هو وليد جوّ الشرقيين وعروقهم وطرق حياتهم"[١].

هذا وقد شاع نظام تعدد الزوجات عند العرب فالرجل لم يكن ليقتصر على زوجة واحدة، بل يتعدى الأمر بالجمع بين أكثر من أربع زوجات لرجل واحد، وقصة إسلام الصحابي غيلان[٢] شاهد على ذلك إذ روي عن الرسول ﷺ أنه قال لغيلان لما أسلم وتحته عشر نسوة: "خذ منهنَّ أربعاً"[٣]. كما روي عن قيس بن الحارث[٤]؛ قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة. فأتيت النبي ﷺ فقلت ذلك له. فقال: "اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعاً"[٥].

لقد قدم الإسلام للإنسانية خدمة جليلة عندما أقدم على تقييد تعدد الزوجات الذي كان على إطلاقه وفي وقت شاعت به الفوضى لدرجة عرف العرب أيضاً تعدد الأزواج عندما كان يبعث الرجل امرأته إلى من ينكحها، إذ يشير إلى ذلك إبراهيم خليل: "وأنّ إباحة الإسلام الزواج حتى أربع زوجات، هذه الإباحة تعد تقييداً لما كان سائداً قبل الإسلام، إذ كانت البيئة العربية تغلب عليها الإباحية والفوضى في الفروج إلى حد أنّ الزوج كان يبعث بامرأته إلى من ينكحها لتلد مثله"[٦].

---

(١) لوبون، **حضارة العرب**، ص٤٨٣. مرجع سابق.

(٢) غيلان بن سلمة بن مُعَتِّب بن مالك بن بكر بن هوازن، أسلم بعد فتح الطائف، وكان تحته عشر نسوة في الجاهلية فأمره ﷺ باختيار أربعاً منهنّ.(ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٤، ص٤٣، دار الفكر).

(٣) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجة**. كتاب النكاح. باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة، علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. دار البيان للتراث، ج١، ص٦٢٨، حديث رقم ١٩٥٣. صححه الألباني (الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح سنن ابن ماجة**، ج١، ص٣٣٠، ط٣، تعليق زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، (١٤٠٨هـ١٩٨٨م)، حديث رقم١٥٨٩).

(٤) قيس بن حارث بن قيس بن عميره، أسلم وعنده ثمان نسوة فأمره الرسول ﷺ أن يختار منهنّ أربع.(ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٤، ص١١٦).

(٥) ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**. كتاب النكاح. باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة. ج١، ص٦٢٨. حديث رقم١٩٥٢. قال عنه الألباني: حسن صحيح (الألباني، **صحيح سنن ابن ماجة**، ج١، ص٣٣٠، حديث رقم١٥٨٨).

(٦) أحمد، **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن**، ص٢١٣. مرجع سابق.

وبعد هذا العرض الموجز لموقف الديانات السابقة من التعدد، يتضح جلياً أن الإسلام لم تكن له الأسبقية في تشريع هذا النظام، بل يعود الفضل له في تقييد هذا النظام وضبطه؛ إذ لم يجعله على إطلاقه، كما يرى ذلك المستشرق مارسيل إذ يقول: "أقر الإسلام تعدد الزوجات والطلاق – ولم يكن هو بالطبع الذي أتى بهما لأنهما وجدا في جميع الحضارات[١] في زمن معيّن من تطوّرها– لكنّه ضيق نطاق مشروعيتهما"[٢].

المطلب الثاني: تعدد زوجات الرسول ﷺ

زواج الرسول ﷺ وتعدد زوجاته قضية طالما شغلت فكر الكثير، فالبعض ينظر إلى تعداد زوجاته نظرة الناقد المتعصب الذي يرى في زواجه ﷺ زواجاً تبعث عليه الشهوانية، متجاهلاً فترة لا بأس بها من شباب الرسول ﷺ قد أمضاها بلا زواج دون أن يسجل التاريخ له حادثة لهو أو عبث في هذا المجال مع أنّ الطريق كان أمامه ممهداً في البيئة التي نشأ بها، إذ لا دين يردع ولا عادات تحكم، اللهم إلا نقاء فطرته وطهارة نفسه ورقي خلقه، بل عندما يقدم على الزواج، وهو في عنفوان شبابه وفورة غرائزه، لا يطرق إلا باب امرأة خلفه عليها من قبل عدة أزواج بل تكبره بالعمر ما يقارب الضعف، ويتجاهل هؤلاء الناقدون أنّ كثيراً من الأنبياء السابقين من تعدى العشرات من الزوجات، إذ يقول المستشرق لوبون وقد استغرب دهشة الأوروبي من عدد زوجات النبي ﷺ: "وقد يدهش الأوربيّ لهذا العدد، ولكن الشرقيين لا يروْن إفراطاً في ذلك ما رأوْا أنه يمكن النبيّ أن يتزوج نساء أكثر من أولئك لو سُمح له أن يسير على غرار الملك سليمان العظيم الذي هو أكثر ملوك التوراة حكمة"[٣].

وهو ما يستعظمه المسيحي نظمي لوقا من إنكار تعدد زوجات النبي واعتبار ذلك منقصة في حقه، مع أنّ ذلك لا يمثل أي حرج أو انتقاد لمن أقدم على ذلك إن صدر من غير محمد ﷺ

---

(١) فالحقيقة أنّ هذا النظام كان سائداً من قبل ظهور الإسلام في شعوب كثيرة: منها الإسرائيليون؛ والعرب في الجاهلية؛ وشعوب الصقالبة أو السلافيون التي ينتمي إليها معظم البلاد التي نسميها الآن روسيا وليتوانيا وليتونيا واستونيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا = ويوغوسلافيا؛ وعند بعض الشعوب الجرمانية والسكسونية التي ينتمي إليها معظم أهل البلاد التي نسميها الآن ألمانيا والنمسا وسويسرا وبلجيكا وهولاندا والدانيمرك والسويد والنرويج وإنجلترا... وكان لشارلمان زوجتان وعدة سريات، وقد حدث بعد ذلك أنّ الملك هيس فيليب والملك فردريك وليم الثاني البروسي تزوجا بأكثر من واحدة.(وافي، علي عبد الواحد: **بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام**، ص٥٥_٥٦، مؤسسة المطبوعات الحديثة،(١٩٦٠)).

(٢) بوازار، **إنسانية الإسلام**، ص١١١. مرجع سابق.

(٣) لوبون، **حضارة العرب**، ص١٤٢. مرجع سابق.

فيقول تحت عنوان وليذكر الذاكرون!: "وليذكر الذاكرون أنّ التاريخ كم وعى من رجالات أصحاب رسالات كانت لهم الزوجات الكثيرات، بالعشرات والمئات. وكانت لهم السراري بغير عدد. ولم يقدح ذلك فيما لهم من فضل ظاهر، ولا فيما لدعواتهم من أثر في العقول والسرائر. وهل نسي الناس داود، سليمان، وغير داود وسليمان؟ فكيف لا يحسب هذا التعدد اليسير إلا على محمد بن عبد الله دون سواه؟ ألا إنّ الميزان المستقيم لا يكيل بكيلين، ولا يحرم على زيد ما يرى أضعافه غير حرام على عمرو..؟ ومن يظلم إنما نفسه يظلم، ومن يجور في الحكم إنما يضير تفكيره وضميره"(١).

إنّ هذا ما يخالف المنطق وعقلانية التفكير، وما هو إلا تحيز أعمى وعنصرية غير منصفة، واتهام فعل النبي ﷺ بالشهوانية مع قبول نفس الفعل من غيره اتهام باطل لا يقوم على دليل، هيأ الله من بين ظهراني القوم من يرد هذا الادعاء الباطل والتهمة المفتراة، فتقول في ذلك المستشرقة لورا مفندة لإدعاءات القوم وتهمهم الباطلة: "لقد أصرّ أعداء الإسلام على تصوير محمد شخصاً شهوانياً ورجلاً مستهتراً، محاولين أن يجدوا في زواجه المتعدّد شخصية ضعيفة غير متناغمة مع رسالته. إنهم يرفضون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه الحقيقة: وهي أنه طوال سني الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج، كمؤسسة اجتماعية، مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة، التي كانت سنّها أعلى منه بكثير، وأنه ظلّ طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب. ولم يتزوج كرة(٢) ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره"(٣).

من ذا الذي يمنع الرسول ﷺ في مجتمع كمجتمع مكة آنذاك؛ حيث لا قيود على عدد الزوجات وهو الشاب المرغوب فيه، والمحبوب من أهل مكة من أن يقوم بالزواج من ثانية وثالثة ورابعة في فترة زواجه من السيدة خديجة _رضي الله عنها_ ورغم عدم وجود مانع لذلك إلا أنه لم يشرك معها أحداً في نفسه وفي فراشه مع توفر دواعي ذلك النفسية والاجتماعية

---

(١) لوقا، نظمي: **محمد في حياته الخاصة**، ص١٤٢، مكتبة غريب.

(٢) وردت في النص كرة والصواب مرة.

(٣) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص٩٩. مرجع سابق.

والجسدية، وإلى هذا يشير نظمي لوقا قائلاً: "ولو نظرنا إلى حياة الرسول نفسه لوجدناه لم يشرك في فراشه أحداً مدة حياة خديجة، وقد طال زواجهما ربع قرن تقريباً، هو طور الفحولة في حياة الإنسان، ما بين الخمسة والعشرين والخمسين. ولم تتعدد زوجاته إلا بعد وفاتها"(١).

ولو كان الدافع وراء تعدد زوجات النبي ﷺ دافعاً شهوانياً لماذا لم يختر زوجاته أبكـاراً وفي مقتبل أعمارهن، فمن بين زوجاته لم يكن غير عائشة _رضي الله عنها_ في مثل عمرها وحالها، إنّ المنصف لشخص الرسول الكريم، والباحث عن الحقيقة بعيداً عن هوى النفس ومن غير إطلاق الأحكام المسبقة، يجد أسباباً تكمن من خلف ذلك التعدد الذي مارسه ﷺ وهو ما صرحت به لورا فيشا رادة في ذلك على تهم المغرضين المتعصبين إذ تقول: "لقد كان لكل زواج من زوجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي...وباستثناء عائشة، ليس غير، تزوج محمد من نسوة لم يكنّ لا عذارى، ولا شابّات،...فهل كان ذلك شهوانية؟... لقد تصرّف متأسّياً بسنة الأنبياء القدامى، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أنّ أحداً من الناس يعترض على زواجهم المتعدّد"(٢).

إن تعدد الزوجات كان معروفاً ومألوفاً في جميع العصور التي سبقت النبي الكريم، ولم تلق اعتراضاً أو انتقاداً من أحد، وذكر الكتاب المقدس عدد أزواج أنبياء بني إسرائيل بالعشرات ولم يعبهم أو ينقص من مكانتهم، فلماذا يُوجه هذا الانتقاد لشخص النبي الكريم في وقت قد عرف تعدد الزوجات، لكن إذا ما ذُكر النبي ﷺ في هذا الخصوص ألفت المجلدات وتُقولت عنه الأقاويل، ويذكر صاحب **كتاب كيف نفهم الإسلام** سبب تعدد زوجات النبي ﷺ قائلاً: "وإذا نظر إلى زواجات النبي من خارج، تبين أن معظمها كان بهدف "سياسي"...وأخيراً يكفي أنّ محمداً قد ضرب أمثلة عدة من تقشف طويل الأمد، وبخاصة في شبابه الذي يفترض أن تكون فيه الشهوة أقوى ما تكون"(٣).

وبعد هذه الشهادات المنصفة يتساءل المرء؛ أي شهوانية تكمن في زواجه من امرأة تكبره بالسن أعواماً، أو امرأة معيلة، أو زواجه من أخرى انقطعت حاجتها من الرجال؟!، إن المنصف

---

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ص١١١. مرجع سابق.

(٢) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص١٠١. مرجع سابق.

(٣) شيون، فريتجوف: **كيف نفهم الإسلام**، ط١، ص١٠٢_١٠٣، ترجمة عفيف دمشقية، دار الآداب_بيروت،(١٩٧٨).

الباحث عن الحقيقة بعيداً عن هوى وميل نفسه ودون أن يطلق الأحكام السابقة على تعدد زوجات النبي ﷺ يجد أن لكل زواج من زواجه مغزى وحكمة هي الدافع لذلك، كما أنّ تعدد زوجات النبي ﷺ فيه متسع لمعرفة أدق الخصوصيات لشخص النبي الإنسان في حياته الزوجية والأسرية، فتمكن العامة من الاطلاع عليها ومعرفة الناس للتشريع الرباني فيها، إن النبي ﷺ في حياته الخاصة والعامة سواء ما كان منها قبل البعثة أو بعدها لهو أبعد الناس عن الشهوانية، والذي جاء ورفع من قدر المرأة ومكانتها وأعطاها من الحقوق ما جهله أتباع الشرائع من قبله، فأصبحت المرأة في الشرع الذي جاء به صنو الرجل، وكل ما حققه وقدمه للنساء عامة البنت منهن والزوجة والأخت وما إلى ذلك يدرك المتأمل في ذلك أنّ النبي الإنسان أبعد ما يكون عن شهوانية بشرية لا حافظ لها ولا ضابط.

تعقيب ونقد

إنّ من يطلع على صفات النبي ﷺ يدرك أنها صفات لا تليق إلا بنبي كريم مرسل من عند الله العزيز الحكيم، صفات لم يسجل التاريخ حادثة واحدة أو حتى موقفاً عابراً لا قبل البعثة ولا بعدها يثلب في أخلاقه أو يطعن في صفاته وكرم طباعه، فكان هو النبي الذي بشرت به الشرائع السابقة والمكتوب في التوراة والإنجيل لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم١٥٧]. نبي أقر بنبوته ولم يجد مبرراً لنكرانها حتى من لم يعتنق دينه ولم يلتزم منهجه وشرعه، وهو ما أشير له في السطور السابقة، نبي لا يكتمل إيمان أي شخص إلا بالإقرار بنبوته ﷺ، إذ لا وجه من إنكارها ما دمنا نقر ونؤمن بوجود من سبقه على الرغم من عدم معاصرتنا أو رؤيتنا لهم. وهو ما قاله نظمي لوقا بصريح العبارة: "فمن اعترف بوحي السماء إلى رسول من البشر، لزمته الحجة ألا ينكر نزول الوحي على محمد من حيث المبدأ. فوجه الامتناع هنا غير قائم بمبرر نزيه"(١).

وقد جاء هذا النبي الكريم بمعجزة خشعت أمامها كل آيات الكون، ووقف أمامها أرباب الفصاحة والبلاغة من الجن والإنس وقد أقروا استحالة أن تكون من رجل يحترف البلاغة فضلاً عن أن يكون قد صدر من رجل أمّي لا عهد له بالقراءة والكتابة، فعجزوا وما زالوا يعجزون

---

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ص٤٨. مرجع سابق.

عن الإتيان بسورة أو آية من مثله ولو من وجه بعيد فتحقق بذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم٢٣]. لكن أنّى لهم ذلك وهو كلام الله، فأقر بها المنصفون من أهل الغرب والشرق إذ ما زالت آية في الصدق يدلل على صدقها براهين العلم الحديث، كما أنّ بقاءه على الصورة التي أُنزل بها من غير تحريف أو تبديل لهو أصدق برهان أنه كلام الله، وهذا ما ذهبت إليه المستشرقة لورا فيشا إذ تقول: "فإلى الكتاب العزيز الذي لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه، لا المثقفون ولا الأميون، ذلك الكتاب الذي لا يُبليه الزمان ولا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمّي البسيط، آخر الأنبياء حملة الشرائع"[١].

فأنى لهم بتحريف الكتاب العزيز وقد تكفل الله تعالى بحفظه من فوق سبع سماوات حيث قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: آية رقم٩].

أما أولئك الذين وجدوا ثمة مأخذا يأخذونه على الرسول ﷺ لم يجدوا إلا قضية زواجه وتعدد زوجاته، وهي قضية جانبوا الصواب فيها، إذ رد عليهم من هم من أبناء جلدتهم ويدينون بدينهم، فأخذوا يردون عليهم بالأدلة والبراهين؛ فهم يرون في تعدد الزوجات ضرورة لا بد منها؛ لأنّ بها الكثير من حلول لمشاكل تعج بها المجتمعات، وأنها سنة درج الناس عليها حتى من قبل ظهور الإسلام، لكنّ الفضل في تهذيبها وتقييدها وتنظيمها إنما يعود للإسلام، وهو ما أشادت به لورا فيشا إذ تقول: "لم يقم الدليل حتى الآن، بأي طريقة مطلقة، على أنّ تعدد الزوجات هو بالضرورة شر اجتماعي وعقبة في طريق التقدم. ولكنا نؤثر أن لا نناقش المسألة على هذا الصعيد. وفي استطاعتنا أيضاً أن نصرّ على أنه في بعض مراحل التطور الاجتماعي، عندما تنشأ أحوال خاصة بعينها _ كأن يقتل عدد من الذكور ضخمٌ إلى حد استثنائي في الحرب، مثلاً_ يصبح تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية. وعلى أية حال فليس ينبغي أن نحكم على هذه الظاهرة بمفاهيم العصور المتأخرة لأنها كانت في أيام محمد مقبولة قبولاً كاملاً وكانت عملاً معترفاً به من وجهة النظر الشرعية لا بين العرب فحسب، بل بين كثير من شعوب المنطقة أيضاً. والحق أنّ الشريعة الإسلامية التي تبدو اليوم وكأنها حافلة بضروب التساهل في هذا

---

(١) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص١٣٤. مرجع سابق.

الموضوع إنما قيدت تعدد الزوجات بقيود معينة، وكان هذا التعدد حرّاً، قبل الإسلام، مطلقاً من كل قيد"[١].

وفي تعدد الزوجات لا تمس حقوق المرأة ولا تخدش كرامتها، بل تحفظ كامل حقوقها، وتصان إنسانيتها من عبث العابثين، على عكس المجتمعات التي لا تبيح التعدد ولكنها لا تخجل في ترخيص بيوت يباع جسد المرأة مقابل ثمن بخس وفور انتهاء الحاجة لجسدها تلقى كجيفة بلا رأفة ولا رحمة، فالإسلام وحده لا غيره من رفع شأن المرأة بعدما كانت لا قيمة لها، تباع وتشرى كأي سلعة أو قطعة أثاث في البيت، وفي ذلك يقول لوبون: "فالإسلام، إذن، لا النصرانية، هو الذي رفع المرأة من الدّرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع، فإذا نظرت إلى أمراء النصارى الإقطاعيين في القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئاً من الحرمة للنساء، وإذا تصفحت كتب تاريخ ذلك الزمن وجدت ما يزيل كلّ شك في هذا الأمر فعلمت أنّ رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظاً نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهنّ بالحسنى"[٢].

نعم، يهاجمون تعدد الزوجات ويتهمون النبي ﷺ ومن سار على نهجه بالشهوانية المفرطة، وهم يتجاهلون ما درجت عليه مجتمعاتهم من عادات يندى لها الجبين، فترى تعدد الخليلات والعشرات من الصديقات دون أن يصان لواحدة منهنّ كرامة أو أن يحفظ لها حقوق وواجبات تلزم الرجل نحوها، وهذا ما يستنكره المنصفون وأصحاب العقول الباحثة عن الحقيقة الحقيقة فحسب، من أبناء جلدتهم، إذ يتساءل إميل درمنغم: "وأيهما أفضل تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السرّيُ؟"[٣].

فالمجتمعات الغربية، والذين يرفضون إقرار الإسلام لتعدد الزوجات، إنما يرفضون التعدد الذي تحفظ فيه حقوق المرأة كاملة كزوجة وكأم، أما غير ذلك فهو عندهم مشاع مباح، وهو المعمول به كما صرح بذلك جارودي: "في تقاليدنا الغربية، الزواج الأحادي موجود في القوانين فقط، وهو حبر على ورق بينما المعمول به فعلاً هو تعدد الزوجات"[٤].

---

(١) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص٩٧. مرجع سابق.

(٢) لوبون، **حضارة العرب**، ص٤٨٨_٤٨٩. مرجع سابق.

(٣) درمنغم، **حياة محمد**، ص٢٩١. مرجع سابق.

(٤) جارودي، **الإسلام دين المستقبل**، ص٨٢. مرجع سابق.

الفصل الرابع: الإنصاف في "اليوم الآخر"

توطئة

المبحث الأول: الإنصاف في حقيقة البعث

المطلب الأول: صورة البعث في الإسلام

المطلب الثاني: الموت امتداد لحياة الإنسان في العالم الآخر

المبحث الثاني: الإنصاف في الجزاء

المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل

المطلب الثاني: الجنة والنار

تعقيب ونقد

توطئة

جاء الإسلام ليؤكد ويذكر بأنّ ثمة حياة أخرى بعد هذا المقام، لأنّ الشرائع السابقة طالتها يد العبث والتحريف فأسقطت هذا الجانب أو همشته بشكل ملحوظ، لدرجة أن البعض ينسى أن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا بوابة لحياة أخرى، إذ إنّ الحياة ضرب من العبث إذا استوت فيها الحسنة والسيئة، وجور وظلم إذا لم يتبعها حياة تستوفي بها المخلوقات حقوقها، وأي غاية من حياة لا يسأل الإنسان بعدها عن عمره فيها بما أفناه؟! وعن ماله فيما أنفقه؟!.

إنّ اليوم الآخر لما له من أثر في حياة المرء جعله الله تعالى ركن من أركان الإيمان به الذي لا يكتمل بالاعتقاد إلا به، فهذا اليوم هو الدافع الذي يكمن وراء أعمال البشر ويصحح مسارهم ويضبط سلوكهم، جاء الإسلام ليربط الحياة الدنيا بالآخرة؛ إذ يكون الجزاء فيها من جنس عمل الإنسان، فيكون الواحد فيها مستعدا في حياته الدنيا وكله يقين بأن حياة أخرى بانتظاره.

المبحث الأول: الإنصاف في حقيقة البعث

اليوم الآخر ركن من أركان الإيمان مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالله تعالى ولا ينفك عنه، فإذا حضرت صورة الإيمان بالله تعالى تمثل هذا الركن حقيقة ما ثلة لا زيغ فيها، ولا يكمل إيمان امرئ من دونها، وهو ركن تكرر ذكره في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ حتى يرتبط المؤمن بحياة أخرى يعلم في قرارة نفسه أنها المستقر له بعد رحلة حياته الدنيا، فلا تكون حياته الأولى بلا هدف أو مغزى، وإنما لها غاية، ومن ورائها هدف ومعنى.

وهذا الركن كان مجالاً آخر من المجالات التي أقبل عليها المفكرون من غير أتباع الإسلام الحنيف، دراسة واسعة للمقارنة بين صورته في الإسلام وسائر الشرائع الأخرى حتى إذا ما درسوه دراسة متأنية فاحصة خلصوا إلى نتيجة سبق أن توصلوا إليها في الفصول السابقة فجاءت شهادة حق وإنصاف بل إعجاب بركن أساسي في رسالة هي خاتمة الرسالات وشريعة نبي ما كان يألو جهداً في تذكير الناس به وترسيخه في حياتهم، فيحيونه في أفكارهم وضمائرهم ليتمتعوا بأثره حقيقة واقعة في حياتهم الأخرى، ومنهم من وجد حاجته الروحية في هذا الركن الذي سكتت عنه شرائعهم فوجدوا من خلاله المعنى والهدف من حياتهم هذه فسلّموا به عندما أدركوا أن سعيهم في حياتهم هذه محفوظ ولم يكن يوماً ضرباً من العبث أو اللهو.

المطلب الأول: صورة البعث في الإسلام

يتحدث الإسلام عن البعث في صورة واضحة فلا يكاد يغفل شيئاً منها، فمنذ اللحظة الأولى التي تنتهي بها حياة الإنسان في هذه الدار ينقل لنا الإسلام معالم عن الحياة الأخرى، حيث تبدأ حياة جديدة بعد خروجه من هذه الحياة الدنيا، وتستمر في عالم آخر جديد بأحداثه ومعالمه وهي وإن ذكرت في الشرائع الأخرى لأهميتها ولما يترتب على الإيمان بها من آثار وتحديد سلوك ومسار إلا أنها لم تظهر بهذا الوضوح التي ظهرت به في شرع الإسلام الحنيف وهو ما أشار إليه جوزيف فان إس[(١)] قائلاً: "رغم أنّ فكرة يوم الحساب (القيامة) كانت موجودة في اليهودية والمسيحية إلا أنه لم توجد ترجمة عربية للكتاب المقدس. وإن كانت فكرة يوم

---

(١) جوزيف فان إس ولد سنة ١٩٣٤م في آخن وهو أستاذ كرسي في جامعة توبنجن، وكان مديراً لمعهد العلوم الشرقية بالجامعة طوال سنوات عدة وله مؤلفات عديده معظمها في علم الكلام الإسلامي والتصوف والفلسفة، من مؤلفاته: "الثقافة الإسلامية القديمة" و "فكر الحارث المحاسبي" و "بين الحديث وعلم الكلام". هانس كونج، جوزيف فان إس، **التوحيد والنبوة والقرآن حوار المسيحية والإسلام**، ص١٤. مرجع سابق.

القيامة التي جاء بها محمد ﷺ تعتبر متطورة وبها تصور جديد لا يوجد فيما سبق من الديانات"[١].

يوم القيامة أو الحساب هو الركن الخامس من أركان الإيمان وليست مجرد فكرة، ولم تستحدث في الإسلام استحداثاً بل هي موجودة في الشرائع الأخرى لا سيما أنّ مصدرها واحد، ولكنها جاءت في الإسلام بصورة أوضح.

والإيمان بالآخرة وما يكون فيها من بعث في الصورة التي جاء بها الإسلام إنما جاء مكملاً ومتمماً لما سبقه من شرائع، لا سيما أنّ تلك الشرائع طالتها يد العبث والتحريف، وإن ذكرت هذه الشرائع ما يتعلق باليوم الآخر إنما ذكرته دون تفصيل، وليس بالوضوح الذي ذكره الإسلام، ويقول بذلك أحمد سوسة: "وأما الإيمان في الآخرة فيجب أن لا يغرب عن البال أنه ليس من ديانة في هذا العلم أوضحت أسرار المصير بعد الوفاة البشرية كالإسلام، ولا يخفى أنّ هذه الناحية المهمة في العالم الروحاني كانت غامضة قبل ظهور الإسلام وأنّ اليهودية كما أسلفنا لم تتطرق لهذا البحث مما يوضح هذه المكنونات حتى أنّ فئة يهودية مهمة كانت لا تقر بالحياة الآخرة. وعليه إنّ ما أوضحه الإسلام من هذه الناحية قد جاء سداً للنقص البارز في بقية الأديان الأساسية[٢]، وما ذلك إلا دليل واضح على صدق الديانة الإسلامية والكمال الذي تنطوي عليه"[٣].

هذه شهادة حق نطق بها من درس الإسلام وأقر به على أنّ الدين الإسلامي كامل ومتميز ومتفرد على الشرائع الأخرى، لأنه لم تطله يد التحريف والتبديل فهو محفوظ بحفظ الله ﷻ، فإذا كانت الشرائع السابقة لم تذكر اليوم الآخر بالتفصيل الذي ذكره الإسلام، ليس تقليلاً لشأنه إذ إنّ هذا اليوم لا يغفل عنه نبي مرسل ولا تتجاهله شريعة سابقة، وإنما قد يكون التحريف الذي طرأ على شرائعهم قد طال ما يتعلق باليوم الآخر.

وقد كان الرسول ﷺ دائم الذكر لهذا اليوم المهم، ويذّكر أصحابه به حيث كان يقول ﷺ: "أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا من ذكر هادم اللذات

---

(١) هانس كونج، جوزيف فان إس، **التوحيد والنبوة والقرآن حوار المسيحية والإسلام**، ص٢٣. مرجع سابق.

(٢) الأصح أن يقال بأنها شرائع سابقة أو سماوية وليست أديان لأن الدين عند الله واحد.

(٣) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص١٠٧. مرجع سابق.

الموت"[١]، وذلك لما له من أثر في سلوكياتهم فكان دائم التأكيد عليه في دعوته وهو ما أشار إليه فيليب حتي قائلاً: "وتبدو الآخرة واضحة جداً وبارزة في القرآن والحديث. ومحمد كان يـــذكر، كالمسيح، أنّ الآخرة قد أصبحت قريبة جداً، إلا أنّ محمداً كان أكثر تأكيداً عليها في أثناء دعوة الناس إلى الإسلام"[٢].

لم يستطع فيليب حتي إنكار حقيقة أنّ سيدنا محمداً ﷺ كان دائم التأكيد على أهمية اليـــوم الآخر؛ لأنه ركن من أركان الإيمان والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تذكر باليوم الآخر وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة، حيث نجد الآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر كثيرة منها: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [سورة الفاتحة: آية رقم٤]، وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم٤]. وما روي عنه ﷺ: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للنـــاس فأتـــاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورُسُـــله وتـــؤمن بالبعث"[٣]. وشواهد القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة في هذا المجال، ولا متسع لذكرها فـــي هذه الصفحات.

المطلب الثاني: الموت امتداد لحياة الإنسان في العالم الآخر

خروج الروح من الجسد في هذه الحياة الدنيا لا يعني فناءها بل هي بداية حياة جديدة في عالم آخر بأحداث ومعالم جديدة وهو ما أشار إليه المطران كيرلّس سليم: "الإسلام والمـــسيحية كلاهما يؤمنان بحياة الإنسان في الدهر الآتي، ويعتقدان أنّ حياة الإنسان تستمرّ في كلّ كيانـــه،

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي: **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شـــاكر، ج٤ص٦٣٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت. صححه الألباني: الألباني، محمد ناصر الدين: **إرواء الغليل في تخـــريج أحاديث منار السبيل**، ط١، إشراف زهير الشاويش، ج٣ص١٤٥، رقـــم الحـــديث ٦٨٢،(١٣٩٩هــــ-١٩٧٩م).

(٢) حتي، **الإسلام منهج حياة**، ص٧٣. مرجع سابق.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيﷺ عن الإيمـــان والإســـلام والإحـــسان، ص١٦، حديث رقم٥٠.

أي في نفسه وجسده. فالنفس تلبس بعد القيامة جسداً تدعوه المسيحيّة جسداً ممجّداً، ويدعوه الإسلام جسداً أثيريّا[١].

وكلا التعبيرين يعنيان أنّ "الأنا"[٢] البشرية، أي الشخص الفرديّ، سيحيا من جديد"[٣].

نعم فانتهاء هذه الحياة ومظاهرها إنما هو بداية لحياة جديدة في عالم آخر، وفي هذا يتابع المطران كيرلّس قوله: "الإسلام على غرار المسيحيّة، يتخيّل نهاية العالم ويتحدّث عنها بتعابير رؤيوية وأوصاف معاديّة ليس فيها أي شيء جديد، بل هي مزيج من التقاليد اليهودية والمسيحيّة: من كوارث كونيّة في الشمس والقمر والكواكب، وهزات أرضية ودمار وتقلبات في الطبيعة. وحتى الآن لا يزال مفسّرو القرآن المسلمون يعدّون فناء كل شيء في نهاية العالم أمراً واقعياً وحقيقة موضوعيّة، وحتى الإنسان نفسه يفنى ويخلق منه الله كائناً جديداً، وهم يفسّرون حرفيّاً قول القرآن: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص: آية ٨٨]. ومع ذلك فقد بدأ بعض المفسرين يستثنون من هذا الفناء بعض عناصر العالم وبعض عناصر الجسم الإنساني التي سوف يتخذها الله نقطة انطلاق ليخلق منها العالم الجديد والإنسان الجديد، وذلك في سبيل المحافظة على التماهي بين الإنسان العائش في هذا العالم والإنسان الذي سوف يعيش في الدهر الآتي"[٤].

وكلام المطران كيرلّس، وإن لامس جزءاً من الحقيقة، إلا أنه جانبها في مواضع أخرى؛ فالإسلام عندما يتحدث عن نهاية العالم ليس من قبيل الخيال، وإنما هي حقيقة واقعة ذكرها

---

(١) الأثير وسط مادي مفترض يملأ المكان. وكان مفهوم الأثير موجود بالفعل لدى الأقدمين، الذين كانوا يعتبرون الأثير (مادة أولية) ومرادفاً للمكان. أما الفيزياء التقليدية فكانت تفهم الأثير باعتباره وسطاً ميكانيكياً طبعاً ومتجانساً يملأ المكان المغلق الذي يقول به نيوتن. لكن هذا التصور الميتافيزيقي للأثير لم يستطع أن يثبت في وجه التحقق التجريبي وأزيح تماماً من خلال النظرية النسبية. أما الفيزياء الحديثة فقد أحلت محل التصور القديم فرضية مفادها أنّ الأثير عباره عن مجال مادي لا يقبل في التحول إلى وسط ميكانيكي. واحتفظت (نظرية المجال) هذه بالنواة العلمية التصور السابق، تلك النواة التي ترى أن وجود فراغ مطلق مستحيل وأنّ المكان والمادة لا ينفصلان. (مجموعة مؤلفين، **الموسوعة الفلسفية**، ص١٠. مرجع سابق).

(٢) تدل كلمة أنا على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معاً أو متعاقبة، فهو إذن مفارق للإحساسات والعواطف والأفكار لا يتبدل بتبدلها ولا يتغير بتغييرها. فالأنا جوهر قائم بنفسه، وهو صورة لا في موضوع. (صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص ١٤٠.

(٣) بسترس، **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك(١)**، ص١٢٣. مرجع سابق.

(٤) بسترس، **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك(١)**، ص١٢٤. مرجع سابق.

القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر: آية١]، كما روي عن النبي أنه ﷺ: قال بإصبعيه هكذا بالوسطى التي تلي الإبهام: "بعثت أنا والساعة كهاتين"(١)، وحديث الإسلام عن هذا اليوم العظيم لم يكن مقتبساً لا من المسيحية ولا من اليهودية، كما أنّ حديثه في هذا الشأن لم يكن مزيجاً منهما، لأنّ الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده وأرسل الرسل داعين له، وإن كان ثمة تشابه بين اليهودية والمسيحية وما جاء به الإسلام إنما هو راجع إلى أنّ أصل هذه الشرائع _اليهودية والمسيحية_ من عند الله، فجاء الإسلام ناسخاً لها، وفناء الإنسان أيضاً أمر واقع لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص: آية ٨٨]، إذ لا يبقى شيء في هذا الوجود سوى جزء بسيط من الإنسان أخبر عنه الصادق الصدوق ﷺ بقوله: "ما بين النفختين أربعون" قال: أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ قال: أربعون شهراً؟ قال: أَبَيْتُ قال: أربعون سنة؟ قال: أَبَيْتُ قال: "ثمّ يُنْزِلُ الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البَقْلُ ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلاّ عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذّنَبِ ومنه يُرَكّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة"(٢)، فالمفسرون بداية استثنوْا من هذا الفناء بعض عناصر الجسم الإنساني لإعادة خلق العالم من جديد بناءً على الحديث النبوي السابق، ولم يكن هذا الاستثناء حديث عهد كما ألمح المطران كيرلّس في حديثه.

وبانتهاء دورة الحياة على هذه الأرض تبدأ حياة جديدة في العالم الآخر، وهنا في حقيقة البعث تتجلى قدرة الله تعالى فالذي خلقهم من العدم قادر على أن يعيد خلقهم مرة أخرى فقد قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الروم: آية ٢٧]، كما أنه ﷻ قادر على إعادة الحياة للأجساد بعد أن كانت رميماً لقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب سورة النازعات، ص٥٩٨، حديث رقم٤٩٣٦.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [سورة النبأ: آية رقم١٨]، ص٥٩٨، حديث رقم ٤٩٣٥. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، ص٧٤٨، حديث رقم٢٩٥٥. واللفظ للبخاري.

عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة يس: ٧٨-٧٩]، ويقول نظمي لوقا في هذا المجال: "وعلى أساس من هذه الطاعة، يقوم أساس الإيمان بالبعث، فالذي خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئاً، قادر أن يجمع عظامهم بعد أن كانت رميماً، ويبث فيها الحياة، وسيؤدى من كل واحد منهم حساباً عما فعله، من التزام بطاعة الله أو مروق عنها[سورة القيامة: الآيات من ٣_١٥][(١)]. بل في هذه السورة بعينها يقول القرآن الكريم بعد بضع آيات على سبيل تأكيد قدرة الله على البعث، تأسيساً على تفرده بمعجزة الخلق ابتداءً: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة القيامة: ٣٦-٤٠] بطل إذن قولهم واعتقادهم: إنما هي الحياة الدنيا، ثم لا شيء بعد هذا أبدا، بطل إذن اعتقادهم أنه ليس لحياتهم معنى باق وراء واقعها الحسي، وما يتيحه من لذة ولعب ولهو وتجبر"[(٢)].

كلمات ساطعة تخرج من رجل مسيحي يسطرها التاريخ بأحرف من نور، وشهادة حق يأبى منطقه وعقله إلا أن يؤديها، فقد أدرك في قرارة نفسه أنّ هذه الحياة لا بد لها من هدف وغاية، وأن الموت فيها ليس نهاية المطاف إذ لم تكن هذه الحياة من قبيل العبث واللهو، ولن تتوقف بعد الموت ولم تقتصر الأحداث على مجرد هذه الحياة كما ظنّ البعض إذ يقول تعالى على لسان أولئك الذين ظنوا إنما هي الحياة الدنيا ولا شيء بعدها: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: آية رقم٣٧]، فتأتي الحقيقة لتخبرهم أنّ بعد هذه الحياة حياة أخرى يبعث الله الناس بها ويحاسب كل امرئ على ما قدم في حياته الدنيا، إذ يقول جل شأنه: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة التغابن: آية٧].

---

(١) ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾.

(٢) لوقا، نظمي: **التقاء المسيحية والإسلام**، ص١٧٣_١٧٤.

المبحث الثاني: الإنصاف في الجزاء

المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل

هناك علاقة وثيقة بين حياة الإنسان في حياته الأولى وبين حياته الأخرى بعد البعث، وأنّ أعمال الناس لم تذهب في يوم ما أدراج الرياح، كلا فبعد البعث سيسأل الكل عما قدم وعمل، فيجازى الإحسان بالإحسان، والسيئة بالسيئة، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [سورة الرحمن: آية ٦٠]، وإلا ما فائدة البعث إذن وما فائدة الحياة الأولى من قبل البعث لو لم يكن هناك ما ينتظره المرء على أعماله وأقواله؟ وفي هذا المجال يقول نظمي لوقا: "وهذا الإيمان بالخالق والبعث والحساب هو حجر الزاوية في بناء الدين الجديد. ولذا فلا عجب أن يكون مجال النضال والمجاهدة والمجادلة، بين الجاهلين والعقيدة الجديدة، بما تدخله من تغيير كلي على نظرتهم إلى الحياة وإلى أنفسهم،... فهذه القضية إذن هي مفرق الطرق بين الكفر والإيمان، أو بين حياة الجاهلية وحياة الإسلام"(١).

فالإيمان بالله والبعث والحساب الأساس الذي ينطلق المرء منه في حياته هذه، وهي العقيدة التي يصدر منها تصوره للوجود والغاية الجليلة منه وبإقراره به، وعلى هذا الأساس تنشأ المفارقة بين من قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم٤]، وبين أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [سورة الإسراء: آية رقم٤٩].

نعم هناك فرق بين حياة الإسلام التي تجعل المرء محاسباً على أقواله وأفعاله بل أنفاسه قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [سورة البقرة: آية٢٨٤] لأنه ينتظره يوم يسأل عما قدم به فيجازى على ما قدم، وبين حياة الجاهلية التي لا تعترف بالحياة الأخرى حيث قال تعالى على لسانهم﴿ ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: آية٣٧] وقوله: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

---

(١) لوقا، نظمي: **التقاء المسيحية والإسلام**، ص١٧٣_١٧٤، مرجع سابق.

وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ [سورة الجاثية: آية٢٤]، فالحياة في الجاهلية الظلم والعدوان عنوانها، واللهو والعبث شيمها، لذلك كان رسول الله دائم التذكير بيوم الحساب وأن الله سيسأل الناس عن أعمالهم ويجازيهم بها، وفي هذا يقول جوزيف فان إس: "لقد نبه محمد ﷺ تجار مكة إلى كفرهم وجشعهم وأكلهم أموال اليتامى والأرامل وتوعدهم بحساب شديد يوم القيامة يوم يسألون عن كل ما فعلوا في هذه الدنيا. ولكن علينا ألا نفهم أنّ رسالة محمد ﷺ كانت فقط إصلاحاً اجتماعيا فلم يكن محمد ﷺ ثائراً ولكن نبياً، لم يحارب الملكية الخاصة والغنى ولكنه حارب فيهم اعتقادهم بأنهم يستطيعون أن يفعلوا بسلطانهم ما يشاءون دون حساب من قوة أعلى منهم(الله)"(١)

فالنبي ﷺ لم يحارب الغنى أو الملكية وإنما أراد أن يوضح للناس أنّ المرء مستخلف فيما يملك، وأنّ الإنسان سيسأل عن كل شيء حتى عن ماله فيما أنفقه لقوله ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه"(٢)، فتجد الإسلام دائما يربط الحياة الدنيا بالحياة الآخرة، فما هذه الحياة إلا مزرعة للآخرة، وأعمال الإنسان هي من سيحدد مصيره، يقول المطران كيرلّس: "الإسلام، كالمسيحية، يؤمن بعلاقة وثيقة بين حياة الإنسان على هذه الأرض وحياته في الدهر الآتي، وبين أعمال الإنسان في هذا العالم والجزاء الذي سيناله في العالم الآخر، والسماء وجهنم تصفهما الديانتان بأوصاف متشابهة. ولكنّ أهم ما في الموضوع هو أنّ أعمال الناس في هذا الزمن لها، في نظر الديانتين، قيمة أبديّة. والله سوف يجازي كل الناس بحسب أعمالهم. وهذا يتبيّن من وصفٍ للدينونة نجده في المسيحية في إنجيل متى ووصف مماثل نجده في الإسلام في الحديث الشريف. يقول السيد المسيح في إنجيل متى: "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجِداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجِداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثُوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني.

---

(١) هانس كونج، جوزيف فان إس، **التوحيد والنبوة والقرآن حوار المسيحية والإسلام**، ص٢٣. مرجع سابق.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ – ٢٧٩): سنن الترمذي، ط١، تحقيق ابراهيم عطوه عوض، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة، ص ٦١٢، حديث رقم ٢٤١٧، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (١٣٣٢هـ –١٩٦٢م). الألباني، **صحيح سنن الترمذي**، ج٢ص٥٧٢، حديث رقم٢٤١٧.

مريضاً فزرتموني... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبديّة المعدّة لإبليس وملائكته. لأني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني...حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك. فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حيوةٍ أبديّة"[(١)]. وفي التراث الإسلامي حديث قدسي مأخوذ عن مثل الدينونة، يقول فيه الله للإنسان يوم القيامة: "إن الله ﷻ يقول، يوم القيامة: يا بن آدم! مرضت فلم تَعُدني. قال: يا رب! كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين. قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تَعُده. أما علمت أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده؟ يا بن آدم! استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا ربّ! وكيف أُطعِمُك؟ وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلان فلم تُطعِمْه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا بن آدم! استسقيتك فلم تسقني. قال: يا ربّ كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تَسقه. أما إنّك لو سقيته وجدت ذلك عندي"[(٢)]"[(٣)].

إنّ الحديث سابق الذكر ليس من التراث الإسلامي ولكنه كنز من كنوز النبوّة المشرفة، إضافة إلى أنه حديث قدسي معناه من عند الله عز وجل ولفظه من عند النبي الكريم، ولا يقارن حديث قدسي بما ورد في الأناجيل المحرفة، كما لا يقارن لفظ جاء من عند الله تعالى بلفظ جاء به عبد من عبيده، كما أنّ إبليس لا ملائكة له وإنما أعواناً من الشياطين، وقد سبق الذكر أنّ أي تشابه يقع بين الإسلام وما سبقه من شرائع إنما هو من قبيل أنّ مصدرها واحد وأصلها من عند الله، وأن الحديث الشريف الذي استدلّ به المطران كيرلّس ما هو إلا غيض من فيض ودليل من الأدلة التي تشجع المرء على العمل الصالح؛ لأنّ أي عمل يقوم به الإنسان سيحسب إما له أو عليه لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الزلزلة: ٦-٨].

---

(١) **الكتاب المقدس:** إنجيل متى: ٢٥/٣١_٤٥. مرجع سابق.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، ص٦٥٧، حديث رقم٢٥٦٩. مرجع سابق.

(٣) بسترس، المطران كيرلّس سليم: **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك(١)**، ص١٢٤_١٢٦. مرجع سابق.

وبما أنّ الحياة الدنيا هي مزرعة الآخرة، فإنّ كل عمل يقدم عليه الإنسان في حياته سيسأل عنه في آخرته ويتلقى الجزاء المناسب له، وهذه العقيدة تمثل حافزاً إيجابيا للتمسك بالفضيلة، وهذا ما أشارت إليه لورا فيشيا بقولها: "إنّ من الخير أن نشير إلى عقيدة تعتبر حافزاً إلى التمسك بأهداب الفضيلة أقوى من أي ترغيب آخر. نعني العقيدة القائلة بأنّ هذه الحياة الأرضية تحمل في ذات نفسها بذرة الحياة الآخرة، وأنّ أيما عمل يقوم به المرء في دنياه هذه سوف يساعده على بلوغ السعادة القصوى في دار الخلد، وأنّ طهارة القلب والعمل الصالح ضروريان للفوز برضا الكلي القدرة، وأنّ كل امرئ سوف يجد، حين يواجهه الله يوم القيامة، ما عمل من خير أو شر محضراً. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الزلزلة: ٦-٨]﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة النساء: آية٤٠]"[١].

وأعمال الإنسان في الحياة الدنيا مهما صغرت أو كبرت كانت مجال اهتمام الشرع فقد قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق: آية١٨]؛ لأنه سيسأل عنها يوم القيامة وهي مدار الجزاء الذي سيلقاه فيقول تعالى:﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [سورة آل عمران: آية٣٠]، وإخباره ﷺ أنّ كل شيء في هذه الحياة سيسأل المرء عنها لقوله ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه"[٢]، إذ يقول توماس كارليل في ذلك: لقد كان هذا الرجل يرى الحياة أمراً جسيماً، ويرى لكل عمل إنساني، مهما حقر خطارة كبرى. فما كان من سيء، فله من السوء نتيجة أبدية، وما كان صالحاً، فله من الصلاح ثمرة سرمدية، وإن المرء قد يسمو بصالحاته إلى أعلى عليين، ويهبط بموبقاته إلى أسفل سافلين، وإنّ على عمره القصير، تقوم دعائم أبدية هائلة مخيفة. كل ذلك كان يلتهب في روح الرجل القفري، كأنما نُقش ثمة بأحرف النار. وكل ذلك قد

---

(١) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٨٠_٨١. مرجع سابق.

(٢) سبق تخريجه.

حاول في أشد إخلاص، وأحدّ حَدٍّ أن يُخرجه للناس، ويصوره لهم. فأخرجه وصوره في صورة تلكم النار والجنة"[١].

المطلب الثاني: الجنة والنار

بعد البعث والحساب يأتي الجزاء الذي يكون من جنس العمل وهو الدافع الذي يكمن من وراء أعمال البشرية والذي يرسم معالم الحياة الجديدة فإما إلى جنة وإما إلى نار، وفي ذلك يقول لاندو روم: "ففي المقام الثاني من الأهمية، بعد الإيمان بالله، أكد الإسلام على حياة المؤمن المقبلة في الجنة، وعلى مصير الكافر في جهنم"[٢].

ذكرت الجنة والنار في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان لكل منهما وصف يليق بحقيقة عمل المرء، فوصف الجنة في القرآن جاء بصور عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة الواقعة: ٢٧-٣٤]، وفي مجلس يصف النبي ﷺ به الجنة قائلاً: "فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٣]، أما عن النار فيقول جل شأنه: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾[سورة النبأ: ٢١-٢٥].

فترى الوصف الذي يرغب بالجنة وما فيها، وآخر يردع ويحذر من عقوبات جهنم، وحول ذلك يتحدث فيليب قائلاً: "والآيات التي يرد فيها ذكر يوم الحساب ووصف الآخرة تُحدث في النفس روعة شديدة وخشية. وتبدو الآخرة واضحة جداً وبارزة جداً في القرآن والحديث.... وللآخرة في الإسلام أسماء مختلفة. من هذه الأسماء: يوم الدين(٣٥:١٥) والبعث (٥:٢٢) واليوم (٣٣:٢٤) والساعة (٨٥:١٥) والحاقة (١:٦٩) والواقعة(١:٥٦) والحشر(٤٤:٥٠) والنشور (١٥:٦٢) ومن أسمائها القيامة، وفي القرآن الكريم سورة تامة اسمها القيامة هي السورة

---

(١) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص١٢٥. مرجع سابق.

(٢) لاندو، **الإسلام والعرب**، ص٤٢. مرجع سابق.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، ص٧١٧، حديث رقم٢٨٢٥.

الخامسة والسبعون، وهذه السورة القصيرة تدور كلّها على أحوال يوم القيامة. وجميع أحوال العذاب والنعيم الروحانيّين والجسمانيّين مثبتة (في القرآن الكريم خاصّة وفي الحديث) بألوان زاهية كأنّما لوّنتها ريشة رسّام صناع"(١).

فالمؤمن الذي أسلم أمره لله، وسار على نهج الأنبياء؛ يجزى بالجنة، وأما من كفر وعاند فمصيره إلى النار، فمثل ما كان للفضيلة حافز، فكذلك للرذيلة والسيئة رادع وهي نار جهنم، إذ تقول في ذلك لورا فيشيا: "ومن ناحية ثانية فإنّ عقوبات رهيبة وأليمة جداً تنتظر الأشرار والآثمين. إنّ يوم الحساب ليُصوّر في ألوان نارية. فالله، قاضي الكون الأعلى، سوف يسأل الأبرار أن يغادروا العالم الفاني ويلتحقوا به في صميم رحمته، على حين أنه سوف يقذف بكل أولئك الذين لم يلقوا بالاً لنُذُر الأنبياء إلى هاوية جهنم الملتهبة"(٢).

وتحت عنوان "وصف الجنة ونعيمها في الإسلام" يقول توماس كارليل: "وينكر البعض تغلب الحسية والمادية على جنة محمد وناره. فأقول: إنّ العيب في ذلك على الشراح والمفسرين، لا على ما جاء في الكتاب؛ فإنّ القرآن قد أقلّ جداً من إسناد الحسيات والماديات إلى الجنة والنار. وكل ما فيه عن هذا الشأن إيماءٌ وتلميح. وإنما المفسرون والشراح، هم الذين لم يتركوا لذة حسية، ولا متعة شهوية، حتى ألحقوها بالجنة، ولا عذاباً بدنياً، وألماً جثمانياً، حتى أسندوه إلى النار. ثم لا تنسوا أنّ القرآن جعل أكبر ملاذ الجنة روحانياً، إذ قال: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [سورة الزمر: آية٧٣]. فالسلام والأمن، هما في نظر كل عاقل، أقصى أماني المرء، وأعظم الملاذ قاطبة. والشيء الذي عبثاً يلتمسه الإنسان في الحياة الدنيا. وقال أيضاً: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [سورة الحجر: آية٤٧]. وأي رذيلة أخبث من الغل، مصدر المحن والمصائب، والنقم والآفات؟! وأي شيء أهنأ من التآلف والتصافي؟!"(٣).

وهنا نشير إلى أنّ الجنة التي يتحدث عنها كارليل هي ليس جنة محمد ﷺ وإنما هي الجنة التي وعد الله ﷻ بها عباده المتقين من أتباع محمد ﷺ كل من استقام في حياته الدنيا، ومثلما وصفت هذه الجنة بالأمور الروحانية لا ضرر من وصفها بالحسيات والماديات، فإنّ من يسلّم

---

(١) حتي، **الإسلام منهج حياة**، ص٧٣_٧٤. مرجع سابق.

(٢) فاغليرى، **دفاع عن الإسلام**، ص٨١. مرجع سابق.

(٣) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص١٢٣_١٢٤. مرجع سابق.

بوجود هذه الجنة حقيقة وما بها من أمور روحانية يتمتع بها سكانها، فإنّ من البدهي أن يسلم بسائر المتع والملذات فيها من كل ما لذ وطاب لأولئك الذين استقاموا على نهج ربهم وسمعوا وأطاعوا نبيّهم.

ويتابع توماس كارليل حديثه عن الجنة والنار قائلاً: "ويمكننا القول، على كل حال، بأنّ الجنة والنار هاتين، هما رمز لحقيقة أبدية، لم تصادف من حسن الذكر قط، مثلما صادفت في القرآن. وماذا ترون تلك الجنة وملاذها، وهاته النار وعذابها، وقيام الساعة التي يقول عنها: ﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾[سورة الحج: آية٢]. ماذا ترون كل هذه إلا ظلا تمثل في خيال ذلك النبي الشاعر للحقيقة الروحانية الكبرى"(١).

والحقيقة أنّ النبي الكريم لم يكن شاعراً﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة الحاقة: آية٤١]

وأنّ ما جاء به إن هو إلا تنزيل من عند الله﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الحاقة: آية٤٣] كما أنّ الجنة والنار هما أيضاً حقيقة واقعة يُجازى بهما كل شخص حسب ما قدم وأسلف في حياته الدنيا، وهما ليس خيالاً من بنات فكر النبي ﷺ، والذي أيقن وآمن أنّ هذا النبي نبي ولا كذب مرسلٌ من عند الله، عليه أن يعتقد جازماً بأنّ كل ما جاء النبي به ﷺ ليس من قبيل التخيل وإنما وحي من عند الله الذي أرسله للبشر مبشراً ونذيرا﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [سورة النجم: ٣-٤].

وفي حديثها عن الجنة التي وُعد المؤمنون بها تقول لورا فيشيا: "ومن الضروري أن ندحض، هنا، إتهاماً آخر يوجهه غير المؤمنين إلى الإسلام. وهو أنّ الإسلام وعد أصحابه بجنة حسيّة ذات حور عين، وأنهار من لبن وعسل، وفاكهة لذيذة، وحدائق وأعناب، ومجموعة مدرّجة من الملذات الممعنة في المادية. والواقع أنّ مثل هذه الاتهامات تنسى أنه لم يكن في ميسور أبناء الصحراء أن يفهموا وعوداً بمكافآت روحية مرهفة إلى أبعد الحدود. لقد كان من الضروري إعطاؤهم وصفاً واقعياً للجنة، وصفاً يكاد يكون ملموساً، في كلمات بسيطة. وما كان ممكناً، إلا

---

(١) كارليل، **محمد المثل الأعلى**، ص١٢٤_١٢٥. مرجع سابق.

فيما بعد، عندما بلغوا مستويات روحية أسمى، أن يخاطب البدو بلغة التعبّد لله في ضعة وحب. بيد أنه لمن البهتان البالغ القول إنّ محمداً وأتباعه فهموا هذه الأوصاف الواقعية فهماً حرفياً، لأنهم منذ البدء وجدوا فيها معنى أعمق من ذلك الذي يستطيع الوصف إظهاره، أعني أنّ السعادة العظمى سوف تكون، وفقاً للغزالي، في رؤى الروح المحسّنة في حضرة الكلي القدرة عندما يزاح آخر الأمر الحجاب الذي يفصل الإنسان عن الله، وتظهر الهالة السماوية بكامل تألقها"(١).

والحقيقة التي يجب التذكير بها؛ أن القرآن الكريم بخطابه لم يكن موجهاً لأبناء البدو فحسب، وإنما كان خطابه عالمياً وذلك بإنصاف وشهادة المنصفين مما سبق ذكرهم في الفصل الأول، ولا ضرر أن يصف القرآن الجنة بصور قريبة من العقل البشري لكي يستطيع تصورها وتتخيلها المخيلة البشرية حسب قدراتها، ولا ضرر ولا مانع من وجود مكافآت حسية فيها، فكما كانت الحياة الدنيا وشمولها على ملذات حسية وأخرى معنوية أو روحية فكذلك الآخرة وجناتها لا بد من وجود جميع الملذات بها دون التقليل من أي منها، وإن كان قمة النعيم رؤية الذات الإلهية فهذا لا يمنع من وجود سائر النعم والملذات، فالجنة حقيقة واقعة وكل نعيم فيها وارد لا نستطيع إنكاره، ويرتقبه المؤمنون ويتقبلونه بأي شكل كان، والسعادة لها أشكالها وألوانها وأنواعها، والمسلم يسلّم بها جميعاً في الحياة الآخرة، فالنعيم لا يقتصر على المادي ولا يقتصر على الشهوة، فنعم الجنة متعددة وكلها يأخذ بها المؤمن بالرضا والتسليم، وإلى ذلك يشير الكونت هنري قائلاً: "في القرآن نفسه في آيات كثيرة جاءت في السعادة الأخروية خالية من التشبيه والاستعارات. فلا يقول بأنّ المسلمين لا يعرفون سعادة ولا نعيماً مما وعدهم به القرآن غير ما كان مادياً شهوياً إلا من غفل تلك الآيات ومال إلى تغيير أصل الكتاب وقلب الحقائق التي ثبتت فيه"(٢).

---

(١) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص٨١_٨٢. مرجع سابق.

(٢) كاسترى، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص٦٧. مرجع سابق.

تعقيب ونقد

بعد الصفحات الماضية ودراسة ما خلص إليه المنصفون للإسلام سواء من أسلم منهم أو من بقي على دينه، تبين أنّ الأمر لا يتوقف على هذه الحياة الدنيا وما هذه الحيـــاة إلا مزرعـــة للآخرة، وأنّ الإنسان سيُسأل عما قدم، وأنه سيحاسب على أفعاله، أفعاله وحده فحـــسب، فـــإن أحسن جوزي إحساناً وإن أساء فله جزاء يوافق صنيعه.

والحياة الآخرة بما فيها من بعث وحساب وجزاء جذبت اهتمام المفكـــرين؛ لأنّ الإســـلام حرر العباد من مفهوم الخطيئة الأولى؛ فأعمال المرء وحده هي مناط المساءلة يـــوم القيامـــة، وليس للإنسان إلا سعيه في الحياة الدنيا، فكل إنسان يحاسب على ما قدم، وهذا ما يقرره القرآن الكريم إذ يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [سورة فاطر: آية رقم١٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة الأنعام: آية رقـــم١٦٤]، فمن يهتدي إنما يهتدي لنفسه، ومن يضل فأثر ضلاله وغيه أيضاً على نفسه وفي ذلـــك يقـــول تعالى في محكم كتابه: ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [سورة الإسراء: آية رقم١٥]، فلا يؤخذ أحد بذنب وجريرة أحد.

وليس هناك أحد أقدر على التعبير عن مشاعر الخوف والفزع التي تساور المرء كلمـــا تذكر أنه مرهون بذنب غيره، من أولئك الذين عاشوا تلك المشاعر فهذا نظمي لوقا الذي يتحدث عن تلك المشاعر بلا وجل فيقول: "أما الإنسان، فوقف بعد اليهودية والمسيحية موقفاً لا يحـــسد عليه كثيراً، بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم، ذلك الوزر الذي اعتبر خطيئة أولـــى، وخطيئة باقية موروثة، لا بد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البـــشري كافة. وإن أنسَ لا أنسَ ما ركبني صغيراً من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقت فيه من سياق مروع، يقترن بوصف جهنم ذلك الوصف المثير لمخيلة الأطفـــال، وكيـــف تتجدد فيها الجلود كلما أكلتها النيران، جزاء ووفاقا على خطيئة آدم، بإيعاز من حواء..وأنه لولا النجاة على يد المسيح، الذي فدى البشر بدمه الطهور، لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين.

وإن أنسَ لا أنسَ القلق الذي ساورني وشغل خاطري عن ملايين البشر قبل المسيح، أين هـم؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة"(١).

ومن حق كل فرد أن يتساءل مثل نظمي لوقا، فهل من العدل والمنطق أن يؤخذ الـبعض بجريرة وذنب الآخرين، إنّ مجرد التفكير في ذلك يورد في النفس يأساً مـن تحقيـق العدالـة، والعدالة تقضي بأن يسأل المرء عن أعماله هو وليس عن أعمال غيره، فكان في الإسلام السبيل للتحرر من كل أعباء وثقل هذه الفكرة، عندما قرر الحقيقة التي أعلنها القـرآن الكـريم بقولـه تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [سورة فاطر: آية رقم١٨]، فجعل بذلك الحـساب والجـزاء منوطاً بأعمال المرء، كما كان للإسلام عقيدة وشريعة الفضل في تصحيح مفـاهيم ومعتقـدات خاطئة وموروثة، طالما أثقلت عبء الكاهل البشري، فجعل الفرصة متاحـة للفـوز والنجـاة، وميدان التسابق والتفاضل مفتوح للجميع دون أحكام ونتائج مسبقة، وهو ما أقر به نظمي لوقا إذ إنّ بقاءه على مسيحيته لم يمنعه من قول كلمة حق والإدلاء بشهادة إنصاف في حـق الإسـلام وعقيدته إذ يقول: "فكان لا بد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة، وتطمئنهم إلى العدالة التي لا تأخذ البريء بالمجرم، أو وزر الولد بوزر الوالد، وتجعل للبشرية كرامة مـضمونة. إنّ المسئولية هي أساس الكرامة الإنسانية، وأساس كل حرية، وكل أخلاق ممكنة. وهذا ما قطع به الإسلام، ووضع به الحجر الأساسي لكرامة بني آدم. فيقول في سورة الـنجم ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آية رقم٣٩-٤٠] ويقول في أكثر من سورة على سبيل التأكيد﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾... ثم تجد فـي سـورة الإسـراء﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [آية رقم١٣]. والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولـى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة، التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كـل أفعـال المرء، فيمضي في حياته مضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق، بسبب ما أنقـض ظهره من الوزر الموروث. إنّ تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها. ورفعها عن كاهـل

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ص٨٣، ط٢. مرجع سابق.

الإنسان منة عظمى، بمثابة نسمة حياة جديدة فيه. بل هي ولادة جديدة حقاً ورد اعتبار لا شك فيه. إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه"[(١)].

لقد أدرك هذا الرجل قيمة الإسلام بعد ما لقي من مشقة في ظلال تلك الخطيئة في شريعة قومه، وعرف الفضل فنسبه لمستحقه، وأدرك أي نعمة ومنّة عظمى منّ الله بها على البشرية بهذا الدين الحنيف الذي حرر البشرية من قيود الخطيئة التي طالما كانت الصخرة الجاثمة على صدورهم، والعثرة الكامنة في دروبهم.

فكان لا بد للإسلام وهو الدين الخاتم أن يتناول جل الأمور بتفاصيل لا تخفى على أحد حتى لا يبقى فيها لبس، لا سيما أنّ ما سبقه من شرائع كانت قد طالتها يد العبث والتحريف فغاب منها الكثير الكثير، فكان لا بد من ربط الحياة الدنيا بالآخرة، وكان من حق العباد أن يتعرفوا على نتيجة أعمالهم واختيارهم، فيعلموا أي مصير ينتظرهم، إذ من العبث أن لا يكون بعد هذه الحياة حياة، إذ ما قيمة أعمالنا في هذه الدنيا إن لم نسأل عنها ونجازى بها؟ وما عزاء أولئك الذين خالفوا شهوات النفس وملذاتها واتبعوا نهج أنبيائهم ورسلهم؟ ما قيمة الحياة إذا لم يوجد رادع يردع المسيء ويزجره؟ أو ليس نهاية الحياة هذه بلا دار توزن بها الأعمال ويحصد المرء ما كان قد بذر، عبث يستنكره العقل والمنطق؟ ناهيك عن شريعة ما جاءت إلا لتنظم الحياة البشرية فتجعل منها وسيلة لغاية أسمى وأجل، أوليس من حق الزارع أن يحصد ثمار ما زرع، فإن لم يكن حياة أخرى فما معنى ذلك كله.؟

ليس عبثا أن يكون الإيمان بالحياة الأخرى ركناً أساسياً من أركان الإيمان بالله تعالى، فوجود هذا الإيمان بحياة المرء يجعل لهذا الوجود معناه وجماله، ولا معنى للحياة ولا أثر ولا مغزى لها إن لم يكن اليوم الآخر حقيقة تدرك وواقعاً تنتظره البشرية بل الكائنات كلها، حيث فيه تنطق العدالة حكمها فيكون الفلاح والجنة مصير من آمن وأسلم، والنار والشقاء جزاءً لمن كفر وكذب.

---

(١) لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، ص٨٥_٨٦، ط٢. مرجع سابق.

الفصل الخامس: الإنصاف في انتشار الإسلام وأثره على المجتمعات الغربية

توطئة

المبحث الأول: انتشار الإسلام ودور المنصفين فيه

المطلب الأول: انتشار الإسلام في أوروبا

المطلب الثاني: أثر المنصفين في نشر الإسلام

المبحث الثاني: أسباب انتشار الإسلام

المطلب الأول: الفوضى الدينية المتمثلة في تراجع النصرانية

المطلب الثاني: العوامل الذاتية في انتشار الإسلام

تعقيب ونقد

توطئة

لقد بدأ الرسول ﷺ دعوة الإسلام وعرض تعاليمه على قومه وسائر القبائل والشعوب بطرق سلمية تقوم على الحجة والإقناع منطلقاً من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[سورة النحل: آية١٢٥]. وقوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: آية٩٩].

وأخذ الإسلام ينتشر في المعمورة بالرغم من الصعوبات التي واجهها النبي الكريم والذين اتبعوه من التعذيب والتنكيل، ولم يقتصر انتشاره على الجزيرة العربية بل تعدى حدودها فدخل البلاد وقلوب العباد من خلال وضوحه وبساطته وواقعيته بما يتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وبما يتصف به أتباعه من أفضلية في الخلق وصدق وأمانة في التعامل، إلا أنّ أضغاثاً أخذت تثير الشبهات حول الكيفية التي انتشر الإسلام بها من استخدامه للسيف والقوة في فرض تعاليمه ومبادئه، فقيض الله للإسلام من ينصفه ويدفع عنه من شتى النِحل ومختلف الأجناس، فمنهم من تحول بنفسه إلى داعية وسفير لهذا الدين بين أبناء قومه ليسهم في نشر الحقيقة وتوضيح الصورة، فيستمر الإسلام بالانتشار لا يعيقه افتراء الجاهلين ولا أضغان الحاقدين.

المبحث الأول: انتشار الإسلام ودور المنصفين فيه

المطلب الأول: انتشار الإسلام في أوروبا

تعد سرعة انتشار الإسلام من القضايا التي يثار الجدل حولها، فيتناولها الافتــراء تــارة والإنصاف تارة أخرى، فكثيراً ما وجه للإسلام تهمة بأنّ انتشاره مدعوم بالقوة وتم فــي ظــل السيف، وهذا ما ستقف عليه الباحثة في الصفحات التالية، إذ ستعرض بعض الإحصائيات التــي تتناول انتشار الإسلام في الدول الأوروبية وتحاول أن تبين الأسباب التي تقــف وراء ســرعة انتشار الإسلام؛ وذلك بشهادة أبناء الغرب أنفسهم إذ إنّ رد التهمة من أبناء جلدة من ألقى بهــا أدعى للإقناع، وأقوى في الحجة.

انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في أنحاء المعمورة، وقد ساعد في انتشاره ســلوك أتباعــه وأخلاقهم، والحجة والإقناع التي رافقت المسلمين في دعوتهم، ففي إفريقيا انتشر الإسلام عــن طريق التجارة وما كان يتمتع به التجار من استقامة في السلوك وحسن في الخلق، فوجد أهــل هذه البلاد في دين هؤلاء التجار البساطة والسهولة والمساواة بين الناس، كما أنّ الطرق الصوفية بجهود أتباعها التي تمثلت في تعليم القرآن الكريم واللغة العربية كان له دور كبير فــي نــشر الإسلام(١).

وفي أسيا لم تختلف طرق انتشار الإسلام وأساليبها عنها في إفريقيا التي تمثلت في الدعوة السلمية والطرق الصوفية(٢).

كذلك انتشار الإسلام في ماليزيا ومالايو لم يكن عن طريق السيف ولا الإكراه إنما عــن طريق التجار والطرق الصوفية، ووصل الإسلام إلى النمسا عن طريق أفــراد مــن البوســنة والهرسك، ومن خلال أفراد من المسلمين رحلوا إليها وتزوجوا من فتياتها(٣).

وما زال يعتبر الإسلام الدين الأقوى من جهة استمرارية انتشاره ووصوله إلــى أرجــاء المعمورة، حتى في الفترة التي تراجع فيها حال المسلمين، وتأخروا عن ركب الحضارة لا سيما اليوم، وبلادهم وخيراتهم تتقاسمها الدول الكبرى، ويرزح قسم آخر منها تحت نير الاســتعمار، ففي الوقت الذي تراجعت فيه قوة المسلمين العسكرية كان انتشار الإســلام فــي اســتمرارية لا

---

(١) خليل، **ظاهرة انتشار الإسلام**، ص٢١٨_٢١٩،٢٢٠. بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص٢٢٢. بتصرف.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢٦، ٢٢٩_٢٣٠. بتصرف.

تراجع فيها، وهو واقع يدحض فرية انتشار الإسلام بواسطة السيف؛ إذ أين قوة سيف المسلمين اليوم والإسلام يسجل تقدمه وانتشاره الملحوظ في أمريكا والدول الأوروبية، مما أثار مخاوف اليهود في أوروبا من أسلمة هذه القارة، فتحت عنوان **مخاوف من أسلمة أوروبا** جاء: "أظهرت دراسة نشرت حديثاً في الولايات المتحدة مدى الرعب الذي ينتاب اليهود الأمريكيين من تزايد أعداد المسلمين في أوروبا، وهو الأمر الذي يقولون إنه يمثل تهديدا حقيقيًّا للولايات المتحدة ويمهد للقضاء على ما اعتبروه مسيحية أوروبا، ويُنذر بأسلمة القارة العجوز، على حد قولهم"(١).

بل إنّ برنارد شو تنبأ باعتناق الإمبراطورية البريطانية الإسلام قائلاً: "فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي. وفي الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومي، ومن أهل أوروبا قد دخلوا في دين محمد ﷺ حتى ليمكن أن يقال: إنّ تحول أوروبا إلى الإسلام قد بدأ، وأنه لن يمر القرن العشرون حتى تعتنق الإمبراطورية البريطانية الإسلام"(٢).

إنّ نبوءة برنارد شو لم تطلق من فراغ، فتوجه أبناء قومه على حد تعبيره للإسلام واعتناقهم له دلالة واضحة على حاجة تلك المجتمعات للإسلام لما يقدمه من حلول لمشاكل كثيرة يعاني منها أبناء تلك المجتمعات فوجدوا في الإسلام علاجاً فعالاً للخواء الروحي، هذا بالإضافة إلى حلول لعدة مشكلات عجزت أنظمتهم عن تلبيتها.

أوليس الإسلام اليوم يهاجم في عقر داره فضلاً عن أن يكون له سيف يضرب به في تلك الدول التي تناصبه الكيد والعداء؟ وعلى الرغم من ذلك فإنّ الدراسات والاستطلاعات تبين انتشار الإسلام في دول لا أثر لوجود قوة تابعة للإسلام تباشر نشر تعاليمه ومبادئه فيها، ولكنه مع هذا فهو في استمرارية مطردة، ومن هذه الدراسات: "دراسة أعدتها وزارة الداخلية الفرنسية: أنّ ٣٦٠٠شخص يعتنقون الإسلام سنوياً، وأنّ المسلمين الفرنسيين أكثر التزاماً، وتندر الجريمة في أوساطهم وتشير الإحصائيات أنّ بفرنسا ٢٣٠٠مسجد و٧ملايين مسلم ليصبح الإسلام الدين الثاني بعد المسيحية بفرنسا. بل هناك توقعات أنّ المسلمين سيمثلون ربع سكان فرنسا بحلول

---

(١) http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=٣٦٥٨

(٢) الحسيني، أبو النصر مبشر الطرازي: **الإسلام الدين الفطري الأبدي مع اعترافات الأجانب والمنصفين والتعليق عليها**، ط١، ج٢ص٢٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان،(١٤٠٥ه_١٩٨٤م).

عام ٢٠٢٥ بينما تشير تلك التوقعات أنهم سيمثلون ٢٠% من سكان أوروبا عام٢٠٥٠م، وهناك إحصاءات أخرى ترى أنه في عام ٢٠٤٠م سيكون المسلمون الأكثرية في أوروبا"[١].

كما أنّ عدد المسلمين في الولايات المتحدة تجاوز ستة ملايين مسلم ليصبح الإسلام من أكبر الديانات الخمس فيها[٢].

كما أنّ الإسلام أصبح يحتل المرتبة الثانية في السويد بعد المسيحية، مما جعل الحكومة السويدية تعترف به بل تقوم بتدريسه في المدارس الحكومية إلى جانب الديانة المسيحية، وهو ما يؤكده رئيس لجنة إشهار الإسلام بمشيخة الأزهر الشريف أنّ هناك أكثر من مليون ومائتي ألف أجنبي أشهروا إسلامهم خلال الأعوام العشرة الأخيرة طبقاً لإحصائية أصدرها الأزهر الشريف، وأن الغالبية العظمى من الذين أشهروا إسلامهم هم من أوروبا الشرقية، وتأتي الولايات المتحدة الأمريكية في المركز الثاني ثم أمريكيا الجنوبية، ثم دول شرق آسيا ثم إفريقيا[٣].

فاعتراف الدول الأجنبية ولو كان بعضاً منها بالإسلام وتدريسه في مدارسها إنما يشير ذلك إلى الحضور الإسلامي في تلك الدول واتساع رقعته التي ما عاد بالإمكان تجاهلها، وهذه الأعداد الهائلة التي تقبل على الإسلام لم توجد من فراغ وأنّ إقبال هؤلاء يأتي من تلقاء أنفسهم. وأن تحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الثانية في نسبة أعداد الذين أشهروا إسلامهم إنما يدل ذلك على انقشاع الضباب عن الإسلام عقيدة وشريعة، وتغير نظرة هؤلاء إلى الإسلام فبعد أن كانوا يجدون به العدو الذي يجب أن يقاتل أصبحوا يرون فيه الدين الذي يجب أن يدرس ويفهم قبل الحكم عليه، بل يهادن.

وأفادت دراسة لنمو الإسلام وانتشاره في الدول الأوروبية الآتي[٤]:

روسيا

في شهر يوليو من عام ٢٠٠٨ نشرت جريدة "برافدا الروسية" مقالاً بعنوان: "الإسلام سيكون دين روسيا الأول مع حلول عام ٢٠٥٠" ويعد الإسلام حالياً الدين الثاني بعد الديانة المسيحية الأرثوذكسية.

---

(١) الحمد، خباب بن مروان: **مبشرات في زمن الوهن، أسرار انتشار الإسلام في العالم مع اشتداد الهجمات عليه(دراسة تحليلية)**، ص١١_١٢.

(٢) الحمد، **مبشرات في زمن الوهن**، ص١٢. بتصرف.

(٣) المرجع نفسه، ص١٣_١٥. بتصرف.

(٤) http://ar.wikipedia.org

أمريكا

أشارت عملية مسح حديثة صادرة عن مركز الأبحاث الاجتماعية في جامعة جورجيا الأميركية، إلى أن الإسلام أسرع الأديان انتشارًا في الولايات المتحدة اليوم.

ويبلغ عدد المساجد في أمريكا – بحسب المسح – ما يزيد على ١٢٠٩ مساجد، بُني أكثر من نصفها خلال السنوات العشرين الماضية، وتتراوح نسبة الذين تحولوا إلى الديانة الإسلامية ما بين ١٧ و٣٠ بالمائة.

بريطانيا

يوجد في بريطانيا حالات اعتناق إسلام كبيرة وصلت إلى ١٠،٠٠٠ – ٢٠،٠٠٠ بريطاني يعتنق الإسلام سنوياً.

فرنسا

ذكرت مجلة «جون أفريك» الناطقة بالفرنسية، أن كتاب «**الأربعون النووية**» الذي يتضمّن أحاديث للرسول ﷺ ، الصادر باللغة العربية مصحوباً بترجمة باللغة الفرنسية، يحقق أعلى مبيعات في المكتبات الفرنسية؛ بسبب اهتمام الفرنسيين (مسلمين وغير مسلمين) بأحاديث الرسول، خاصّة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م، وما صاحبها من دعوات إلى «صدام الحضارات»، ودعوات أخرى ل« حوار الحضارات».

وأوضحت الصحيفة أن ارتفاع مبيعات الكتاب في «فرنسا» يرجع إلى أن الإسلام أصبح ثاني أكبر ديانة في فرنسا بعد النصرانية «الكاثوليكية»، مشيرةً إلى أن بعض المصادر الفرنسية تؤكد أن هناك نحو ٥٠ ألف فرنسي يعتنقون الإسلام كل عام.

ووفق هذه الاستطلاعات والدراسات سيتبوأ الإسلام المركز الأول بعدما كان يحظر على معتنقيه أن يظهروه ويلاحق أتباعه، لا سيما وهو يمتاز بامتيازات لا تتواجد في غيره من الشرائع، ففي الوقت الذي تواكب شريعة الإسلام ونظمه تطورات العصر وحاجات البشرية في مجالاتها كافة، تتقهقر سائر الشرائع بما تفرضه من قيود على أتباعها تتعارض وتتصادم مع حاجاتهم الفردية والإنسانية، العقلية والروحية على حد سواء، فإن رددنا أسباب انتشار الإسلام إلى قوة السيف فالسؤال يطرح نفسه أين يتراءى وجود المسلمين وقوتهم العسكرية في تلك المجتمعات التي تشهد تسارعاً ملحوظاً في انتشار الإسلام؟!. وأين السيف المسلط على رقابهم ليفرض عليهم دخول الإسلام إكراهاً وإجباراً؟! وما الدافع من وراء رفض أبناء الغرب أنفسهم

دعوى انتشار الإسلام بالسيف؟! فهذا إدوارد مونتيه[١] يرفض هذه الدعوى بل يكذبها إذ يقول: "لقد انتشر الإسلام منذ نشأته بسرعة، وقلما توجد _بل لا توجد أبداً_ديانات كانت تنتشر _ولا تزال تنتشر_ بمثل هذا الانتشار، وأنّ ما صادفه الإسلام من أول عهده كان عظيماً وباهراً، حتى لقد تكونت آراء طائشة عن حقيقة سبب تلك الفتوحات السريعة، التي وطدت سلطة محمد ﷺ وإصلاحه بعيداً عن حدود العرب، لقد كرروا ولا يزالون يكررون حتى الآن، إنّ نجاح العقيدة الإسلامية يرجع إلى العنف وإلى قوة السيف في عهد محمد ﷺ وعهد خلفائه الأولين، لكن هذه الفكرة قد كذبتها الوقائع"[٢].

لكن تكمن الإجابة في ذلك القوة الذاتية الكامنة في الإسلام نفسه ووعد الله ﷻ لنصر دينه وإظهاره على الدين كله فقد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة الصف: آية٩]. ولا أدل ولا أبلغ ولا أصدق من قول الحق سبحانه وتعالى من نشر دينه الخاتم ونصرة الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني: أثر المنصفين في نشر الإسلام

مما لا مجال لإنكار فضله ودوره في توضيح صورة الإسلام الحقيقية في تلك المجتمعات، وإبراز فضله ودوره وإسهام حضارته في سائر الحضارات هو إنصاف أولئك العلماء للإسلام ديناً وحضارة، على الرغم من أنّ الحقيقة التي نطقوا بها قد تعارض عاداتهم وأنظمتهم، فجاءت شهادة هؤلاء المنصفين شهادة حق خالصة لأنها لم تأت عشوائية أو من فراغ، إنما جاءت بعد دراسة وتمحيص، وبعد الاطلاع على كل صغيرة وكبيرة في هذا الدين الجديد، كما أنها جاءت من علماء لهم ثقلهم وفضلهم في مجتمعاتهم لاسيما أنهم درسوا الشرق وحال الإسلام والمسلمين عن كثب دراسة متفحصة ناقدة فخلصوا إلى ما توصلوا إليه، فمنهم من ترك دين الآباء والأجداد

---

(١) إدوارد مونتيه مستشرق من أصل سويسري، ولد عام١٨٥٦م، ودرس في جامعات جنيف وبرلين وهايدلبرج، حصل على الدكتوراه في اللاهوت من جامعة باريس عام ١٨٨٣م، عيّن أستاذاً للعبرية والآرامية والعهد القديم في جامعة جنيف، ثم أضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام، رأس جامعة جنيف في الفترة ما بين ١٩١٠م_١٩١٢م، توفي في عام١٩٢٧م.. http://www.saaid.net

(٢) الحسيني، **الإسلام الدين الفطري الأبدي**، ج١ص٩٦. مرجع سابق.

ضارباً بكل ما يترتب على ذلك من فقدان المال والجاه والسلطان عرض الحائط، ومنهم من بقي على دينه وعاداته واعتقاده دون أن يؤثر ذلك على مصداقيته وخلاصة أبحاثه ونتائج دراسته.

كما أنّ البعض من هؤلاء المنصفين الذين اعتنقوا الإسلام كان لهم الفضل الكبير في نشر الإسلام في مجتمعاتهم، فكانوا دعاة خير وسفراء سلام بين الإسلام وشعوبه وبين تلك المجتمعات الغربية التي تشبعت منذ نعومة أظافرها حقداً وعداءً للإسلام من غير وجه حق، حتى إذا تعرف هؤلاء على الإسلام واعتنقوه فحلّ السلام على قلوبهم والطمأنينة في نفوسهم أدركوا سبب الفراغ الذي يملأ مجتمعاتهم، والظلام الذي يسيطر عليها رغم تفوقها المادي والحضاري، علم هؤلاء أنّ الإسلام هو النبع الذي يسد الخلل في مجتمعاتهم، وأنه الدين الوحيد الذي يلبي كلّ احتياجاتهم، فأخذوا على عاتقهم تبليغ رسالة الإسلام ودعوة الحق ليأخذوا بيد غيرهم نحو النور والضياء فيكرم الله بالإسلام أبناء جلدتهم كما أكرمهم هم من قبل، فكان لهؤلاء السفراء والدعاة وسائل وبرامج إعلامية تتخصص باستضافتهم وتتعرف على قصص واقعهم ورحلة انتقالهم من دين الآباء والأجداد لدين خاتم الرسالات، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر حمزة يوسف هانسن(١) سراج وهاج(٢) خالد ياسين(٣)

---

(١) الشيخ حمزة يوسف هانسن (ولد في ١٩٥٨ باسم مارك هانسن في والا والا – واشنطن) داعية، باحث ومحاضر أمريكي في التاريخ في جامعة القرويين بفاس بالمغرب، مؤسس أكاديمية الزيتونة في الولايات المتحدة ولها فروع في ٦ مدن أمريكية. كما أنه يدرس في معهد الزيتونة. يعتبر أحد أكبر الدارسين والدعاة المسلمين في أمريكا والعالم الغربي بشكل عام وله نشاط ملحوظ وشعبية كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية باعتباره رمزاً يربط الإسلام بالغرب. ترجم العديد من المؤلفات الإسلامية إلى اللغة الإنجليزية.http://ar.wikipedia.org

(٢) الشيخ سراج وهاج أو جيفري كيرس قبل الإسلام. (١١ مارس ١٩٥٠م) هو داعية إسلامي من أمريكا ذو أصول إفريقية. اعتنق الإسلام ثم أصبح مرشداً مهماً للمسلمين في كندا وهو خبير معروف في الحوارات المسيحية الإسلامية. ولد سراج وهاج ونشأ بولاية نيويورك الأمريكية ودرس الرياضيات في جامعة نيويورك. اعتنق جيفري الإسلام في عام ١٩٦٩م وتسمى باسم سراج وهاج. كانت بداية الشيخ سراج الدعوية من مسجد صغير داخل شقة في بروكلين بولاية نيويورك، واستمر في إقامة الشعائر في هذا المكان بصحبة عدد لا يتجاوز الثلاثين ومع مرور الوقت بارك الله في هذا الجهد وتحول هذا المصلى الصغير إلى مسجد التقوى الشهير بنيويورك وصار هو إمامه كما أصبح من أشهر الدعاة في أمريكا الشمالية. وفي عام ١٩٨٨م قام الشيخ سراج مع المسلمين من تلامذته بحملة لمكافحة تعاطي المخدرات وقد نجحت هذه الحملة نجاحًا باهرًا ولاقت استحسانًا من جانب الأهالي والحكومة الأمريكية على نفس الدرجة.http://ar.wikipedia.org

(٣) الشيخ خالد ياسين: نشأ مسيحيا في الولايات المتحدة، ويقطن الآن في بريطانيا وقد أنشأ مؤسسة للدعوة ساهمت في إسلام أكثر من ستة آلاف شخص حول العالم وخاصة في بريطانيا وأمريكا وأستراليا حيث يقدم محاضرات لدعوة غير المسلمين للإسلام.http://ar.wikipedia.org

بـــــلال فيلـــــبس[1] زيـــــد شـــــاكر[2] نـــــوح كلـــــر[3] صـــــلاح الـــــدين بيرفوجيل[4] يوسف استيس[5] عبد الرحيم غرين[6].

وهؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام كان لهم الوقع الشديد على مجتمعاتهم خاصة أن ثلة مـــنهم كانت تتمتع بمناصب كنسية أو من المبشرين بالديانة المسيحية، فمن اعتنق الإسلام منهم كـــان على اطلاع واسع بالكتاب المقدس، فهذا الدكتور جاري ميلر الذي كان من المبشرين النـــشطين

---

(١) بلال فيلبس ولد في جامايكا ونشأ في كندا. ولد في عام ١٩٤٧م وهو مدرس وكاتب يظهر على قناة السلام وهي قناة تلفزيونية فضائية إسلامية تبث في العديد من البلدان في جميع أنحاء العالم. أعلن إسلامه فـــي عام ١٩٧٢م.http://ar.wikipedia.org

(٢) الإمام زيد شاكر عالم دين مسلم من الولايات المتحدة الأمريكية وواحد من أكثر الشخصيات المسلمة تأثيرًا في الغرب وهو من المؤسسين لمعهد الزيتونة في بيركلي بالولايات المتحدة. حاصل على الماجستير في العلوم السياسية في جامعة روتجرز. وعلى بكالوريوس شرفي في العلاقات الدولية من جامعة واشنطن. من مؤلفاته: "مقاومة العولمة بالأخوّة الصحيحة" و "الثقافة والإسلام في أمريكيـــا" و "التفـــسير والعلـــوم القرآنية" http://ar.wikipedia.org

(٣) نوح حاميم كلر داعية إسلامي مقيم في الأردن من أصل أميركي، ومن مواليـــد ١٩٥٤، زميـــل أول فـــي مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي بالأردن، وشيخ للطريقة الشاذلية في الولايات المتحدة الأميركية. اعتنق الإسلام أثناء دراسته للغة العربية في جامعة الأزهر بمصر، وتتلمذ في سوريا على الشيخ عبد الـــرحمن الشاغوري، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية سنة ١٩٨٨. وهو من الشخصيات البارزة في الحوار الإسلامي المسيحي، ومن المساهمين في مبادرة كلمة سواء التي وجّهها علماء من مختلف التيارات الإسلامية إلى شخصيات دينية مسيحية.http://ar.wikipedia.org

(٤) بيير فوغل (ولد في ٢٠ يوليو ١٩٧٨) داعية إسلامي ألماني وملاكم محترف سابق. يلقب أيضا بأبي حمزة. أنهى بيير دراسته الثانوية في برلين. اعتنق بيير الإسلام سنة ٢٠٠١ وبدأ دراسة العلوم الإسلامية فـــي الجامعة ليقطع دراسته بعده ذلك لعدم اقتناعه بعرض الإسلام في الجامعة.[1] ومن ثم غادر إلـــى مكـــة ليلتحق هناك بالمؤسسة العربية للأجانب في جامعة أم القرى. عاد بعدها إلى ألمانيا ليبدأ سنة ٢٠٠٦ في إعطاء محاضرات ودروس عن الإسلام.http://ar.wikipedia.org

(٥) يوسف إستس (١٩٤٤م) هو مبشر ومنصر وقسيس أمريكي تحول إلى الإسلام كان اسمه قبل إسلامه هـــو جوزيف إدوارد إستس أو جوزيف إيستس، ولد في الولايات المتحدة ونشأ في أسرة بروتستانتية مسيحية وأصبح قسيساً. حصل على شهادة ماجستير في الفنون سنة ١٩٧٤م وشهادة الدكتوراة في علم اللاهوت. بعد تعامله مع شخص مسلم مصري اسمه محمد عبد الرحمن اعتنق الإسلام سنة ١٩٩١م هو وزوجتـــه ووالده وزوجة والده، ثم تعلم بعدها اللغة العربية والدراسات الإسلامية مـــن ســـنة ١٩٩١م إلـــى ســـنة ١٩٩٨م في مصر والمغرب وتركيا. ويعمل في مجال الدعوة فـــي الولايـــات المتحـــدة ولـــه أشـــرطة ومحاضرات بالإنجليزية.http://ar.wikipedia.org

(٦) عبد الرحيم غرين (ولد باسم أنتوني فاتساوف غالفين غرين) بريطاني اعتنق الإســـلام ومؤســـس أكاديميـــة البحث والمنهج الإسلامي عرفه الوسط الإسلامي من ممارسته للدعوة إلى الإسلام من خلال ظهوره في التلفاز والدعوة في الأماكن العامة مثل الركن المختص بالخطب بمنتزة هايد بارك إضافة إلى أنه مقـــدم ومعد برامج على قناة السلام الناطقة باللغة الإنغليزية، يعمل الشيخ حالياً في قناة السلام وقنـــاة الإســـلام الناطقتين باللغة الإنغليزية إضافة إلى ترؤسه أكادمية البحث والمنهج الإسلامي. ومشاركته فـــي بعـــض المحافل الدولية مثل مؤتمر السلام في بومباي..http://ar.wikipedia.org

في الدعوة إلى النصرانية له دور كبير في نشر الإسلام، إذ أخذ يناظر رجال الدين النصارى، ويلقى المحاضرات واستمرت جهوده وخبراته في تأليف الكتب منها" "القرآن المذهل" و"الفرق بين القرآن والكتاب المقدس، وقد استفاد من خبراته أحمد ديدات إذ دعاه إلى جنوب إفريقيا لإقامة بعض المناظرات[(١)].

ومن أثر هؤلاء المسلمين الجدد ودورهم في انتشار الإسلام ما قامت به رئيسة جمعية الأخوات المسلمات بمدينة "زلتاو" في ألمانيا فبعد أن كانت نصرانية بروتستانتية اعتنقت الإسلام وحملت على عاتقها أعباء الدعوة؛ إذ عملت على تدريس وتعليم الإسلام للنساء الألمانيات المسلمات وغير المسلمات كل يوم أحد في مسجد مدينة هامبورغ، وتوزيع الكتيبات المجانية التي تعرف الإسلام باللغة الألمانية، كما أنها شاركت في كتابة المقالات في الصحف المحلية، وعملت على تخصيص قسم من بيتها لاستقبال النساء اللاتي يردن التعرف على الإسلام[(٢)].

وخلاصة ما توصل إليه كلا الطرفين له الفضل الكبير في إعادة طرح الإسلام بصورته الحقيقية أمام مجتمعاتهم، بصورته التي أوحى الله بها لنبيّه وليس تلك الصورة التي شوهتها أحقاد وأضغان الحروب الصليبية والحاقدين عليه، كما يعود لهم الفضل في إعادة النظر في فكر أبناء مجتمعاتهم التي أغلقها وأعماها التعصب إذ إنّ خطابهم لمجتمعاتهم وأبناء جلدتهم إنما يكون بلسان حالهم أبلغ وأعمق من غيره لأنهم أعلم بالخفايا المشتركة بينهم، ويترتب عليه الكثير مما يفتقده خطاب المسلم الشرقي الموجه لتلك المجتمعات وهو مما فطن وتنبه إليه محمد أسد إذ يقول في صريح العبارة: "كم من الرجال يمكنهم أن يتحدثوا إلى الغربيين عن الإسلام كما أتحدث أنا؟ لقد كنت مسلماً، ولكني كنت أيضاً غربي المنشأ، وهكذا كنت أستطيع أن أتكلم اللغتين الثقافيتين: الإسلامية والغربية"[(٣)].

نعم إنّ الغربي الذي نشأ في تلك المجتمعات معتقداً اعتقادها وممارساً لعاداتها ومتشرباً لأفكارها، ومدركاً لدقائق أمورها في جميع جوانب حياتها سواء الديني منها أو الثقافي أو الحضاري أو الاجتماعي فإنّ قدرته في مخاطبة أبناء جلدته وتبليغهم الرسالة تفوق قدرة غيره من الوافدين عليهم من خارج تلك المجتمعات، لا سيما أنّ هذا الذي يتحدث عن الإسلام اليوم هو نفسه ابن الغرب الذي استطاع أن يضع يده على الفوارق التي بين ما تربى ونشأ عليه وبين ما فهمه من الإسلام وعقله قلباً وعقلاً.

---

(١) عبد الفتاح، محمد عبد الحليم: **إظهار الحق**، ص١٦، دار الكتاب العربي، دمشق_القاهرة. بتصرف. مرجع سابق.

(٢) عبد الفتاح، **إظهار الحق**، ص٥٢. بتصرف. مرجع سابق.

(٣) أسد، محمد: **الطريق إلى الإسلام**، ط٥، ص٢٥دار العلم للملايين_بيروت،(١٩٧٧).

كما أنّ كتابات أولئك الذين أدركوا الحقيقة فشهدوا بها ونطقت بها ألسنتهم وأقلامهم وقامت أنظمتهم بملاحقة مؤلفاتهم وفرض العقوبات عليهم سيثير كل هذا حفيظة مجتمعاتهم حول ما نطقوا به وشهدوا له لاستحقاقهم كل هذا الأذى، تماماً كما حدث للأديب تولستوي الذي انتقد الكنيسة وتصرفات رجالاتها القائمة على الظلم، فقامت الكنيسة بدورها بتكفيره[١].

وبعد انتقاد تولستوي للكنيسة في مؤلفاته قام المجمع الكنسي المقدس بحرمانه من الكنيسة. بعث الشيخ محمد عبده برسالة له يشيد بما توصل إليه من حقيقة التوحيد ومما جاء في هذه الرسالة: "...وأكبر جزاء نلته على متاعبك في النصح والإرشاد هو الذي سمّاه الغافلون بالحرمان والإبعاد. فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم، أعلنوه للناس: انك لست من القوم الضالين"[٢].

وماذا ارتكب هذا الأديب حتى تنقلب الكنيسة عليه، وما الجريمة التي ارتكبها غير أنه رفض الظلم والعنف بكل أشكاله ؟حتى ولو كان صادراً من رجال الدين في الكنيسة، فقد كان يقر بقرارة نفسه ويعتقد أنّ الدين هو دين واحد دين الحق الذي يقوم على الاعتراف بالله وشريعته في حب الآخرين وإن اختلفت العقائد وتكررت[٣].

وهذا برناردشو[٤] الذي ألف كتاباً أسماه "محمد" فما كان من السلطات البريطانية إلا القيام بحرقه خوفاً من تأثر الرجل بالنبي الكريم، الذي بدوره سيؤثر على كل من يقرأ هذا الكتاب[٥].

---

(١) تولستوي، **حِكم النبي محمدﷺ**، ص٨. بتصرف. مرجع سابق.

(٢) تولستوي، **حِكم النبي محمدﷺ**، ص١١٤. مرجع سابق.

(٣) تولستوي، **حِكم النبي محمدﷺ**، ص١١٦. بتصرف. مرجع سابق.

(٤) جورج برنارد شو مؤلف ايرلندي شهير، ولد في دبلن عام ١٨٥٦م، وانتقل إلى لندن حيث أصبح في العشرينات من عمره. أول نجاحاته كانت في النقد الموسيقي والأدبي، ولكنه انتقل إلى المسرح، وألف ما يزيد عن ستين مسرحية خلال سنين مهنته. أعماله تحتوي على جرعة كوميديا، لكن تقريباً كلها تحمل رسائل اتهامات أمِل برنارد شو أن يحتضنها جمهوره، يعتبر فكرياً من الملحدين المتسامحين مع الأديان، عاش حياة فقيرة وبائسة أيام شبابه، ولأنّ حياته كانت في بدايتها نضالاً ضد الفقر، فقد جعل من مكافحة الفقر هدفاً رئيسياً لكل ما يكتب، وكان يرى أنّ الفقر مصدر الآثام والشرور، أراد أن يدعو إلى فكره الذي آمن به من خلال عرض مسرحي فما كان له إلا أن يصور بطله الديني في مسرحية عامة، لنشر آرائه الدينية من حيث الكفاح في سبيل حرية الرأي، ومن حيث الخلاص من التعصب الأعمى، ومن حيث التحرر من استعباد السلطة، لقد أراد أن يكتب مسرحية"محمد" ليلقي بآرائه هذه في صعيد واحد، حاز على جائزة نوبل في الأدب لعام١٩٢٥م، وجائزة الأوسكار لأحسن سيناريو لعام١٩٣٨م، من أشهر مؤلفاته "بيوت الأرامل" و"بيت القلب الكسير"، توفي عام ١٩٥٠م. http://ar.wikipedia.org

(٥) http://www.masrawy.com

والثورة العارمة التي قامت احتجاجاً على تسليم جائزة السلام لعالمة الاستشراق آنا ماري شمل[(١)] التي بذلت قصارى جهدها في الوصول للصواب وعملت على تقريب عدد من المسائل الإسلامية إلى الخاصة والعامة، وكانت تتوجه بدعوة المثقفين والسياسيين في الغرب إلى امتحان معلوماتهم عن الإسلام، وعدم قبول عقولهم من الأخذ عن المغرضين والجاهلين فيما يتعلق به، لكنّ هذه الثورة ضد آنا وجدت من يقف في وجهها من أبناء الغرب، ويساند آنا فتستلم الجائزة انتصاراً لكلمة حق قالتها وشهادة إنصاف أدلت بها[(٢)].

فمثل هذه المواقف لها وقعها وتأثيرها في نفوس أبناء المجتمعات الغربية أكثر من شهادات المسلمين أنفسهم، لأنّ البعض قد يفسرها إذ لو كانت من شهادات المسلمين من أنفسهم لفسرت انحيازاً من المسلمين لدينهم وشريعتهم، أما شهادة وموقف أولئك المفكرين والعلماء الذين لهم مكانتهم المرموقة في مجتمعاتهم، فيأتيان في نظر أبناء جلدتهم من باب الدراسة الموضوعية، خاصة أنها صدرت عن أشخاص لم يتحولوا عن دين الآباء وملة الأجداد.

إن تأثير شهادات المنصفين من غير المسلمين لا مجال لغض الطرف عنه في نشر الإسلام، ولو من طريق غير مباشر؛ إذ يجعل البعض يقبل على دراسة هذا الدين الذي أشاد به عالم أو مفكر أو أديب لا يدين به ولا صلة تربطه به غير الدراسة والبحث والاطلاع على أحوال المسلمين ومعتقداتهم عن كثب.

---

(١) ولدت آنا ماري شيمل في عام ١٩٢٢م في مدينة إرفورت بوسط ألمانيا لعائلة بروتستانتية تنتمي إلى الطبقة الوسطى. كانت منذ طفولتها شغوفة بكل ما يتعلق بالشرق معجبة بكل ما هو روحاني وصوفي في الإسلام والأديان الشرقية الأخرى، تعلمت العربية في عام ١٩٣٧ وقد تلقت إلى جانب ذلك دروساً في مبادئ الدين والتاريخ الإسلاميين، كما تعلمت الفارسية والتركية وكذلك الأردية، حصلت على عدة جوائز وأوسمة من الشرق والغرب، عادت في عام ١٩٩٢م وبعد خمس وعشرين سنة من العمل في هارفارد وكمبردج إلى بون حيث واصلت الكتابة عن الإسلام بالألمانية والانجليزية لتقريبه من قراء هاتين اللغتين، وقد أحرزت رغم مناوشات المناوئين في عام ١٩٩٥ وكأول مستشرقة ودارسة للإسلام جائزة السلام الألمانية التي يمنحها اتحاد الناشرين الألمان ويسلمها رئيس الدولة الألماني.
http://ar.wikipedia.org

(٢) إلياس، نديم عطا: **سَيقهر الماء صُمّ الحجر "آنا ماري شِمل" وجائزة السلام**، ط١، ص١٥،٢٧_٢٨، الدار الإسلامية للإعلام، بون_ألمانيا،(١٤١٦هـ_١٩٩٦م).

كما أنّ هناك ممن اعتنق الإسلام ديناً ومنهاجاً من استثمر جهوده في نشر هذا الدين، وأخذ على عاتقه مهمة إبلاغه لأبناء قومه، وعلى سبيل المثال لا الحصر جهود الشيخ عبد الله كويليام[١]، إذ قام بتحويل جزء من بيته لمسجد وأصدر صحيفتين تهتمان بالشؤون الإسلامية فكان لعمله هذا الأثر الكبير في نشر الإسلام في بريطانيا[٢].

لكن تتبع آثار هؤلاء المنصفين وما يترتب عليه من نشر للإسلام يكاد يكون من المستحيل خاصة أنهم ينتمون إلى جنسيات كثيرة ومختلفة ولا سبيل للإلمام بلغاتهم وإنّ الاطلاع على جميع ما نشروه من كتب ودراسات؛ من الصعوبة بمكان خاصة أن كثيراً من هذه الأعمال بقي بلغته الأصلية ولم يترجم للغة العربية.

إلا أنّ هناك أسباباً لانتشار الإسلام دفعته وبلغت به تلك المجتمعات ونشرت تعاليمه في بلاد يمثل المسلمون بها القلة القليلة ولا يملكون من القوة والأساليب إلا الكلمة وواقع حالهم لا غير، وهذه الأسباب التي كان لها الأثر في جعل الإسلام أكثر الأديان انتشاراً هي نفسها الأسباب التي توصل إليها أولئك المنصفون وتحدثوا عنها، إذ إنّ لانتشار الإسلام أسباباً أجل وأعظم من أن تختزل في جهود شخصية فردية، لأنّ هذه الجهود تبقى محدودة في مجتمعاتها، كما أنّ الفئة التي قد تتابع أعمال وإنتاج المنصفين وكتاباتهم في هذا الخصوص إنما أيضاً تبقى فئة محددة إذا ما قيست بنسبة انتشار الإسلام في أنحاء المعمورة، وهذه الأسباب هي ما سيأتي تفصيلها في المبحث الآتي.

---

(١) عبد الله، مفكر انكليزي، ولد سنة ١٨٥٦، وأسلم سنة ١٨٨٧، وتلقب باسم: "الشيخ عبد الله كويليام". من آثاره: "العقيدة الإسلامية"و "أحسن الأجوبة".(خليل، **قالوا عن الإسلام**، ص٨٣. مرجع سابق).

(٢) انظر: الزيادي، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، ص٢٣٠. مرجع سابق.

المبحث الثاني: أسباب انتشار الإسلام

استرعى انتشار الإسلام السريع انتباه الكثير من أبناء الغرب، فأخذ كل يدلي بدلوه، واتجهت فئة منهم إلى عزو أسباب ذلك إلى قوة السيف، وهي دعوى تطل علينا بين حين وآخر إلا أنّ الله قيض لهؤلاء من أبناء جلدتهم من يرد عليهم ويدحض حجتهم انطلاقاً من قاعدة عريضة في الدين الحنيف وهي قوله تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [سورة البقرة: آية٢٥٦]. وهو ما تم الحديث عنه في الفصل الأول تحت عنوان سماحة الإسلام، ومن ثم الاستدلال بالتاريخ الذي لم يسجل حادثة تشير إلى إجبار جماعة أو حتى فرد على اعتناق الإسلام ولا سيما في وقت كانت الصولة فيه والجولة للإسلام وأتباعه، بل إنّ أصحاب الديانات الأخرى لم يجدوا ملاذاً آمناً لحرية اعتقادهم وشعائرهم إلا في ظل حكم الإسلام انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [سورة العنكبوت: آية٤٦]. وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [سورة النحل: آية١٢٥]. والتاريخ ضرب أروع الأمثلة في تسامح المسلمين حكاماً ومحكومين مع أخوّة الإنسانية وإن اختلفوا بالمعتقد والفكر، كما أنّ الواقع اليوم أكبر دليل صارخ على انتشار الإسلام السلمي من غير مرافقة السيف أو أي نوع آخر من القوة خاصة والمسلمون اليوم بلغوا من الضعف السياسي والعسكري ما يندى له الجبين، بل يعدّون أقليات في تلك الدول الأجنبية التي ينتشر الإسلام فيها انتشاراً واسعاً دون أن يتمتعوا بأي سلطة أو نفوذ وقد سبق أن تحدثت الباحثة عن نسب انتشار الإسلام فيها في مستهل هذا الفصل.

بل إنّ لورا فيشيا ترد على من يعزو أسباب انتشار الإسلام للسيف قائلة: "إنّ أحداً لا يستطيع اليوم أن يزعم أنّ سيف الفاتح هو الذي يمهّد السبيل أمام الإسلام. على العكس، ففي الأصقاع التي كانت في يوم من الأيام دولاً إسلامية تولتْ مقاليد السلطة حكومات جديدة تنتسب إلى أديان أخرى، وعملت في أوساط المسلمين طوال فترات عديدة ومنظمات تبشيرية قوية، ومع

ذلك فإنّ هذه الحكومات وتلك المنظمات لم توفق إلى زحزحة الإسلام وإقصائه عن حياة الشعوب الإسلامية"(١).

وما ذلك إلا دليل على التزام الناس فيه طواعية وعن قناعة، والإسلام من أول يوم وهو محط أنظار الجميع أعداء وأصدقاء فلو أنه استخدم السيف والقوة في نشر تعاليمه وبسط نفوذه على القلوب والعقول، لسرعان ما تحدث عن ذلك التاريخ وسجلته الدراسات والوثائق، لكنها دعوى باطلة نقضتها أقلام الغربيين وأدلة المنصفين لتصبح أمام الحقيقة الساطعة هباء منثوراً.

وها هو جورج سيل(٢) من بني جلدتهم يرد على دعوى انتشار الإسلام بالسيف قائلاً: "لقد صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له في العالم، وإنّ الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعاً عظيماً"(٣).

لم تتبع أساليب القوة ولا العنف في نشر الإسلام لا قديماً ولا حديثاً، ولو أراد المسلمون ذلك لكان لهم ومن يمنعهم في وقت كانت الغلبة لهم؟ لكن مثل هذه الوسائل لا يتبعها الإسلام إذ لا يقبل من أحد الدخول فيه إلا عن طواعية ورضا، وفي ذلك يقول أحمد سوسة: "فلا القوة ولا العنف كانا سر انتشار الدين الإسلامي ولقد كان صدق دين محمد وليس شيء آخر سوى قوة ذلك الصدق الذي أثر في نفس نجاشي الحبشة"(٤).

لقد كانت دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام بداية دعوة سلمية وسرية، تجري سراً في البيوت وخلف الجدران حفاظاً على سلامة من اعتنق هذا الدين، وعلى الرغم من شدة العذاب والتنكيل الذي لقيه أتباع هذا الدين الحنيف إلا ذلك لم يردهم عن دينهم واستمرت الدعوة سراً ثلاثة عشر عاماً ثم جاء الأمر الإلهي بالدعوة الجهرية لقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [سورة الحجر:آية٩٤]، جاء الأمر بإعلان الدعوة وليس فرض القوة واستخدامها في نشر هذا الدين.

---

(١) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص٤٠. مرجع سابق.

(٢) جورج سيل مستشرق انجليزي ومحامٍ ولد في عام ١٦٩٧م بمدينةكانتربري في مقاطعة كنت بانجلترا، توفي سنة ١٧٣٦م بلندن، قام بترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية سنة ١٧٣٤م. http://ar.wikipedia.org

(٣) عمارة، **الإسلام في عيون غربية**، ص٨١.

(٤) سوسة، **في طريقي إلى الإسلام**، ص٢٠٣. مرجع سابق.

وهي النتيجة نفسها التي يقر بها لوبون إذ ينفي أن يكون انتشار الإسلام مستنداً إلى القوة أو السيف وإنما كان بالدعوة إذ يقول في ذلك: "...إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوْه من عدل العرب الغالبين مما لم يروْا مثله من سادتهم السابقين، ولِما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل. والتاريخ أثبت أنّ الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضّل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام...ولم ينتشر الإسلام بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها"[(١)].

أليس اتفاق هؤلاء في شهاداتهم حول انتشار الإسلام رغم تباعد أزمانهم واختلاف جنسياتهم، له من الدلالة ما لا يخفى على ذي عقل؟ أو ليس بقاء أولئك الذين اعتنقوا الإسلام مع زوال الحكم الإسلامي كما حدث في الأندلس وبشهادة علماء الغرب دلالة على دخول هؤلاء الإسلام عن قناعة تامة؟ إنّ صدور هذه الشهادة من هذه الفئة بالذات لهي أدعى بدفع شبهة انتشار الإسلام بالسيف والقوة التي لم يستند أصحابها على أسباب موضوعية، إنما نشروها لأهداف خاصة لا تحمل إلا الكيد والعداء للإسلام حضارة وشعباً وعقيدة وتاريخاً، لقد تعمدوا نشر دعوى انتشار الإسلام بالسيف في أوساط المجتمعات ولا سيما الغربية ليظهروا الإسلام دين الإرهاب وأن المسلمين متطرفون يميلون للعنف متعطشون لسفك الدماء، وقد تجاهلوا بأنه دين الرحمة والتسامح في ظله وحده يأمن الناس على حرياتهم وأملاكهم ومعتقداتهم دون النظر لجنسياتهم وانتماءاتهم الدينية، وأنّ القوة التي كان يلجأ إليها المسلمون إنما هي من الدفاع تارة ومن أجل توفير الحرية للناس والحفاظ على حقوقهم تارة أخرى، وحول هذا جاء في كتاب كيف نفهم الإسلام[(٢)]: "ويأخذ بعضهم في أكثر الأحيان على الإسلام نشره العقيدة بحد السيف، لكنهم ينسون قبل كل شيء أنّ دور الإقناع كان أكبر من دور الحرب في نشر الإسلام بشكل عام،...وينسون بعد ذلك أنّ "الله" في "العهد القديم" ليس أقل ميلاً إلى الحرب من "الله" في "القرآن"، بل العكس هو الصحيح، وينسون أخيراً أنّ المسيحية استخدمت السيف هي الأخرى منذ عهد قسطنطين".

---

(١) لوبون، **حضارة العرب**، ص١٦٢. مرجع سابق.

(٢) شيون، **كيف نفهم الإسلام**، ص٣١. مرجع سابق.

فكتاب العهد القديم يفيض بصور القتل ومشاهد الدماء ومن أمثلة ذلك ما جاء في الكتاب المقدس: "فحمي غضب الرب على إسرائيل. فقال الرب لموسى: خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس، فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل..."[١]. فقد صور الإله والأنبياء بمرتكبي المجازر، كما أنّ المسيحية نفسها قد فرضت عقيدتها بالقوة والعنف وحاربت كل من خالفها الرأي فكانت نهايته الطرد واللعن والتعذيب والقتل، فالشهادة السابقة شهادة غربية تضاف للشهادات المنصفة التي تظهر الإسلام _إن لم يكن بمجمله ففي مجال من مجالاته_ بصورته الصحيحة لتكون محاولة لتصحيح المفاهيم والحقائق حول ما يدور حوله من شبهات وافتراءات.

وبناء على ما سبق فإنّ أسباباً أخرى وعوامل تقف خلف انتشار الإسلام وهو ما سنقف عليه في الصفحات الآتية.

المطلب الأول: الفوضى الدينية المتمثلة في تراجع النصرانية

إنّ وجود الديانات السابقة لا سيما المسيحية التي انقسمت إلى مذاهب وطوائف يكفر كل منها الآخر وقد تحدث ﷺ عن هذا التفرق والانقسام قائلاً: "افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[٢] واستبداد الكنيسة برجالاتها وظلمهم وتسلطهم على العامة كان بمثابة عبء فوق كاهل الشعوب، وفوضى عارمة تعج بها المجتمعات وفراغاً روحياً لا يلبي حاجات النفس البشرية ولا متطلباتها أو تطلعاتها، فأحدث ذلك فجوة عميقة بين المؤسسة الدينية المتمثلة بالكنيسة وبين سائر طبقات المجتمع لا سيما أصحاب العقول المتعطشة للمعرفة وعلومها، وتمسك الكنيسة بالمظاهر الخارجية من الشعائر التعبدية أدى إلى ظمأ روحي باتت أوهن من أن

---

(١) الكتاب المقدس، سفر العدد: إصحاح ٢٥،ص١٩٠. مرجع سابق.

(٢) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء،** دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، كتاب العلم، ج١ص٢١٧، حديث رقم١٥٢، ورقم٤٤١، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. ثم ذكر بعده شواهد وقال بعدها: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث، ووافقه الذهبي أيضاً

ترويه بطقوسها، وتوجه الكنيسة إلى فرض معتقداتها بالقوة، وملاحقة أولئك الساعين وراء الإصلاح المنتقدين للظلم والجور من طبقات رجال الحكم والكنيسة أدى ذلك إلى لفت انتباه الناس إلى الدين الجديد خاصة رجال الفكر والعلم، الذي ينعم الجميع في ظله بحرية لا إكراه فيها، ولا وجود لتلك الطبقات التي امتلأت بها كنائسهم ومجتمعاتهم، وفي كنفه يتمتعون بالعبادة والمعتقد دون أي ملاحقات أو مضايقات، وهو تماماً ما تحدث عنه توماس آرنولد قائلاً: " وإنّ حالات المجتمع المسيحي نفسه قد جعلت هذه الجهود التي تنطوي على الغيرة والحماسة الدينية في اكتساب مسلمين جدد أشد أثراً وأعظم قيمة. ويعد تدهور الكنيسة الإغريقية في مقدمة هذه الحالات جميعاً. وإلى جانب طغيان الدولة البيزنطية في الشئون الزمنية، نشأ استبداد في الأمور الدينية جعل الحياة العقلية ترزح تحت عبء القرار الحاسم الذي حرّم كل مناقشة في شئون الأخلاق والدين. والشيء الوحيد الذي أقض مضاجعهم هو المجادلات العنيفة التي قامت حرباً عواناً على الكنيسة اللاتينية مقرونة بكل ما في المناقشات النظرية والكراهة العنصرية من شدة ومرارة. وتدهورت ديانة الشعب فأصبحت تراعي المظاهر الخارجية مراعاة تقوم على كثير من الوهم والريبة. ووجدت حماسة عبادتهم البالغة متنفساً في عبادة العذراء والقديسين والصور والمخلفات الأثرية؛ وانصرف عدد كبير عن كنيسة انحطت حياتها الروحية إلى الحضيض. ولما ملوا مناقشات لا نهاية لها حول مسائل مذهبية عويصة، كالانبثاق المزدوج لروح القدس، وأخرى تافهة كاستخدام الخبز الخمير أو الفطير في القربان المقدس، تقبلوا بصدر رحب تعاليم الإسلام الواضحة المفهومة التي تقوم على الوحدانية"(١).

إنّ هذا الحديث لم يصدر من مفكر مسلم يلتزم شريعة الإسلام، كلا، إنما هو صادر من نفس مجتمعهم الذي يدعي انتشار الإسلام بالسيف ومن بني جلدتهم، إنّ أي قانون أو دين لا يراعي المتطلبات الروحية والفكرية بل الجسدية في حياة البشرية، إنما معول هدمه سيكون من ذاته، فاهتمام الكنيسة بطقوس تعبدية لا مجال لفهمها وتقبلها بل يحتار العقل لتفاهتها حيناً وتعقيداتها حيناً آخر، سيجعل التابعين له يقبلون على دين يجدون فيه ملاذهم الروحي والجسدي والفكري، ويفتح الآفاق في حياتهم شاملة ولا يوصد الأبواب في وجوههم بناء على حجج لا قبول لها عقلاً وقلباً.

---

(١) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص١٨٥_١٨٦. مرجع سابق.

كما أنّ وقوف الكنيسة في وجه العقل وفرض القيود المجحفة عليه بل اعتباره من أعـداء الكنيسة الألداء كل ذلك أحدث فجوة بين أصحاب الفكر ورجال الدين، فكانت الكنيسة أفقر من أن تقدم للعقل دوره الذي تميز به بنو البشر، فلا تفسير ولا معرفة إلا ما تقدمه الكنيسة برهبانها وقساوستها وأما غير ذلك فمرفوض وممنوع(١)، في مقابل ذلك وجدوا في الإسلام ما يتوافق مع علومهم بل وجدوا به النبع الذي يروي ظمأ عقولهم، ويلبي تطلعاتهم الفكرية وحاجاتهم المعرفية، فأقبلوا عليه دراسة وفهماً، وهو الذي يولي العقل مكانة رفيعة ويحث على التدبر والتفكر – وقد تم الحديث عن ذلك في الفصل الأول تحت عنوان مكانة العلم في الإسلام – ويشير محمد أسـد إلى ذلك قائلاً: "والخلاصة أنّ الإسلام قد حرص على النشاط الثقافي الذي يشكل صفحات مـن أنصع صفحات التاريخ الإنساني. لقد أعطى هذا الحرص بقوله "نعم" للعقل و"لا" للإبهامية، "نعم" للعمل و"لا" للركود، "نعم" للحياة و"لا" للإماتة وقهر الجسد بخلاص النفس فليس عجيبـاً إذن، أنّ الإسلام حالما انطلق خارج حدود جزيرة العرب، اكتسب أتباعاً جدداً وأخذ الناس يدخلون فيـه أفواجاً. ورأى سكان سوريا وشمالي إفريقيا، وسكان إسبانيا بعد ذلك بوقت قصير، أنفسهم فجـأة تجاه دين ينكر مبدأ "الخطيئة الأولى" ويشدد على الكرامة الفطرية للحياة الأرضـية الدنيويـة، وهكذا التحقوا زرافات بالدين الجديد الذي علمهم أنّ الإنسان هو خليفة الله في الأرض. هذا، "لا أسطورة التسليم بحد السيف" هو التفسير لانتصار الإسلام المدهش في فجر تاريخه العظيم"(٢).

فأي مقارنة وأي موازنة بين الإسلام وغيره من تلك الديانات والشرائع التي لا تعطي قيمة لفكر الإنسان وعقله وتفرض عليه إقامة جبرية ضمن تعاليمها لا خلاص له منها فلا يـرى ولا يتصور إلا ما تتصوره وتراه فئة محدودة منها لا تتجاوز دائرتهم، فيعيش الفرد متناقـضاً بـين حاجاته الروحية والفكرية والجسدية وبين مراسيم وتعاليم كنيسته التي تحول بينه وبين إشباع تلك الحاجات، بل تعدّها من الرجس والآثام، فهذه المقارنات وملاحظة الفروق بين الإسلام وغيره لم تصدر من أبناء المسلمين الذي نشأوا وتربوا على مائدة الإسلام، إنما هي صادرة مـن أولئـك الذين عاشوا في غير كنف الإسلام حتى إذا ما تذوقوا طعم الحياة في كنف الإسـلام وباشـروا حياتهم في ظله أدركوا حجم الهوة وسعة الفجوة بينه وبين تعاليم غيره من الشرائع.

---

(١) انظر – على سبيل المثال –: موقف البابا ليون الثالث عشر والبابا بيو الثاني عشر، وكذلك ما نصت عليه الرسالة الدورية الصادرة عن المجمع الفاتيكاني في ١٩٦٥/١١/١٨. (الكلام: **تـاريخ وعقائـد الكتـاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس**، ص٣١١، ٣١٣، ٣١٧).

(٢) أسد، **الطريق إلى الإسلام**، ص٢٣٦. مرجع سابق.

والظلم الذي عاشته المجتمعات في ظل أنظمتها جعلها تطلع للإسلام كمحرر لها من وطأة الاضطهاد الذي تعانيه بكل أشكاله وهو ما تحدث عنه جارودي قائلاً: "كانت الشعوب تستقبل العرب المسلمين كمحررين لهم من نير الظلم الاجتماعي أو السياسي أو الاضطهاد الديني"(١).

نعم ففي ظل الإسلام تنمو الحريات وتتنفس حياة طبيعية بلا ضغوط ولا إكراه، فالإسلام يمقت الظلم الاجتماعي وعمل على محاربته انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [سورة ق: آية٢٩]، وقوله: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً"(٢)، ففي الإسلام تزول الطبقية والفوارق الاجتماعية ولا وجود للظلم السياسي في كنفه، إذ إنّ رجال السلطة بشر لا ميّزة لهم تجعلهم فوق عامة البشر، ولا إكراه في الإسلام على الالتزام بمذهب أو ملة أو نحلة وإنما الكل له حرية دينه ومعتقده بصرف النظر عن أي شريعة يتبع أو أي دين يدين.

المطلب الثاني: العوامل الذاتية في انتشار الإسلام

ويمتاز الإسلام في جوهره بعوامل ذاتية كان لها الأثر الكبير في سرعة انتشاره، وهذه العوامل توصل إليها من أنصف الإسلام وأقبل على دراسته والبحث في تعاليمه وحقيقته، وهي ما عبرت عنه لورا فيشا قائلة: "أية قوة أعجوبية تكمن في هذا الدين؟ أي قوة داخلية من قوى الإقناع تتصهر به؟ من أيّ غور سحيق من أغوار النفس الإنسانية ينتزع نداؤه استجابة مزلزلة؟"(٣).

لقد أدركت هذه المستشرقة بعقلها المنصف وفكرها الحر الذي لم تسيطر عليه أحكام ودراسات سابقة وتحدثت عن الإسلام بمصداقية، ولم تناصبه العداء والكراهية من قبل أن تفهم تعاليمه وتدرك حقائقه، لقد أدركت أنّ ثمة عاملاً جوهرياً يتمتع به هذا الدين حتى بلغ ما هو عليه، أيقنت أنّ به قوة تقوم على الإقناع فتستجيب لها النفس البشرية برضا غير مشوب بعنف أو إكراه.

---

(١) جارودي، **الإسلام دين المستقبل**، ص٤٠_٤١. مرجع سابق.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٢ص١١٩٨، حديث رقم٢٥٧٧. مرجع سابق.

(٣) فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ص٤٠. مرجع سابق.

ومن العوامل الذاتية التي تكمن في سر انتشار الإسلام ما يلي:

أولاً: الوحدانية التي هي أجل التعاليم وأبرزها في الإسلام الحنيف، فالإسلام يرفض الخضوع والعبادة إلا لواحد أحد، بعكس المسيحية التي ملأت رؤوس أتباعها بالأقانيم الثلاثة التي ما زال يعجز سادتهم عن إعطاء تفسير جلي واضح لها، ففي الإسلام لا يتشتت المرء بعبادته وبتوجهه ومقصده، وهذا من الأسباب التي شدت انتباه كثير ممن أسلموا وأثارت اهتمامهم بهذا الدين فتحدثوا فيها كثيراً، كما أنّ صفات الله في الإسلام تفوق صفات البشرية فلا تشابه فيها، فيطمئن المسلم بعبادة الله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: آية١١]. بعكس تلك الشرائع التي تمثل الله بصفات النقص، وتلقي عليه نعوتاً وأوصافاً لا تليق بكرام البشر فضلاً عن أن تليق بإله يعبد، وقد أشار إلى ذلك الكونت هنري في معرض حديثه عن أسباب انتشار الإسلام قائلاً: "وهكذا جذب الإسلام قسماً عظيماً من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الإلهية على صفات فوق صفات البشر"(١).

والجدير بالذكر إلى أنّ العقل البشري لا يستطيع أن يتصور الذات الإلهية، وإنما باستطاعته التفكر والنظر في آثار قدرة الله وعظمته في خلقه، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذاته فتهلكوا"(٢).

ثانياً: بساطة العقيدة الإسلامية الخالية من أي تعقيدات، وبساطة مذهبها، كما أنها لا تتطلب طقوساً معينة لاعتقادها وللسير على منهجها، فهي لا تحتوي على تلك التعقيدات اللاهوتية التي تشتمل عليها تلك الأديان مما يتيح ذلك لأي فرد فهمها بل شرحها بعباراته البسيطة المتواضعة، وهذه البساطة التي تمتاز بها العقيدة الإسلامية هي من الأسباب التي عزا إليها أرنولد نجاح المسلمين في نشر الإسلام إذ يقول: "في مقدمة هذه الأسباب بساطة العقيدة الإسلامية، لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وكل ما يطلب من الذي يدخل الإسلام، قبول هاتين الشهادتين...إنّ هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان، ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة، وإنها لتدخل في نطاق أحط دركات الفهم والفطنة. ولما كانت خالية من المخارج

---

(١) كاستري، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص٨٩. مرجع سابق.

(٢) قال الألباني: حسن لشواهده. الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٤ص٣٩٥، رقم الحديث ١٧٨٨.

والحيل النظرية اللاهوتية، كان من الممكن أن يشرحها أي فرد، حتى أقل الناس خبرة بالعبارات الدينية النظرية"(١).

فالإسلام يمتاز بوضوح لا غموض فيه يمكن أي فرد من الاطلاع على تعاليمه وفهمها دون تكلف ودون حاجة لمستوى ثقافي معين، فالأمي والجاهل والعالم والمفكر والمتوسط بين هذا وذاك يمكنه فهمه بسهولة دون صعوبة أو أي تعقيد، هذا بالإضافة أنه لا يوجد في الإسلام وسطاء بين العبد وربه، ويكتفي المسلم بأن يناجي ربه بما يدور في خلده دون تحرج من أحد أو ريبة من أن يفضح أمره، وهو ما تنطق به الآية الكريمة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [سورة البقرة: آية١٨٦] فمجرد أن ينطق المرء هذه الشهادة مقتنعاً مسلماً بها يصبح مسلماً ولا يتطلب منه مراسيم وصكوكاً، بساطة وسهولة امتاز بها الإسلام عن غيره، ولم يشهد أي معتقد أو نحلة مثيلاً لها.

ثالثاً: الإسلام دين الفطرة التي يلبي حاجاتها ولا يكبتها ولا يقهرها، سهل في تطبيقه على مختلف الأزمان وفي كلّ الظروف، إذ لا تعارض بين تعاليمه والفطرة، فهو يرتقي ويسمو بالإنسان عقلاً وقلباً في آن واحد، فلا يقهر الجسد في سبيل الروح بل يعطي كل جانب حقه دون طغيان أو إهمال وذلك عكس سائر الشرائع كما في المسيحية التي تحارب الفطرة بل تناقضها وتكبتها في نظام الرهبانية التي ما أنزل الله بها من سلطان، وفي ذلك يقول الكونت هنري: "...وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئاً مما يشتهون"(٢).

فاهتمام الإسلام في جميع جوانب الحياة الإنسانية أوجد ذلك متسعاً في قلوب ملايين البشر، والإقبال عليه وهو ما ذهب إليه صاحب كتاب **الإسلام في الشرق الأقصى**(٣) قائلاً: "إنّ الإسلام قادر _بالفعل_ على إرضاء الميول الروحية والتطلعات الاجتماعية نحو الوحدة الفكرية والعضوية في المجتمع؛ ومن المحتمل أن تكون قدرة الإسلام على تمثل وهضم العناصر

---

(١) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص٤٥٤. مرجع سابق. أنظر أيضا: كاستري، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص٨٩. مرجع سابق.

(٢) كاستري، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص٨٩. مرجع سابق.

(٣) مخوّل، قيصر أديب: **الإسلام في الشرق الأقصى وصوله وانتشاره وواقعه**، ص١٢٧_١٢٨، تعريب نبيل صبحي، دار العربية_بيروت.

المختلفة وصهرها مع الزمن في قالب إسلامي، أقول من المحتمل أن تكون هذه الخاصية في الإسلام سبباً من الأسباب التي تحبب الناس -على اختلاف مشاربهم- به".

لقد تعامل الإسلام منذ اللحظة الأولى مع الإنسان كوحدة واحدة فلم يفصل بين روحه وجسده وإنما اهتمامه شمل الناحية الجسدية والتطلعات الروحية، فالإسلام أخذ بالاثنين ووازن بينهما فهما كالجناحين للطائر إذا سقط أحدهما سقط الآخر، وذلك عكس لليهود التي أخذت واهتمت بالمادة والنصرانية التي قدمت الروحانية على المادة، فإذا كان التعامل مع الإنسان بهذه الكيفية التي لا تجزيء فيها ولا تغليب لجانب دون جانب بخلاف ما سبقه من شرائع، فإنه لا بد أن يُخرج الإنسان المتوازن المتكامل في حياة قدم لها الإسلام شريعة كاملة متوازنة، وفي هذا وجدت الشعوب ضالتها التي طالما جهدت في البحث عنها، وظمئت وهي تتنقل من شريعة لأخرى ساعية للتوفيق بين روحها وجسدها دونما أي نتيجة، حتى وجدت في الإسلام ما تصبو إليه ويروي ظمأها فأقبلت عليه إقبالا يقودها فيه قناعتها الفكرية والروحية.

رابعاً: الإسلام دين العقل[١] ففي رحابه يولى العقل أهمية ومكانة لا توجد في غير الإسلام، إذ يحث الإسلام على الاستفادة من هذه المَلَكة ويدعو إلى أقصى درجة من الاستفادة منها وتوظيفها في التوصل إلى الإيمان ومعرفة الله عن بصيرة ومعرفة[٢].

لقد كرم الله عز وجل بني آدم بالعقل على سائر خلقه وجعله مناط التكليف. يعد القرآن الكريم هو الطريق لمعرفة مكانة العقل في الإسلام ، فمنذ اللحظة الأولى التي نزل فيها القرآن اعتمد الخطاب العقلي والحجة العقلية.فبهذا العقل يستطيع الإنسان التوصل إلى الحقائق الكونية الدالة على الباري جل في علاه، ولقد تنوعت آيات القرآن الداعية للنظر والتفكر بما يناسب حال

---

(١) العقل لغة هو: عقل: العقل: الحجر والنهى ضد الحمق، والجمع عقول. عقل يعقل عقلاً ومعقولاً، وهو مصدر قال سيبويه: هو صفة، وكان يقول إن المصدر لا يأتي على وزن مفعول البتة، ويتأول المعقول فيقول: كأنه عقل له شيء أي حبس عليه عقله، و عقل، فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء. رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، و المعقول: ما تعقله بقلبك.(ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١ ص٤٥٨، مادة عقل). والعقل اصطلاحاً هو: جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا. وقيل: العقل: جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان. وقيل: العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل. وقيل: العقل: جوهر مجرد عن المادة متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف. وقيل: العقل قوة للنفس الناطقة فصريح أن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة وأن الفاعل في التحقيق هو النفس والعقل آلة لها بمنزلة السكين بالنسبة إلى القاطع، وقيل: العقل والنفس والذهن واحدة إلا أنها سميت عقلاً لكونها مدركة وسمّيت نفساً لكونها متصرفة وسميت ذهناً لكونها مستعدة للإدراك، العقل ما يعقل به حقائق الأشياء قيل محله القلب. (الجرجاني، **التعريفات**، ج١ص١٩٧).

(٢) أنظر حول ذلك: أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص٤٥٤. مرجع سابق.

القوم بادئ الأمر فكانت من البيئة المحيطة بهم كقوله تعـالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [سـورة الغاشية: ١٧-٢٠]، فهذه الآيات مثال واضح للدعوة في إعمال العقل، ومشاهدة محسوسة في حياة الأعرابي، ومن خلالها يستطيع التفكر في آيات الله. كما نبه القرآن الكريم إلى كثير من الأمور الداعية إلى النظر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى وفي الكون المحيط بها كقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [سورة الذاريات: ٢٠-٢١]، فمثل هذه الآيات يوجه المولى عز وجل عباده إلى النظر في أنفسهم وكيف خلقت هذه النفس ويتدبروا عظيم خلقه وقدرته وها هي النفس موجودة ولكن لا أحد يعلم كنهها إلا خالقها عز وجل. لقد جعل الله تبارك وتعالى في كل شيء آية دالة عليه سبحانه، لذا نجد الكثير من الآيات تخاطب ذوي الألباب العقلاء منها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس: آية١٠١]، وقوله:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف: آية٢]، وقوله:﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[سورة آل عمران: آية٧]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: آية٤٣]، وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر: آية٢١]، فهذه الآيات وغيرها الكثير جاءت لتخاطب العقل وتحثه على النظر فكيف لا يكون الدين الإسلامي هو دين العقلاء.

خامساً: إلغاء نظام الطبقية في الإسلام فالكل سواسية وإنما التمايز يكون بالتقوى ودرجة الالتزام بهذا الدين إذ يتحدث "ناجيموراموني"(١) عن سبب إسلامه قائلاً: "لقد اعتنقت الإسلام لأنه

---

(١) ناجيمو راموني من غانا، بإفريقيا الغربية، ولد لأبوين مسيحيين، عضوين في كنيسة البعثة المعمدانية، وتلقى تعليمه في المدارس التبشيرية، ولما بلغ العشرين بدأ مهمته كمبشر متحمّس، لكنه عثر يوماً على كتاب عن الإسلام قدمه إليه أحد أصدقائه فاهتزّت قناعته بالنصرانية أمام صدق الإسلام ووضوحه ودقته المعجزة، واستمر في طريق البحث عن الحق حتى تاريخ ١٩٦٣م حيث أعلن إسلامه. http://islamport.com

دين طبقات الناس جميعاً، كبيرها وصغيرها، غنيّها وفقيرها، دين الأحرار والعبيد، والسادة والمسودين"[(١)].

جاء الإسلام ليقر بأنّ ميزان التفاضل بين الناس التقوى حيث قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [سورة الحجرات: آية١٣]. وجاء في الحديث الشريف: "إنّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[(٢)].

سادساً: لين المعاملة والتسامح الذي وجدته الشعوب من الفاتحين المسلمين، في وقت كانوا قد عاشوا مرارة الظلم والعدوان من غيرهم، وقيامه على الأمر بالعدل والإحسان[(٣)].

فقد كان عماد الدعوة الإسلامية الكلمة والموعظة الحسنة حيث قال ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [سورة النحل: آية١٢٥]. فهذا أصل الدعوة في الإسلام حتى مع الذين لم يعتنقوا الإسلام من أهل الكتاب إذ يوجه الله تعالى لكيفية دعوتهم والتعامل معهم فقد قال ﷻ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [سورة العنكبوت: آية٤٦].

سابعاً: ملاءمة الإسلام لكلّ الأجيال والأزمان، فهو لا يتوجه لجيل معين وزمان محدود، وهو ما يراه "تاجيموراموني" قائلاً: إنّ الإسلام هو أعظم الأديان ملاءمة لجيلنا المتحضر ولكل جيل. فالإسلام لا يفصل بين الدين والدنيا بحيث تتحول الحياة إلى طريقين مختلفين تماماً، وهذا يشكل خلاصة الأزمة المعاصرة للإنسان"[(٤)].

---

(١) www.startimes.com

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، باب تعليم الفرائض. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس. مرجع سابق.

(٣) كاستري، **الإسلام خواطر وسوانح**، ص٣٩. لوبون، **حضارة العرب**، ص١٥٩. بتصرف.مرجع سابق.

(٤) www.startimes.com

نعم لأنّ الإسلام يحمل في صفحاته الناصعة الواضحة كل أسباب النجاح والملاءمة لجميع العصور ولشتى المجالات فهو دين الحياة والعلم والعمل دين الرحمة والسماحة، وهو الدين الخالد الذي يصلح لكل زمان ومكان ويواكب جميع متطلبات العصر بما فيه من سعة ورحابة في قبول الأمور المستحدثة في كل عصر وقوم.

كما أنّ الإسلام يقدم حلولاً للمشكلات التي تواجه المجتمع مما دفع برنارد شو للقول: "إني أعتقد أنّ رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم في العالم بأجمعه، لتم النجاح في حكمه ولقاده إلى الخير، وحلّ مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة"[(١)].

إنّ هذه المقدرة التي توقعها واعتقدها برنارد شو في محمد ﷺ ولم يتوقعها في زعيم أو مسؤول آخر إنما لإدراكه بأنه رجل يختلف عن كل الرجال، إنّ هذا المسألة محسومة في شخصية النبي العظيم لأنه لم يسد العدل الاجتماعي والسياسي إلا في عهده وعهد من سار على دربه من الخلفاء المسلمين، ولم تكن هذه الميزة موجودة في الإمبراطوريات السابقة على الإسلام ولم توجد في الحكومات اللاحقة على الخلافة الإسلامية الحقة، فهو ينظر إليه من نظرة مفادها كما يقول: "لقد وضعت دائماً دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته العظيمة، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة، بحيث يستطيع أن يكون جذاباً لكل زمان ومكان"[(٢)].

نعم إنه دين الله الخالد الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو الدين الذي تعهد الله بنصره حيث قال في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة المجادلة: ٢٠-٢١]، وجاء في تفسير هذه عند صاحب **الظلال**: "يقرر أنّ الله ﷻ كتب على أعدائه الذلة والهزيمة وكتب لنفسه ولرسوله الغلبة والتمكين"[(٣)].

---

(١) فراج، عز الدين: **نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي**، تقديم محمد عمارة، ص٤١.دون طبعة وسنة ومكان طباعة. الحسيني، **الإسلام الدين الفطري الأبدي**، ج٢ص٢٢٦. مرجع سابق.

(٢) فراج، **نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي**، ص٤١. مرجع سابق.

(٣) قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ط٣٤، مج٦، ج٢٦ص٣٥١٤، دار الشروق، القاهرة_بيروت،(١٤٢٥هـ_٢٠٠٤م).

كما أنّ هناك من الغربيين من ينظر للإسلام نظرة امتنان وتقدير فهم يرون في تطبيق الشريعة الإسلامية تقديم حلول للجرائم والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية، فقد قام الدكتور روان وليامز كبير أساقفة كنيسة كانتربري بالدعوة إلى تطبيق بعض جوانب الشريعة الإسلامية في بريطانيا، واعتبر ذلك بأنه أمر لا مفر منه لتماسك المجتمع البريطاني وذلك من خلال حديث له مع إذاعة "بي بي سي" في شهر فبراير عام ٢٠٠٨م(١).

ذلك لأنه كما تقدم الإسلام دين حياة ولا يفصل بين الجسد والروح ولا يفرق بين غني وفقير ولا يتعامل على أساس الأنساب ولكن ميزان التفاضل هو التقوى.

تعقيب ونقد:

إنّ انتشار الإسلام الحنيف جاء متناسبا ومتناغماً مع كل ما يحمل من تعاليم ومبادئ تناسب البشرية في كلّ أطوارها ومراحل نموها، فهذا الدين لا تهزه العقبات، ولا تحول دون تقدمه العثرات فتجده ينتشر كأشعة الشمس يخترق الحجب ليشرق في عقول وأفكار أولئك الذين أقبلوا على دراسته وقد نأوا بأنفسهم بعيداً عن مشاعر الحقد والكراهية والتزموا منهج المصداقية والموضوعية، فكانوا بذلك سفراء لبلادهم يحملون بجعبتهم الكثير عن الإسلام الذي كثيراً ما صوّر لهم عكس حقيقته، فتجده يعم وينتشر في أعماق تلك المجتمعات التي لا تكل بالتربص له، ويغزو عقر دار أولئك الذين تصدروا للهجوم عليه، وصدق رسول الله إذ قال: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر"(٢).

وإذ نظرنا وتأملنا أسباب ذلك وجب أن نتذكر إضافة للعوامل التي تم ذكرها سابقاً عاملاً يتصدرها وهو تكفل الله ﷻ بحفظ ورعاية هذا الدين من اللحظة الأولى، فهو القائل جل شأنه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: آية٩]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ

---

(١) الحمد، خباب بن مروان: **مبشرات في زمن الوهن، أسرار انتشار الإسلام في العالم مع اشتداد الهجمات عليه(دراسة تحليلية)**، ص١٤. بتصرف.

(٢) النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ط٢، ج٥ص٦١٥، تحقيق عبد السلام محمد بن عمر علوش، دار المعرفة_ بيروت،(١٤٢٧هـ). وقال عنه الحاكم صحيح على شرط الشيخين. وقال عنه في مشكاة المصابيح إسناده صحيح: ابن حجر، **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة**، ج١ص٧٦،رقم الحديث ٣٩.

ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة: آية٣٣]، وقوله تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [سورة الفتح: آية٢٨].

وقد أخبر الصادق الصدوق عن انتشار الإسلام فقد قال ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها"(١).

وهذا الانتشار الذي ما زال الإسلام يواصله، وتكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين إن هو إلا نتيجة منطقية بل حتمية كون الإسلام آخر الشرائع السماوية، فإن كانت تلك الشرائع قد طرأ عليها التحريف والتبديل فلأنّ الله بداية لم يتكفل بحفظها، كما أنها كانت في زمان محدد ولقوم معين، فطبيعي أن يأتي شرع جديد لزمان وقوم جديدين، أما الإسلام وقد تم بيان صلاحيته للناس كافة وعبر العصور، وبأنه الدين العالمي شهد بذلك أبناء الغرب أنفسهم، لذا كفله الله من أي تحريف أو تبديل مهما صغر شأنه لأنه لا مجال لرسالة تأتي بعده.

كما أنّ الهجمات الموجهة لصميم الرسالة الإسلامية التي تشن بين فترة وأخرى، كان لها الأثر العكسي والمردود السلبي على تخطيط أصحاب تلك الهجمات، فقد كانت من قبيل رب ضارة نافعة، وما الرسوم المسيئة لشخصية الرسول الكريم التي نشرت في الفترة الأخيرة إلا مثال وشاهد على ذلك، أرادوا توجيه ضربة قاصمة للإسلام والمسلمين عبر تشويه صورة النبي في نظر الشرق والغرب، فكانت النتيجة هي ترويجاً حقيقياً وأكبر دعاية تجعل الغربيين يقبلون على دراسة الإسلام ونبيّه، بل دخول الكثير منهم في دين الله أفواجاً، وحول ذلك يتحدث صاحب كتاب مبشرات في زمن الوهن قائلاً: "خلال مؤتمر صحفي بالمعهد السويدي بالإسكندرية وفي ضربة موجهة للمناهضين للإسلام أعلن وفد شباب السويد المسلم اعتناق ١٥ ألف مواطن سويدي تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و٤٠ عاماً الدين الإسلامي بعد أزمة الرسوم المسيئة للرسول محمد ﷺ |، وتقول عدد من التقارير الصادرة أنّ عدد المسلمين في السويد يبلغ الآن حوالي ١٢٠ألف مسلم"(٢).

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، ص٧٣٠، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم٢٨٨٩. مصدر سابق.

(٢) الحمد، **مبشرات في زمن الوهن**، ص٢٢. مصدر سابق.

كما أدرج دراسة في كتابه جاء فيها: "أكدت صحيفة "البوليتيكن" الدنماركية أنّ عدد الدنماركيين الذين يعتنقون الدين الإسلامي يتزايد يوماً بعد آخر وأنّ مواطناً دنماركياً على الأقل يختار اعتناق الدين الإسلامي كما أن عدد الدنماركيين الذين تحولوا إلى الإسلام منذ نشر الرسوم المسيئة تجاوز خمسة آلاف دنماركي. بل أكدت دراسة استطلاعية في الدنمارك أنّ القرآن الكريم أصبح هدية مطلوبة – بشغف– بمناسبة عيد ميلاد المسيح لعام ٢٠٠٧م وقالت الدراسة الاستطلاعية أنّ ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الدنماركية، تبوأت المرتبة الثانية لأكثر وأفضل المبيعات انتشاراً في مجال الكتب المتخصصة في هذا النوع من العلوم"(١).

فالتاريخ يعيد نفسه؛ إذ منذ بدأ الرسول الكريم دعوته والمناهضون لها يبادرون بملاقاة الحجيج ليخبروهم بكذب النبي ﷺ، فيثير ذلك فضولهم ليتعرفوا إلى صاحب الدين الجديد، وكم من مشرك معارض لدعوته ﷺ ذهب حاملاً سلاحه للقضاء على النبي المرسل فيلقي الله في قلبه الإسلام ويعود فيتبعه بذلك العشرات، ويتمثل في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة النور: آية١١].

والموجة العارمة من الغضب، التي تلت هذه الرسوم، والانتفاضة التي انتفضها المسلمون دفاعاً عن نبيهم، كل ذلك أدى إلى فتح مدارك القوم مما كان دافعاً لهم ليعرفوا حقيقة هذا الدين ونبيه، الذي هب الملايين نصرة له ودفاعاً عنه، وهو ما تحدث عنه الشيخ رائد حليحل _مؤسس اللجنة الأوروبية لنصرة خير البريّة في الدنمارك أثناء حديثه مع خباب بن مروان الحمد قائلاً: "في أعقاب أزمة الرسوم المسيئة لرسول الله ﷺ في الدنمارك، والانتفاضة التي عمت أرجاء العالم العربي والإسلامي في الدفاع والذب عن رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه، ما جعل الدنماركيين يستغربون من ذلك، فذهب الكثير منهم للمراكز الإسلامية وسألوهم إن كان هناك شيء يستطيعون من خلاله التعرف على هذا الدين الحنيف، فكانت المراكز تعطيهم المصحف ومعه ترجمة لآياته، وبعض الكتب التي تتحدث عن دين الإسلام، فيرجع الكثير منهم ويعلنون

(١) الحمد، **مبشرات في زمن الوهن**، ص٢٦. مرجع سابق.

في تلك المراكز أنهم قد دخلوا في هذا الدين، حتى أنه خلال عامين بعد أعقاب أزمة الـــدنمارك دخل من الدنماركيين في دين الإسلام أكثر من ٤٠٠٠شخص"[١].

أليست هذه الأمثلة إضافة لما سبق من شهادات الغربيين دليلاً على دحض دعوى انتشار الإسلام بالسيف، بلى، أقول: إنه سيف الحق وسيف الوعد بالنصر، سيف الإسلام لا غير، سيف الكلمة والموعظة الحسنة لا سيف القتل ونحر الرقاب، وليس السيف المسلط على رقـــاب مـــن يخالف التعاليم، إنّ ذلك أكبر تفنيد وإبطال لما حاولوا عبثاً إلصاقه بانتشار الإسلام، فأين السيف الذي سلط على رقاب أولئك الذين توجهوا لمعرفة تفاصيل هذا الدين ورسوله حتى توجـــه لهـــم مثل هذه الإساءة لكنه نور الله وهو القائل جل شـــأنه: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[سورة الصف: آية٨].

---

(١) الحمد، **مبشرات في زمن الوهن**، ص٢٥_٢٦. مرجع سابق.

الخاتمة ونتائج البحث

لقد صدق الله العظيم إذ قال: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [سورة يوسف: آية ٢٦].

فقد جاءت هذه الدراسة لتوضح بعضاً من إنصاف غير المسلمين ومسلمي أهل الكتاب لعقيدة الإسلام وحضارته وأهله فكانت غيضاً من فيض، وقد جاءت هذه الشهادة من علماء الغرب ومسلمي أهل الكتاب الثقاة ليكونوا سفراء لبلادهم وأبناء جلدتهم فيوصلوا لهم الصورة الناصعة للإسلام بحقيقته، لا كما يرسمها من يناصبه العداء، فجاءت هذه الشهادة لترد بالحجة والدليل افتراء المفترين، ولتزيل الغشاوة عن أبصار أولئك الذين خدعهم افتراء المفترين والجهلاء على الإسلام فساروا في ركبهم، وانعدمت ثقتهم بتاريخهم وحضارتهم ومعتقدهم، لكنّ مثل هذه الشهادات كفيلة بأن تضع الحق نصب أعينهم فتعيد لهم الثقة وتقرع عقولهم من جديد ليعيدوا دراسة مواقفهم من الإسلام شريعة ومنهاجاً وحضارة، فيتحقق قول المولى فيهم: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦-١٢٧].

نعم، فقدت جاءت هذه الشهادات من بيئة تقف في الجهة المقابلة بل المخاصمة للإسلام، صدرت عمن يمتلكون قدرات عقلية فذّة، وجاءت شهاداتهم غير متحيزة، ولكنها موضوعية لترشد الإنسان المعاصر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى أنّ الإسلام هو الحل الوحيد لمشكلاته _لا سيما أن النظم الوضعية وبقايا من شرائع سابقة لم تسلم من التلاعب والتحريف_ عاجزة، وأنّ أي إنسان يفتح عقله وقلبه للحق من غير تحيز يصل إلى هذه النتيجة التي يقدمها الإسلام.

كما جاءت هذه الشهادات لتؤكد ما قاله الإسلام عن نفسه عبر كتابه وسنة نبيه على مستوى العقيدة والسلوك والحضارة والتاريخ؛ بأنه الدين الحق الذي تنزّل ليناسب الإنسان في كل زمان ومكان ومهما بلغ من تطور وتحضر، كما جاءت هذه الشهادات لتواجه مفتريات واتهامات وجهت للإسلام من البيئة ذاتها لكنها لا تقوم على أي معطيات علمية أو موضوعية، فكانت شهادات حق تدفع عن هذا الدين لتعيد الأمور إلى نصابها، جاءت هذه الشهادات التي صدرت عن العقل الغربي أو الشرقي الذي يقف في الجهة المضادة للإسلام، جاءت متحررة من انحيازها وعداوتها فكان لها وقعها لما لها من تأثير على أبناء بيئتها، فأفصحت عن حقيقة مفادها أنه ليس غير الإسلام، بتوازنه وشموله وحضارته وانسجامه مع الإنسان، من دين حق يناسب البشرية اليوم.

لقد كان هؤلاء المنصفون في حقيقة الأمر يتفحصون الإسلام ويختبرونـــه حتـــى إذا مـــا أدركوا ارتباط الإسلام كعقيدة مع كلّ الأديان السابقة عليه، وحيوية هذا الدين وقدرته على تلبية حاجات البشرية بغض النظر عن الزمان والمكان واختلاف البيئات. بعد تفحصهم واختبارهم لكل هذا أدركوا أنهم يدينون للإسلام بشهادة حق وإنصاف، بل والانتماء إليه، وهو ما ترجم ســلوك البعض منهم. وفي نفس الوقت تأتي شهاداتهم لتعزز ثقة أبناء الإسلام بدين لهم حق الافتخـــار بقناعتهم به والانتماء إليه.

وبعد هذه الدراسة فإني أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت إلى المطلوب وأسجل هنـــا ما توصلت إليه من النتائج بالنقاط الآتية:

١. المستشرقون ليسو سواءً في مواقفهم من الإسلام ونبيه وحضارته.
٢. ضرورة استخدام هذه الشهادات التي سجلها علماء الغرب ومسلمو أهل الكتاب تعـــد حجة ترد على افتراء المفترين الحاقدين، وهذه الـــشهادات لا بـــد أن تُوظـــف فـــي المجتمعات الغربية من قبل الجاليات والأقليات المسلمة.
٣. ضرورة التلقي الحذر من بعض المستشرقين لأنهم إما عن جهل أو سوء طويـــة قـــد أساءوا فهم بعض الأمور في الإسلام.
٤. أوروبا تدين للإسلام وعلماء المسلمين في تقدمها وازدهارها.
٥. الالتزام بالإسلام أساس تقدم المسلمين ورفعتهم.
٦. انتشار الإسلام اعتمد على الحجة والإقناع.
٧.

التوصيات:

١. ضرورة إعداد لجان تقوم بترجمة بعض الكتب لغير المسلمين الذين شهدوا شـــهادات حق ولم تترجم كتبهم للغة العربية.
٢. استخدام وسائل الإعلام والشبكات المعلوماتية للتعريف بهؤلاء المنـــصفين وبآثـــارهم وجهودهم للغرب والشرق على حد سواء.
٣. إرفاد المكتبات بمثل هذه الكتب لأهميتها لكل باحث يطرق هذا الباب.
٤. اهتمام الجامعات ومراكز البحث العلمي بمثل هذه المواضيع لما لها من أهمية علـــى المجتمعات الغربية والعربية.
٥. تكثيف البرامج التي تعزز ثقة أبناء المسلمين بدينهم وحضارتهم.

والحمد لله رب العالمين

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾	الفاتحة	٤	١٥٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾	البقرة	٤	١٥٣، ١٥٧
﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فِي .. ﴾	البقرة	٢٣	١٣٤، ١٤٧
﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ ٱلسَّمِيعُ .. ﴾	البقرة	١٢٧– ١٢٨	٩٨، ٩٩
﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ ٱلسَّمِيعُ .. ﴾	البقرة	١٢٩	١١٨
﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ٱلسَّمِيعُ .. ﴾	البقرة	١٣٠–١٣٢	٩٨
﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	البقرة	١٣١	١٠٣
﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾	البقرة	١٣٢	٧٧، ١٠٣
﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي ... ﴾	البقرة	١٣٣	٧٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾	البقرة	١٤٣	٣٧، ٤٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ءَابَآءَنَآ .. ﴾	البقرة	١٧٢	٤١
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾	البقرة	١٨٥	٤٧

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	البقرة	١٨٦	١٨٩
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾	البقرة	٢٠١	٣٧
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾	البقرة	٢٥٦	٢٧، ١٨١
﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾	البقرة	٢٨٤	١٥٧
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	البقرة	٢٨٦	٤٦، ٤٧
﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	آل عمران	٧	١٩١
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾	آل عمران	١٨	٥٣
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	آل عمران	١٩	١٤، ٧١، ٧٣، ٩٩
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ... ﴾	آل عمران	٣٠	١٦٠
﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَدُ.. ﴾	آل عمران	٤٩-٥٠	٨٢
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	آل عمران	٨٥	١٤، ٩٩
﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ﴾	آل عمران	١١٣	٢
﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾	آل عمران	١٢٦-١٢٧	١٩٨

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	آل عمران	١٣٤	٢٧
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾	النساء	٢٨	٤٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	النساء	٤٠	١٦٠
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾	النساء	٤٧	٢٣
﴿ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	النساء	٧٩	١٩
﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ إِلَىٰ .. ﴾	النساء	١٦٣	٧٥
﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ ﴾	النساء	١٦٥	٢٦
﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ... ﴾	النساء	١٧١	،٩٧
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾	المائدة	٣	١٣–١٤، ٢٢، ٢٤
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾	المائدة	٦	٤٧
﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَءَاتَيْنَـٰهُ .. ﴾	المائدة	٤٦–٤٧	٨١، ٨٢

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَءَاتَيْنَٰهُ .. ﴾	المائدة	٤٨	١٤، ١٠٤، ١٣٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾	المائدة	٦٧	١٢٨
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾	المائدة	٧٧	٣٧، ٤٧
﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾	المائدة	١١١	٩٩، ١١١
﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ عِيدًا .. ﴾	المائدة	١١٦_١١٧	٨٦
﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ﴾	الأنعام	١٢	٩٨
﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ وَأُوحِى .. ﴾	الأنعام	١٩	١٠٧، ١٠٨
﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فِى .. ﴾	الأنعام	٧٩–٨٦	٧٦
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	الأنعام	١٠٣	٩٧
﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾	الأنعام	١٥٧	١٠١

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾	الأنعام	١٦٤	١٦٥
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾	الأعراف	٣٢	٤٦
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ..﴾	الأعراف	٥٩	٧٢
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ..﴾	الأعراف	٥٩-٦٢	١٠٢
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	الأعراف	٦٥	٧٢
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾	الأعراف	٧٣	٧٢
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾	الأعراف	٨٥	٧٢
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾	الأعراف	١٥٧	١٣٠، ١٤٦
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	التوبة	٣٢	٣
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾	التوبة	٣٣	١٩٤، ١٩٥
﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلْخَلْقَ ..﴾	يونس	٣٧-٣٨	١٠٢

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	يونس	٧٢	٩٨
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾	يونس	٨٤	٩٩
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾	يونس	٩٩	٢٧، ١٦٩
﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾	يونس	١٠١	١٩١
﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	هود	١٣	١٣٣، ١٣٤
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	يوسف	٢	١٩١
﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾	يوسف	٢٦	١٣١، ١٩٨
﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ وَقَالَتِ .. ﴾	يوسف	٣٧-٤٠	٧٨
﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ مِن .. ﴾	يوسف	٣٨-٣٩	١٠٣، ١٠٤
﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ لَكُمْ .. ﴾	يوسف	١٠١	٩٩،

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	الحجر	٩	١٣٨، ١٤٧، ١٩٤
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾	الحجر	٤٧	١٦٢
﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	الحجر	٩٤	١٢٨، ١٨٢
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾	النحل	٣٦	٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ١٠٧
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	النحل	٤٣	١٠١
﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾	النحل	٥١	١٠٧
﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾	النحل	٦٨	١١١
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	النحل	١٢٥	٣١، ١٦٩، ١٨١، ١٩٢
﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾	الإسراء	١٣	١٦٦
﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	الإسراء	١٥	١٦٥
﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾	الإسراء	٤٩	١٥٧

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾	الإسراء	٧٠	٣٦
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	الإسراء	٨٨	١٣٣
﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ ﴾	مريم	١١	١١١
﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾	مريم	٣٠	٨٦
﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾	طه	٩٨	٧٩
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	الأنبياء	٢٢	٩٨
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾	الأنبياء	٢٥	٧٥
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأنبياء	١٠٧	١٥، ٢٧
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ تَذْهَلُ .. ﴾	الحج	٢	١٦٣
﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾	الحج	٣٧	٥٠
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ أُخْرِجُوا۟ .. ﴾	الحج	٣٩-٤٠	٣٣
﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾	المؤمنون	٣٧	١٥٦، ١٥٧

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ...﴾	النور	١١	١٣٧، ١٩٦
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	الفرقان	١	١٢ ، ١٥
﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾	الفرقان	٥	١٣٠
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِلَّا..﴾	الفرقان	٦٨	٣٥
﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾	القصص	٧	١١١
﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾	القصص	٧٧	٣٧
﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾	القصص	٨٨	١٥٤، ١٥٥
﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ﴾	العنكبوت	٢٠	٥٣
﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾	العنكبوت	٤٣	١٩١
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	العنكبوت	٤٦	١٨١، ١٩٢
﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾	العنكبوت	٤٨	١٢٩
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾	الروم	٢٧	١٥٥
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ ٱلۡأَرۡضِ ..﴾	الروم	٣٠	١٤، ٣٨، ٣٩، ١٠٣
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ..﴾	الأحزاب	٤٠	١٤، ٢٢، ٢٥، ٨٩
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ	سبأ	٢٨	١٥، ١٩

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾			
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	فاطر	١٨	١٦٥، ١٦٦
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	فاطر	٢٨	٢٠، ٢١، ٥٣
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾	يس	٦٩	١٥
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ وَذَلَّلْنَٰهَا.. ﴾	يس	٧٨-٧٩	١٥٥، ١٥٦
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	ص	٨٧	١٥
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الزمر	٩	٥٣
﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾	الزمر	٧٣	١٦٢
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾	الشورى	١١	٩٥، ٩٦، ١٨٨
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ... ﴾	الشورى	١٣	٩٩
﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾	الشورى	٥١	١١٢
﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾	الزخرف	٣٢	١٢٧
﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾	الجاثية	٢٤	١٥٧، ١٥٨
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	الأحقاف	٩	٨٩

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾	الفتح	٢٨	٣، ١٩٥
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾	الحجرات	١٣	١٩٢
﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	ق	٢٩	١٨٧
﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ... ﴾	الذاريات	٢٠-٢١	١٩١
﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	الذاريات	٥٠	١٠١
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ الْهَوَىٰ .. ﴾	النجم	٣-٤	٩٣، ١٦٣
﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ﴾	النجم	٣٩-٤٠	١٦٦
﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾	القمر	١	١٥٥
﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾	الرحمن	٦٠	١٥٧
﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ عَنْهَا .. ﴾	الواقعة	٢٧-٣٤	١٦١
﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾	الحديد	٢٧	٤٢، ٤٩
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ خَيْرٌ .. ﴾	المجادلة	٢٠-٢١	١٩٣
﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	الحشر	٢١	١٩١
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم بَيْنَ .. ﴾	الصف	٦	٨٢، ١١٨، ١٢١
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	الصف	٨	٣، ١٩٧

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾	الصف	٩	١٤، ١٥، ١٧٤
﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	التغابن	٧	١٥٦
﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾	القلم	١	٥٢، ٥٧
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾	الحاقة	٤١	١٦٣
﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الحاقة	٤٣	١٦٣
﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	الحاقة	٤٤-٤٧	١٢٥
﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ .. ﴾	الجن	١+٢	١٣٦
﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ربها.. ﴾	القيامة	٣٦-٤٠	١٥٦
﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا سيعلمون.. ﴾	النبأ	٢١-٢٥	١٦١
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ٱلْأُولَىٰ.. ﴾	الغاشية	١٧-٢٠	٩٧، ١٩١
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾	العلق	١، ٤	٥٢
﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ رَضِىَ.. ﴾	الزلزلة	٦-٨	١٥٩، ١٦٠
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ وَلَمْ.. ﴾	الإخلاص	١-٤	٧١، ٨٨، ٩٤، ٩٥، ٩٧

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
" والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمّة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثمّ يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النّار"	١٧
"وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامّة"	٢٠، ٢٣
"لا نبيّ بعدي"	٢٥
يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي	١٨٧
افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين	١٨٤
تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في ذات الله	١٨٨
بعثت الى كل أحمر وأسود	٢١
لا رهبانية في الإسلام	٤٩
اعقلها وتوكل	٤٨
"إنما حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة"	٤٠
"يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"	٤٧
"اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا"	٤٨
"إنّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى"	٤٧
"لا حُلّوه ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد"	٤٨
"أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم لــه لكنّــي أصــوم وأُفطر وأُصلي وأرقد وأتزوّج النساء فمن رغب عن سنّتي فليس مني"	٤٣، ٤٨
"ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة"	٥٣
"أليست نفساً؟"	٣٦
"ما من مولود يولد إلاّ على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه".	٣٨
"الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورُسُله وتؤمن بالبعث"	١٥٣
"الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله"	٩٥
"بني الإسلام على خمس شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقــام الصلاة وإيتاء الزكاة والحجّ وصوم رمضان"	٨٩
"دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضــاءت له قصور الشام"	١١٨
"إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع	٢٢، ٨٩،

الحديث	رقم الصفحة
لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللّبنة وأنا خاتم النبيين"	١٢٦
"اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعاً"	١٤٢
"أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت"	١٥٢-١٥٣
"بعثت أنا والساعة كهاتين"	١٥٥
"ما بين النفختين أربعون"	١٥٥
"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه"	١٥٨
"فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر"	١٦١
"إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها"	١٩٥
"إنّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"	١٩٢
تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك"	٤٦
"اطلبوا العلم ولو بالصين"	٥٥
"أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إلا الله. فَمَنْ قال: لَا إِلَهَ إلا الله فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إلا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ على اللَّه؟"	٩٠
"أنا أَوْلَى الناس بِعِيسَى بن مَرْيَمَ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"	٩٩، ١٠٠
يا بن آدم! مرضت فلم تَعُدني	١٥٩

فهرس الأعلام

العلم	رقم الصفحة
إدوارد مونتيه	١٧٤
أحمد سوسة	٢٩
إميل درمنغم	٣٥
آنا ماري شيمل	١٧٩
بلال فيلبس	١٧٦
بيير فوغل	١٧٦
توماس كارليل	١٠٥
توماس وولكر آرنولد	١٨٥
جورج برنارد شو	١٧٨
جوزيف فان إس	١٥١
حمزة يوسف هانسن	١٧٥
خالد ياسين	١٧٥
رجاء جارودي	٨٨
رولاند ألانسون_وين	١٢٨
روم لاندو	٧٣
رينهرت دوزي	٣٠
زيد شاكر	١٧٦
زيغريد هونكه	٢٩
سراج وهاج	١٧٥
ابن سينا	٦١
بولس	١٠٦
علي بن ربن الطبري	١٣٢
عبد الرحيم غرين	١٧٦

العلم	رقم الصفحة
كيرلس	١٠٢
هيربرت بوسه	١٠٣
جورج سيل	١٨٢
يوسف هانس	١٧٥
عبدالله كويليام	١٨٠
غوستاف لوبون	٣٣
غيلان بن سلمة	١٤٢
فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد	٣٦
فيليب حتي	٢٤
القسيس إبراهيم	١٩
قيس بن حارث بن قيس بن عميره	١٤٢
الكونت هنري	٣٤
الليدي افلين زينب كوبولد	٢٨، ٢٩، ٣٩
ليو تولستوي	١٢٢
آريوس	٨٦
مارسيل	١٣
محمد أسد	٣٩
أبو بكر الرازي	٦٥
موريس بوكاي	٥٣
مونتغمري وات	١٧
ناجيمو راموني	١٩١
ناصر الدين دينيه	٢٠
نصري سلهب	١٨
نظمي لوقا جرجس	١٨

العلم	رقم الصفحة
نوح حاميم كلر	١٧٦
مونتغمري وات	١٧
هانس كونج	١٢٥
واشنجتون أرفنج	٩٠
يوسف إستس	١٧٦

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. **الكتاب المقدس.**

٣. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الفكر،(د.ت).

٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٣، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،(١٤٢٣ه)

٥. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة ومعه تخريج الألباني للمشكاة**، ط١، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن القيم_الدمام،(١٤٢٢ه).

٦. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط١، تحقيق شعيب الأرنؤوط،عادل مرشد وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة_بيروت(١٤٢١هـ_٢٠٠١م).

٧. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجة**. علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. دار البيان للتراث،.

٨. ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط١، دار صادر_بيروت.(د.ت).

٩. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: **السيرة النبوية**، ط٢، دار الفجر للتراث_القاهرة، (١٤٢٥هـ_٢٠٠٤م).

١٠. أبو زهرة، محمد: **محاضرات في النصرانية**، دار الفكر العربي_القاهرة، (١٤٢٧هـ_٢٠٠٦م).

١١. أحمد، إبراهيم خليل: **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن**، دار المنار،(١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

١٢. أرفنج، واشنجتون: **حياة محمد**، ط٢، ترجمة وتعليق علي حسني الخربوطلي، دار المعارف_مصر.(د.ت).

١٣. أرنولد، سير توماس: **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل البخاري،ط٣، مكتبة النهضة المصرية،(١٩٧٠).

١٤. أسد، محمّد: **الإسلام على مفترق طرق**، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين_بيروت.(د.ت).

١٥. أسد، محمد: **الطريق إلى الإسلام**، ط٥، دار العلم للملايين_بيروت،(١٩٧٧م).

١٦. إشراف غربال، محمد شفيق: **الموسوعة العربية الميسرة**، دار النهضة_بيروت،(١٩٨٦)

١٧. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط١، دار المعارف، الرياض_السعودية،(١٤١٢ه_١٩٩٢م).

١٨. الألباني، محمد ناصر الدين: **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، ط١، إشراف زهير الشاويش،(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

١٩. الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها**، ط١، مكتبة المعارف- الرياض،(١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٢٠. الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ط٣، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي_بيروت،(١٤٠٨ه).

٢١. الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح سنن ابن ماجة**، ط٣، تعليق زهير الشّاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، (١٤٠٨هـ١٩٨٨م).

٢٢. الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى٢٧٩ه**، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض،(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٢٣. الألباني، محمد ناصر الدين: **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ط٢، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي_بيروت،(١٤٠٨ه).

٢٤. الألباني، محمد ناصر الدين: **ضعيف سنن الترمذي**، ط١، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي_بيروت،(١٤١١ه).

٢٥. إلياس، نديم عطا: **سَيقهر الماء صُمّ الحجر "آنا ماري شِمل" وجائزة السلام**، ط١، الدار الإسلامية للإعلام، بون_ألمانيا،(١٤١٦هـ_١٩٩٦م).

٢٦. بارتولد، فلاديمرويج: **تاريخ الحضارة الإسلامية**، ترجمة حمزة طاهر، ط٥، دار المعارف،(١٩٨٥).

٢٧. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦ه: **صحيح البخاري**، ط١، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم أحمد محمد شاكر، مكتبة الثقافة الدينية_ مصر،(١٤٢٥هـ _٢٠٠٤م).

٢٨. بسترس، المطران كيرلّس سليم: **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك(١)**، سلسلة المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون مركز أبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي(حريصا_لبنان)(١٠)، إشراف عادل تيودور خوري، ومشير باسيل عون، المكتبة البولسية، جونيه_لبنان،(١٩٩٩).

٢٩. بلتاجي، محمد: **مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنّة الصحيحة الحقوق السياسية والاجتماعية والشخصية للمرأة في المجتمع الإسلامي**، ط١، دار السلام،(١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م).

٣٠. بو خاروف، نبيل نيقولا جورج: **الإسلام لماذا هو الحق**، ط١، ج١، فلسطين_بيت لحم،(٢٠١١).

٣١. بو خاروف، نبيل نيقولا جورج: **المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح ام هي ديانة بولس؟**، ط٢، (٢٠٠٧).

٣٢. بوازار، مارسيل: **إنسانية الإسلام**، ترجمة عفيف دمشقية، ط١، دار الآداب_بيروت،(١٩٨٠).

٣٣. بوست، جورج: **قاموس الكتاب المقدس**، المطبعة الأمريكانية،(١٨٩٤).

٣٤. بوسه، هيربرت: **أسس الحوار في القرآن الكريم دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية**، ترجمة أحمد محمود هويدي، ط١، مراجعة عمر صابر عبد الجليل، تصدير محمد خليفة حسن،(٢٠٠٥).

٣٥. البوطي، محمد سعيد رمضان: **فقه السيرة**، دار الفكر.(د.ت).

٣٦. بوكاي، موريس: **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، ط١، دراسة وتقديم الحسيني الحسيني معدّى، دار الحرم للتراث_القاهرة،(٢٠١٠).

٣٧. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر: **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز_مكة المكرمة،(١٤١٤_١٩٩٤).

٣٨. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي: **السنن الكبرى**، ط٣، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م).

٣٩. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ – ٢٧٩): **سنن الترمذي**، ط١، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (١٣٣٢هـ – ١٩٦٢م).

٤٠. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي: **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.(د.ت).

٤١. جارودي، روجيه: **الإسلام دين المستقبل**، ترجمة عبد المجيد بارودي، دار الإيمان، بيروت_دمشق.(د.ت).

٤٢. الجرجاني، علي بن محمد بن علي: **التعريفات**، ط١، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار العربي_بيروت،(١٤٠٥).

٤٣. جي. بريل: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، تحرير م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان. مراجعة حسن حبشي، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، تحرير خلف عبد العظيم الميرى، مركز الشارقة للإبداع.

٤٤. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء**، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، كتاب العلم، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

٤٥. حتي، فيليب: **الإسلام منهج حياة**، نقله إلى العربية عمر فروخ، ط٢، دار العلم للملايين_بيروت،(١٩٧٩).

٤٦. الحسيني، أبو النصر مبشر الطرازي: **الإسلام الدين الفطري الأبدي مع اعترافات الأجانب والمنصفين والتعليق عليها**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان،(١٤٠٥هـ_١٩٨٤م).

٤٧. الحمد، خباب بن مروان: **مبشرات في زمن الوهن، أسرار انتشار الإسلام في العالم مع اشتداد الهجمات عليه(دراسة تحليلية).**

٤٨. خليل، عماد الدين: **قالوا عن الإسلام**، ط١، الندوة العالمية للشباب الإسلامي_الرياض، (١٤١٢هـ_١٩٩٢م).

٤٩. خياطة، نهاد: **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**، ط١، دار الأوائل – دمشق،(٢٠٠٢م).

٥٠. داود، عبد الأحد: **محمد في الكتاب المقدس**، ط٢، ترجمة فهمي شمّا، مراجعة أحمد محمد الصّديق، دار الضياء_قطر،(١٤٠٥هـ_١٩٨٥م)).

٥١. دبسون: **المحمّديات: ماذا يجب أن تعرف؟ عن محمد والإسلام**، ترجمة عمر أبو النصر، المكتبة الأهلية_بيروت.(د.ت).

٥٢. درمنغم، إميل: **حياة محمد**، نقله إلى العربية محمد زعيتر، دار إحياء الكتب العربية.(د.ت).

٥٣. دينيه، اتيين: **محمد رسول الله**، ترجمة عبد الحليم محمود، محمد عبد الحليم محمود، دار المعارف_مصر.(د.ت).

٥٤. دينيه، ناصر الدين: **أشعة خاصة بنور الإسلام**، المطبعة السلفية_مصر.(د.ت).

٥٥. ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، ط٢، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية_القاهرة،(١٩٦٤).

٥٦. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت،(١٤١٥هـ_١٩٩٥م).

٥٧. رضا، محمد رشيد: **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، ط٢، خرّج آياته وأحاديثه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان،(٢٠٠٥م_١٤٢٦هـ).

٥٨. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان.(د.ت).

٥٩. زناتي، محمود سلام: **تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية**. دار المعارف.(د.ت).

٦٠. الزيادي، محمد فتح الله: **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها**، ط١، المنشأة العالمية للنشر والتوزيع_طرابلس،(١٣٩٢هـ_١٩٨٣م).

٦١. سالمة، عبد الجبار: **الدين والسياسة**، منشورات المؤسسة العربية للنشر والإبداع – الدار البيضاء.

٦٢. سلهب، نصري: **لقاء المسيحية والإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت_لبنان.(د.ت).

٦٣. سوسة، أحمد: **في طريقي إلى الإسلام**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،(٢٠٠٦).

٦٤. شلبي، عبد الودود: **قضايا إسلامية معاصرة حوار مع طالبات جامعة سان دي فنسنت عن مكانة المرأة في شريعة الإسلام وفي حضارة الغرب**. سيدني: استراليا. مركز الراية.(د.ت).

٦٥. شلتوت، محمود: **الإسلام عقيدة وشريعة**، ط١٧، دار الشروق_القاهرة، (١٤١٧هـ_١٩٩٧م).

٦٦. الشنطي، عماد الدين عبد الله: **اليهودية والمسيحية في الميزان**، ط١، (١٤٢٥_٢٠٠٤).

٦٧. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت.

٦٨. شيون، فريتجوف: **كيف نفهم الإسلام**، ط١، ترجمة عفيف دمشقية، دار الآداب_بيروت،(١٩٧٨).

٦٩. الصابوني، محمد علي: **التفسير الواضح الميسّر**، ط٥، المكتبة العصرية، صيدا_بيروت،(١٤٢٥هـ_٢٠٠٤م).

٧٠. صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت_لبنان،(١٩٨٢).

٧١. الطبري، علي بن ربّن: **الدّين والدّولة في إثبات نبوّة النبي محمدﷺ**، حققه وقدّم له عادل نوَيهض، دار الآفاق الجديدة_بيروت.(د.ت).

٧٢. عبد الفتاح، محمد عبد الحليم: **إظهار الحق قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم**، دار الكتاب العربي، دمشق_القاهرة. (د. ت).

٧٣. عبد الفتاح، محمد عبد الحليم: **إظهار الحق**، دار الكتاب العربي، دمشق_القاهرة.(د.ت).

٧٤. عبد الوهّاب، أحمد: **تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام**، ط١، مكتبة وهبة، دار التوفيق النموذجية،(١٤٠٩هـ_١٩٨٩م).

٧٥. عمارة، محمد: **الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء**، ط١، دار الشروق_القاهرة،(١٤٢٥هـ_٢٠٠٥م).

٧٦. فراج، عز الدين: **نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي**، تقديم محمد عمارة.(د.ت).

٧٧. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية: **الموسوعة العربية العالمية**، ط١، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض_السعودية.(د.ت).

٧٨. القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي**، تقديم هاني الحاج، حققه وخرّج أحاديثه عماد زكي البارودي، خيري سعيد، المكتبة التوفيقية.

٧٩. قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ط٣٤، دار الشروق، القاهرة_بيروت،(١٤٢٥ه_٢٠٠٤م).

٨٠. قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان،(١٣٩١هـ_١٩٧١م).

٨١. كارليل، توماس: **محمد المثل الأعلى**، ترجمة محمد السباعي، تقديم محمود النجيرى، ط١، مكتبة النافذة،(٢٠٠٨).

٨٢. كاستري، الكونت هنري دى: **خواطر وسوانح**، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، تصحيح عبد الرحمن البرقوني، مطبعة السعادة_مصر.(د.ت).

٨٣. الكردي، راجح عبد الحميد: **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، ط٢، دار الفرقان_عمان،(٢٠٠٣).

٨٤. الكلام، يوسف: **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس**(دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي)، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق- سورية،(٢٠٠٩م).:

٨٥. كوبولد، اللادي ايفلين: **البحث عن الله إسلام نبيلة انكليزية وحجّها إلى مكة والمدينة**، عربه عمر أبو النصر، المكتبة الأهلية_بيروت،(١٣٥٣هـ_١٩٣٤م).

٨٦. لاندو، روم: **الإسلام والعرب**، ترجمة منير البعلبكي، ط٢، دار العلم للملايين_بيروت،(١٩٧٧).

٨٧. لوبلا: **الإنجيل قادني إلى الإسلام ربحت محمداً ولم أخسر المسيح**، الحسيني الحسيني معدّى، ط١، دار الكتاب العربي،(٢٠١٠). وطبع معه كتاب الإسلام قادني إلى الإسلام تأليف م.ج. لوبلا، كتاب الخلاص من المسيحية. تأليف فادي كاباتيلو.

٨٨. لوبون، غوستاف: **حضارة العرب**، ط٣، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان،(١٣٩٩هـ_١٩٧٩م).

٨٩. لوقا، نظمي: **محمد الرسالة والرسول**، ط٢، الموسوعة الإسلامية الكبرى، تقديم كمال الدين حسين، دار الكتب الحديثة، القاهرة(١٩٥٩).

٩٠. لوقا، نظمي: **محمد في حياته الخاصة**، مكتبة غريب.

٩١. ليو تولستوي: **حِكم النبي محمد**، نافذة على الغرب(١)، ط١، دراسة وتقديم محمود النجيري، مكتبة النافذة،(٢٠٠٨).

٩٢. م. روزنتال، **الموسوعة الفلسفية**، بإشراف ب.بودين، ط١، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، جورج طرابيشي، دار الطليعة_بيروت،(٢٠٠٦).

٩٣. مجمع اللغة العربية: **المُعجم الوسيط**، ط٢، إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار.

٩٤. مجموعة مؤلفين، (د.ت)، **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، بيروت_لبنان).

٩٥. مجموعة مؤلفين، **الموسوعة**، جنيف_شركة ترادكسيم،(١٩٩٢).

٩٦. محمود، عبد الحليم: **أوروبا والإسلام**، المكتبة العصرية، صيدا_بيروت.(د.ت).

٩٧. مخوّل، قيصر أديب: **الإسلام في الشرق الأقصى وصوله وانتشاره وواقعه**، تعريب نبيل صبحي، دار العربية_بيروت.(د.ت).

٩٨. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري: **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى الرسول** ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.(د.ت).

٩٩. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٠٦- ٢٦١): **صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل إلى رسول الله**ﷺ، خدمة وعناية أبي قتيبة نظر محمد الفريابي، دار طيبة-الرياض،(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٠٠. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النّيسابوري: **صحيح مسلم**، مكتبة الثقافة الدينية،(١٤٢٢هـ_٢٠٠١م).

١٠١. المسيري، عبد الوهاب محمد: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد**، ط١، دار الشروق،(١٩٩٩).

١٠٢. معدّى، الحسيني الحسيني: **علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام**، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق_القاهرة،(٢٠٠٧).

١٠٣. **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة_الرياض.(د.ت).

١٠٤. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط٥، إشراف وتخطيط مانع بن حمّاد الجهني، الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.(د.ت).

١٠٥. النّسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: **تفسير النّسفي المسمى بمدار التنزيل وحقائق التأويل**، دار الفكر.(د.ت).

١٠٦. النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ط٢، تحقيق عبد السلام محمد بن عمر علوش، دار المعرفة_ بيروت، (١٤٢٧هـ).

١٠٧. هانس كونج، جوزيف فان إس: **التوحيد والنبوة والقرآن حوار المسيحية والإسلام**، ط١، محمد الشاهد، دراسة تحليلية نقدية، المؤسسة الجامعية للدراسات،(١٤١٤هـ_١٩٩٤م).

١٠٨. هونكه، زيغريد: **شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه مارون عيسى الخوري، ط٨، دار الجيل_ بيروت، دار الآفاق الجديدة_ بيروت، (١٤١٣هـ_١٩٩٣م).

١٠٩. الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، مؤسسة المعارف،(١٤٠٦هـ).

١١٠. وات، مونتغمري: **ما هو الإسلام؟**، ط١، ترجمة أبو بكر الفيتوري، تعليق الصّديق بشير نصر، دار قتيبة، دمشق_سوريا،(٢٠١٢).

١١١. واط، مونتغمري: **أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا**، ترجمة جابر أبي جابر، دمشق،(١٩٨١).

١١٢. وافي، علي عبد الواحد: **بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام**، مؤسسة المطبوعات الحديثة،(١٩٦٠).

١١٣. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢): **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر- بيروت.(د.ت)

مراجع الانترنت

١. http://ar.wikipedia.org

٢. http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=٣٦٥٨

٣. http://www.masrawy.com

٤. http://www.saaid.net

٥. www.startimes.com